ظاهرة الروائح في القصة القصيرة

محمد محمود عبد الرازق

كتب محمد أبو المعاطى أبو النجا قصة « ذلك الوجه .. وتلك الرائحة » عام ١٩٧٩[١] ، فتأثر بها من الكتاب ، وكتبوا على نهجها مجموعة من القصص القصيرة البديعة . وشخص هذه القصة غير متصالح مع مجتمعه ، ولهذا فهو يشم رائحة حريق دائماً . وبتلك الرائحة تفتتح القصة : « لا أدرى متى بدأت أشم تلك الرائحة ! رائحة دخان يتبعه من شىء لم تكن حادة أو نافذة ، لكنها بعد أن تنبهت إليها بدت ملحة ومستمرة ، دون أن تفصح عن طبيعة الشىء المحترق أو مكانه » . وكان فى هذه اللحظة يقود سيارته ، وإلى جواره زوجه التى لا تشم شيئاً . وينتابه « قلق شامل ممض » عن مصدر تلك الرائحة التى لا يشمها غيره . وكان يتوقع أن يسمع صوت سيارة إطفاء أو إسعاف أو نجدة وهى تمرق بجوارهما ولكنه لم يسمع شيئاً . والرائحة تنتقل معه من مكان إلى مكان حتى بدأ يألفها ، وكأنها جزء من الجو فى مثل هذا الوقت من السنة ، حين تنتشر موجات من الضباب مسببة الإحساس باللزوجة والاختناق . ولا تشم زوجه غير رائحة الشواء المنبعث من المحل المجاور للمتجر الكبير .

والقصة تدور فى دائرة الحلم أو الكابوس . وقد أراد الكاتب أن ينبهنا إلى ذلك حين قال الراوى : « حين تدرك أنك وحدك ترى أو تسمع أو تشم ما لا يحس به سواك ، فأنت على حافة الجنون ، أو غارق فى حلم كئيب . ولو كانت لك فرصة الاختيار — فأنت سوف تتمنى مثلى أن يكون ما تراه أو تسمعه مجرد حلم ثقيل » . ولم تكن هذه — كما يقول — هى المرة الأولى التى يحلم فيها ويدرك خلال حلمه أنه يحلم ، دون أن يوقظه ذلك الإدراك من النوم . وهذه التأملات ، تدور — فى زعمنا — فى الإطار الحلمى أيضاً ، لكنه يرتدى حلة الإيهام بالواقع . وتؤكد نهاية القصة حلميتها ، فهى تأتينا على لسان الراوى وهو يقول ذلك نرى راويها وقد أصبح — أغلب الظن — فى إعداد الغرقى : « وجدتنى أندفع أمام الجميع إلى قلب البحر ، تلك كانت هى الحرية الوحيدة المتاحة لى . وقلت لنفسى : لو كان ما أراه حلماً فاتكن تلك نهايته ، ولو كان واقعاً فهذه أفضل نهاية كان آخر ما سمعته بعد ما خلته صرخة زوجتى هو صوت يرتفع فى « الميكروفون » ... » .

ولا يستبعد هذا الاحتمال — بطبيعة الحال — احتمالا آخر ، وهو انتشال الراوى من اليم . وهنا تأتى مقدرة القصة على الإيهام بالواقع ، رغم أن صوت الميكروفون فى الكازينو الساحلى قد طمأن رواده حتى لا يتحركوا لإنقاذه : « لا تنزعجوا أيها السادة ، فذلك أيضاً جزء من العرض » . ولكننا نميل إلى اعتبارها حلماً ، لأن عودة الراوى إلى الحياة وتمكنه من الرواية يحصر القصة فى نطاق المرض النفسى الذى شفى منه صاحبه . فى حين أنها أرحب من ذلك ، فهى تجربة وجودية ملحة ومستمرة .

ويبدو أن الدكتور إحسان عباس قد اعتمد الاحتمال الثانى ، إذ نراه يتعامل مع القصة تعاملاً واقعياً : « هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مسكون بهذين الهاجسين : الرائحة والوجه ، ولم يكن سبيل الخلاص من طغيانهما إلا حين عرض مدير الكازينو على الجمهور عرضاً حياً لسفينة تحترق والناس يقذفون بأنفسهم فى الماء طلباً للنجاة ، فاندفع إلى قلب البحر » .[٢] وإذا اعتمدنا هذا التغيير فعلينا أن نعتبر حرق السفينة نوعاً من « التخييل » (الفانتازيا) فلم يبلغ الترف مداه ، وطلب الإثارة منتهاه ، إلى الحد الذى يفكر كازينو ساحلى فى حرق سفينة لتسلية رواده بمنظر حريق نيرونى رهيب ، ومنظر الركاب وهم يقذفون بأنفسهم فى البحر طلباً للنجاة ، خاصة إذا كان من الأماكن المتاح لمتوسطى الدخل ارتيادها . وأسرة هذه القصة من تلك الأسر . وقد تولد هذا العرض فى ذهن الكاتب من عروض السينما ، ونقله بقصته إلى المدير الذى قال : « إنه مجرد عرض فاستمتعوا فقط بما ترون ، أنتم لا تنزعجون حين ترون ذلك فى الأفلام .. يمكنكم أن تقولوا إنه عرض مسرحى حى . إن كازينو الشاطىء الذهبى لا يدخر وسعا فى تسليتكم ، وعلى الرغم من الظلام فالحريق الذى يلتهم السفينة يضىء كل شىء ، وعلى الرغم من ضخامة تكاليف العرض فإن ما نحرص عليه هو تقديم تسلية مثيرة حقاً » .

ويربط الكاتب بين هذه الرائحة ووجه الحمال فى المتجر الكبير . ففى اللحظة التى رآه فيها الحمال أحس أنه على وشك أن يصحوا من حلمه ، أو يدخل فى حلم أشد قتامه . فهذا الوجه الأسمر والأنف العريض والأسنان المفلوجة والشفاه المدلاة هى ملامح حسن أبو شفة . ولكن أبوشفة كان رجلا ناضجاً حين كان هو طفلاً ، وقد يصلح هذا الحمال ليكون ابتاله . لكن ما الذى جاء به إلى هنا . وانفجر فى رأسه شىء مخيف تذكره فجأة . فأبو شفة يعرف تلك الرائحة جيداً . فقد كان مثله أول من شم تلك الرائحة التى كانت تملأ سنوات طفولته وصباه . كانوا فى الظهيرة ، والحر جاثم يكتم الأنفاس ، والناس يلوذون بالدور والأشجار ، والبهائم راقدة تجتر طعامها ، أو دائرة فى السواقى أو الأجران ، عندما شم الرائحة لأول مرة ورأى وسمع حسن ابو شفة يندفع صائحا صارخا ، وفى يده المذراه التى كان يقلب بها القش ، يحاول ولده أن يطفىء بها النيران المجنونة التى كانت تنتقل بين أكوام القش فى سرعة الريح . ثم ادرك فى لحظة عبث محاولته فأخذ يقطع بمنجله حبال البهائم المربوطة فى النورج . وكادت البهائم أن تدوس الطفل لولا أن جذبه أبو شفه من ذراعه .

ولم ينته الحريق إلا بعد أن أتى على كل شىء وظلت رائحة القرية المحترقة شهورا طويلة تملأ سماءها وأرضها . وتختلط بالطعام والشراب . وحتى بعد أن أعيد بناء القرية ظل الطفل يشم الرائحة فى أحلامه ، وأحيانا فى يقظته ، ويسمع صراخ حسن أبو شفة فى ذلك اليوم « وقد كف بعدها عن الصراخ ، ولكنه ظل يمشى ذاهلاً فى طرقات القرية ، يحكى حتى لمن لا يسمعونه قصة ذلك اليوم ، ويؤكد للجميع أن ذلك لم يحدث بسبب الريح بل لأن قريتنا قد فعلت أشياء كثيرة تستحق من أجلها غضب الله ، لم يكن ما جرى حريقاً ولكنه غضب ، وغضب الله لا ينزل إلا بمن يستحقه » .. وقد رأى وجه حسن أبوشفةمرة أخرى فى وجه النادل بكازينو الساحل الذهبى .

ثمة ارتباط بين الوجه والرائحة . كما أن الرائحة والوجه يرتبطان بالحريق الذى شب فى القرية . والحريق فى المدينة الساحلية على الحدود يجد مستقره فى ترسبات الطفولة التى يطفو على سطح الوعى منها الآن حكاية حسن أبو شفة عن القرية الظالمة التى تستحق غضب الله . وبالتالى لابد أن تكون المدينة الساحلية قد اتت ما تستحق عليه غضب الله .

* * *

دون أبو المعاطى أبو النجا هذا الكابوس فى لحظات حرجة من سنوات القلق والضياع التى مرت بها الأمه العربية ، وبلغت الذروة بمقتل رئيس الجمهورية المصرى . وبعد هذا الحادث مباشرة عبرت طائفة من الكتاب عن هذا الكابوس الذى استمر معهم عدة سنوات . ففى عام ١٩٨٣ كتب محمد جبريل « الرائحة » وصلاح عبد السيد : « الطعام الفاسد » ثم توالت أعمال الكاتبين فى هذا المجال حتى انتقلت العدوى إلى جيل الشباب مثل سعيد عبد الفتاح فى : « وجه العالم » . وفى « الطعام الفاسد »[٣] يصحب صلاح عبد السيد ريفيا وجد له أخوه وظيفة فى المدينة الكبيرة ، فما أن نزل إلى المدينة حتى رأى ناسها يعرجون .. وحتى كلابها تعرج ، وشم رائحة طعام فاسد . ولا يوجد ارتباط بين العرج والرائحة كالارتباط القائم بين الوجه والرائحة فى القصة السابقة . فهما نموذجان للتعبير عن الأزمة لا يتولد احدهما من الآخر ، وإنما يشد أحدهما ازر الآخر لتصوير التشويه الذى أصاب المدينة .

وبطبيعة الحال ، فإن احداً غيره لا يرى ما يرى ، أو يشم ما يشم . فعندما أخبر أخاه أخذ يضحك ، وأرجع الأمر إلى قرويته وسذاجته ، وسخر منه قائلاً : « ربما الفرخة التى تحملها فى حقيبتك الورقية » . ثم التهم ــ فيما بعد ــ نصف الفرخة كدليل يقدمه الكاتب على سلامتها . ونصحه بأن يتدرب على الحيطة فى هذه المدينة الكبيرة ، وأن يكون غامضاً ،وأن يحذر المخادعين . وأراد القروى أن يتصالح مع هذا المجتمع الجديد ، فحاول بكل الطرق أن « يدوس » رغبته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى النظر إلى أقدام الآخرين ، وأن يسد مسامه حتى لا تتسلل إليه رائحة الطعام الفاسد . وبالفعل استطاع أن يضحك رئيسه فنال رضاه ، وأصبح من المرضى عنهم بعد أن تخلق — على ما يبدو — بالأخلاق التى نبهه أخوه إليها ، فلم يعد يشم الرائحة ، ولم يعد يرى العرج . وعندما سافر إلى القرية صاحت أمه فى فزع : « لماذا تعرج ؟ » ثم وضعت يدها على أنفها وهى تتمتم : « ما هذه الرائحة ؟ .. إننى أشم رائحة طعام فاسد » ، وأخذت تتقيأ قبل أن تصافحه كما كان يتقيأ قبل أن يصبح واحداً من أهالى المدن الكبيرة الغارقة فى الضلال .

* * *

ويبدو أن المؤلف أراد أن يضيف أبعادا جديدة إلى هذا البعد ، فلم يكتف بهذه القصة المكثفة ، وإنما أنشأ على نهجها قصة : « التداعى »[٤] مصطحباً معه « الطعام الفاسد » بعد أن تحولت الفرخة التى رأيناها فى القصة الأولى فراخ وبط وأشياء أخرى كثيرة ، وتحولت الحقيبة الورقية إلى مقاطف وقفف وأسبته . ويبدأ المؤلف القصة بمشهد مألوف على الطرق الزراعية . الفلاح « مزروع » على الطريق تحيط به أحماله « كشواهد القبور » منتظرا عربة تقله إلى المدينة . عيناه محمرتان وذقنه نابتة والعرق يرشح من جسده ، ولا يعرف منذ متى وهو ينتظر . اختلطت الأيام وتشابكت فبدت لعينيه يوماً واحداً طويلا ممتداً بلا نهاية ، والعربات تمرق ولا تعيره اهتماماً . لقد أراد أن يزور ابنه الذى تزوج فى المدينة . ومن فرحته أخبر أهل النجع كله ، فمن أراد أن يرسل شيئاً إلى ذويه فليحضره ، رغم أنهم لا يعبأون به عندما يسافرون . وكان معه على الطريق عشرات من الرجال يزعقون للعربات المارة دون جدوى ، ثم تثاءبوا وانفضوا من حوله ، واحداً فى إثر واحد . ووسط الأرض الخراب وقف وحده كأنه طول العمر يقف . وشم رائحة فاسدة ! .. لا بد أنها من قفة عبد الله ، فالرائحة كرائحته .. ربما أرسل بطة ميته إلى ابنه .. وأبعد قفة عبد الله ...

وقد اعتاد المؤلف أن يكرر الواقعة عدة مرات حتى يصل إلى النتيجة المبتغاة . وهكذا أخذ يكرر إبعاد الأشياء ، ويطلعنا فى كل مرة على نموذج بشرى ، وعلى مواقف هؤلاء البشر منه ، وأحياناً مواقف ذويهم فى المدينة منهم . فعبد الله رجل كتوم حاقد لا يسعى إلى إنسان ، ولا يقضى حاجة محتاج . قصده ذات يوم ليستدين منه فتعلل بعلل تافهة . أما المتولى فرجل أنانى لا يهتم بغير نفسه ، وقد رفض أن يعطيه بهيمته لتدور مع بهيمته فى الساقية ولو بأجر . وسعيدة تجلس ليلها ونهارها فى شباك بيتها الواطىء تنتظر ولدها الذى لا يأتى ، وهى امرأة حسود إذا « نشت أحدا عيناً جابت أجله » ورائحة سبت حامد أبو حامد كرائحة فمه ، ذلك الرجل الذى ارتفع بأبنائه فحجب عنه الشمس والهواء دون مراعاة لحقوق الجار . والشافعى شيخ الخفراء تتماوج رائحة سبته وتختفى للحظات ثم تعود .. رائحة مخادعة مثله ، فهو رجل ناعم يضرب ضربته فى الخفاء . استحلفه أن يترك الولد يمتحن ثم يأخذه للجيش ، فوعده خيراً ، ثم جره قبل الامتحان بيوم واحد . وهندام البقال الذى لم ينجده بالشاى والسكر عندما حل ضيف ببيته ، فظل يمشى على الجسر إلى أن ترك الضيف البيت ومضى . أما ناهد .. المرأة العجوز الفقيرة فهى فى حالها ، لكنها رفضت أن تأخذ منه الزكاة ، كما لو كانت لا تمد يدها لأمثاله .

وكاتب آخر قد تغريه كثرة النماذج ، فيستطرد فى تقديمها إلى حد الإملال . لكننا هنا مع كاتب مقتدر لا يكرر الصور أو الأحداث إلا بالقدر الذى يخدم غرضه ، فيعرف متى يجرى السيل المتدفق ومتى يوقفه . وقد تدرج بالنماذج وفق درجة بغض الشخصية لهم كما سنرى . وقد قررت الشخصية أن تترك كل هذه الأشياء فى اللحظة المناسبة ، ولا تأخذ غير حملها وحده ، لينتقل بنا الكاتب إلى موقف آخر تتولد الرائحة فيه من أحمال شخص القصة نفسه . فالعربات لا تقف له ، والشمس تتراجع ، والليل لابد آت ، فيتذكر أن ابنه لم يدعه إلى فرحه ، خشية أن يرى أصهاره أباه الفقير وأمه الحافية ، فيقرر ألا يذهب إليه ، وأن يعود بأشيائه ثانية ، وهنا يشم الرائحة تفوح منها ، فيترك كل الأحمال للقطط والكلاب ، ويبدو العالم أمامه أضيق من ثقب إبره . ويحس بالرائحة تفوح من حوله وتتبعه لعينة تنشع من كل مكان . وينهى الكاتب القصة بقوله : « كان الكون كله قد فسد » . وحبذا لو ترك لنا استخلاص هذه النتيجة التى لا تخطئها فطنة قارئه .

* * *

وفى قصة : « المستنقع »[٥] تظهر الرائحة النفاذة بصحبة الشعر المجذوذ والخدوش . وبطل القصة يعصره القهر . فقد غدرت به تلك التى أعطاها سنوات عمره . وكان يشعر بالضيق عندما نزل بالشبشب والجلباب والطاقية ليتوه فى الميدان المزدحم بالنور والضوضاء ، وفى الأتوبيس جدف بيديه محاولاً أن يجد بعض الهواء فرأى فتاة تنظر إليه « كانت عيناها سوداوين حزينتين .. وكان شعرها مجذوذاً بطريقة غير مهذبة » .. وفى رقبتها خدوش « كنت أنا غريقاً .. وكانت

هى ــ على ما يبدو ــ غريقة تتشبث بغريق » واجتمع الغريقان صامتين . وفى بيته رآها تنظر إليه فى انكسار ذليل ، ووجد الخدوش تمتد على جسدها وذراعيها وساقيها . وعندما تمدد على السرير أحس برائحة نفاذة تدخل إلى جلده . وفى الصباح رأى جسده إلى جواره ممددا « لزجا وله رائحة » وعندما فتش فيه وجد خدوشاً على رقبته ، وشعره « مجذوذاً بطريقة غير مهذبة » .

* * *

وقد أراد المؤلف أن يخلص العالم من تلك الرائحة التى تعادل العزلة والوحدة وعدم التواصل البشرى الذى يغذى التباعد باسم الحيطة والحذر والكتمان ويولد الخداع والبغض والحقد والحسد والأنانية والتعالى وقطع صلات الرحم .. فأنشأ قصة : « الهوائيات »[٦] ولم يستعن بالرائحة فى هذه القصة وإنما اكتفى بالمظهر الجسمانى ، وهو هنا « الانبعاج » لا « العرج » . وقد سبق أن أشار إلى هذا الانبعاج بقصة : « التداعى » عندما تحدث عن سبت حامد أبو حامد ، وذكر أنه يشبهه تماماً ، فهو « منبعج » من أسفل مثله . وفى « الهوائيات » اعتاد بطل القصة ــ منذ سنوات طويلة ــ ألا يفعل شيئاً ، وإنما يجلس على الكنبة مريحاً ساقيه على كرسى ناظراً إلى شاشة التلفزيون . وفى هذا اليوم رأى الصورة على الشاشة منبعجة ، والرجال والنساء مقوسين . وفى الغد لم تتعدل الصورة فقرر أن يستعين بخبير . وفى طريقه إلى الخبير رأى الناس منبعجين وأجسادهم مقوسة . وعندما نظر إلى المرآة وجد صورته منبعجة وجسده مقوساً . فعرف أنه لا بدَّ أن يفعل شيئاً كان فى البداية يفعل ، ولكنه لم يعد قادراً على الفعل . واندفع خارجاً وقد صمم أن يكون فعالاً . وعندما وجد الهوائيات على التبة العالية غافل الحراس وانسرق صاعداً . أمسك بالهوائيات فى يديه ، وظل يديرها فى الاتجاه الذى حدده ، وهو ينظر إلى الشوارع والحوارى والناس ، لعل الصورة تتعدل . فهل تتعدل ؟ .. أم أنه كدون كيشوت يناطح طواحين الهواء .. لا أحد يدرى .

* * *

فى قصة : « التوحد »[٧] تتعدل الصورة ، أو تزول الرائحة . ونحن هنا أمام شخصين ، هم ــ فى الحقيقة ــ شخص واحد شطر إلى نصفين . وقد أشار الكاتب إلى هذا الانشطار عندما كان الراوى يتحدث عن نفسه ، وعن الميت كشخصين منفصلين : « وأنا الآن نصف .. نصف فقط . فلماذا تحاول أن تقتل هذا النصف الآخر ؟ » أما التى تتوهم أنها تحاول قتله لمحاصرتها له بسؤاله عما إذا كان الشخص الآخر قد مات حقاً ؟ .. فهى فاطمة حبيبة الشطرين أو الشخصين . كما الراوى إلى الروح الواحدة حينما يقول : « كنا روحاً واحدة .. لا نفترق أبداً هو الذى صمم على السفر » .

والنصف الأول يمثل السكون أو اللافعل ، والثانى يمثل الحركة أو الفعل . ولذلك لم يبح اللافعل لفاطمة بحبه وباح الفعل . وسافر « الحركة » ليساعده السفر على الزواج ، ولم يطاوعه « السكون » . وعاد الفعل أو الوجود من الغربة محمولاً فى صندوق ، ودفنه اللافعل أو العدم بيديه . وهنا يأتينا حديث الرائحة : « وشممت يدى .. كانت الرائحة ما تزال فيها .. الرائحة الملعونة لا تفارقنى .. ملتصقة بى .. تفوح فى الحجرة الرطبة ولا تريد أن تفارقنى .. » . وإذا كان الانتظار قد استمر فى « التداعى » ألف عام ، فإنه يستمر هنا أيضاً ألف عام . يقول من أصر على السفر : « ننتظر منذ ألف عام ولم يتحقق شىء » . ويقول الذى آثر القعود : « منذ ألف عام وأنا أحبها .. » . وإن كان طول العمق الزمنى ألف عام ، فإن العمق المكانى ألف فرسخ : « إلى عمق ألف فرسخ تحت الأرض نزلت .. إلى الجب البعيد .. البعيد المظلم .. الغائر .. الفاتح لى فمه .. أحملك وأنزل .. والظلمة تتكاثف .. والخطوات تثقل .. ولا بصيص هناك .. » . ومنذ أن دفنه ، وهو مدفون فى الحجرة الرطبة وحده : « أشم رائحتك فى يدى .. فى الحجرة .. فى ملابسى .. فى كل شىء .. والفزع يترصدنى .. » .

وتصر فاطمة على أن تعرف الحقيقة منه . وترسل إليه رسولاً يدق بابه ، لكنه يرفض أن يفتح له . هى تريد أن تتأكد من موت « الفعل » لكن « اللافعل » يصر على الايقول شيئاً ، فتضطر أن تذهب إليه بنفسها محمولة بين يدى الرسول « كومة من العظام تتشح بالسواد .. لا يظهر منها غير عينين ضعيفتين » تبحثان عنه . وتواجهه : « أنت لم تره .. أنت تكذب علىَّ وعلى نفسك .. لماذا تتمنى موته ؟ .. هو لم يمت .. ما زال حياً .. » . وحملت اللافعل بين يديها ، وصعدت به من عمق ألف فرسخ ، متجاوزة الحفر ، متخبطة مثله بالحائط . وعندما صعدت به سألته : « هل دفنته حقاً ؟ .. » فصرخ : « لا ..لا .. » وعندما نظر إلى وجهها وجدها فاطمة .. وشم يده فلم يجد الرائحة .. وهكذا ، استطاع الحب أن يتم التوحد .. ويبدد الرائحة التى دوخت كاتبنا طويلاً .

القاهرة : محمد محمود عبد الرازق

الهوامش على الصفحه التاليه

الهوامش :

١ ــ نشرت لأول مرة بمجلة « العربى » الكويتية ، العدد ٢٥٠ الصادر فى سبتمبر ١٩٧٩ . ثم ضمت إلى غيرها بمجموعة : « الجميع يربحون الجائزة » ، العدد الثالث من سلسلة : « مختارات فصول » ، عام ١٩٨٤ . وأعيد نشرها بالعدد ٢٤ من « كتاب العربى » الصادر فى منتصف يوليو ١٩٨٩ وعنوانه : « القصة العربية ــ أجيال .. وآفاق » .

٢ ــ كتاب العربى ، المرجع السابق .

٣ ــ نشرت لأول مرة بجريدة الأخبار العدد الصادر فى ١١/٥/١٩٨٣ ، وضمت إلى غيرها ــ ومنها القصص التى سوف نتعرض لها هنا ــ بمجموعة : « صراع » ، سلسلة « قصص عربية » التى تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٨٨ .

٤ ــ قدمها القسم العربى بالإذاعة البريطانية ، ونشرت بمجلة : « هنا لندن » فى أغسطس ١٩٨٤ .

٥ ــ لم يشر إلى سبق نشرها بالمجموعة .

٦ ــ جريدة الأهرام العدد الصادر فى ١٩/٩/١٩٨٤ .

٧ ــ مجلة « إبداع » ديسمبر ١٩٨٣ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العودة إلى مهرجان المربد

عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يظل مهرجان المربد ، عاماً بعد عام من أهم اللقاءات الثقافية على امتداد الوطن العربى كله ، ليس لأنه يكسر الحوائط الوهمية العالية ويتجاوز الخلافات السياسية والنظرة الاقليمية الضيقه ، وإنما كذلك لأنه تحول — بعد سنوات الحرب — إلى لقاء ممكن من خلاله إدراك الهموم والأحلام العربية بصورة أوضح ، كما أصبح مقياساً حقيقياً يبرز فهم العرب لما يجرى فى عالم اليوم الصغير ، وعلاقتهم به وموقفهم منه .

فى سنوات الحرب الطويلة ، التى بدا أنها لن تنتهى ، كانت الأمسيات الشعرية تعقد فى المساء ، وكانت الحلقات الدراسية تناقش قضايا هذا الشعر ، ولكن صوت الشعر مهما كان قوياً وصادقا ، كان يصل خافتا إلى هؤلاء الأبطال الواقفين على جبهات القتال . كنا نزور هؤلاء الجنود فى الصباح ونقف معهم لحظات على حافة الخطر التى يقفون عليها لسنوات وسنوات ، ونرى صمتهم المترقب وفرحهم بوجودنا بينهم ، وكانوا يحذروننا من أن نرفع أصواتنا أو نقف فى تجمعات مكشوفة لأننا فى قلب ميدان القتال .. فإذا عدنا فى المساء لنسمع الشعر أحسسنا أن صوت المعركة هناك أقوى

لقد انتهت الحرب بانتصار هؤلاء الجنود الذين لم يكن أحد منهم يهتم بأن يقدم نفسه أو يتحدث عن بطولاته . ومن الطبيعى أن يعود الشعر وقضاياه ، وأن تعود الثقافة العربية إلى بؤرة الاهتمام .. ومن الطبيعى كذلك أن تكون بغداد هى ساحة هذا الحوار .

فى الحلقات الدراسية التى عقدت ضمن إطار مهرجان المربد العاشر هذا العام ، لم يخصص لقصيدة الحرب إلا موضوع واحد هو « الظواهر الفنيه فى قصيدة الحرب » أما بقية الحلقات فقد دارت حول موضوعات تشغل بال الشعراء والدارسين فى هذه الأيام مثل « الإيقاع فى الشعر العربى المعاصر » « ولغة الشعر العربى المعاصر » ، و « شاعر عربى معاصر بعد ربع القرن » وكانت عن الشاعر بدر شاكر السياب ، و «الجماعات الشعرية » وكانت عن جماعة الديوان بالتحديد .

ومن المهم أن نعرف أن أبحاث هذه الحلقات كُلِّف بها أصحابها قبل المهرجان بفترة طويلة ، فلم يترك لكل متحدث أن يقول ما تمليه اللحظة ، وأن هذه الأبحاث طبعت ووزعت على الحاضرين الذين كان عددهم كبيراً هذا العام .

وإذا كانت الأبحاث معروفة ومحدده من قبل ، بل هناك توقيت لكل بحث ولكل تعليق ، فقد تُرك باب الشعر كالعادة مفتوحاً على مصراعيه ليدخل منه أصحاب المطولات والمقطعات ، شعراء التفعيلة وشعراء ما يسمى بالنص الشعرى ، وشعراء الهمس وشعراء الهتافات . ولم يكن الشعراء مطالبين بقول الشعر فى موضوع معين ، فكان هذا التنوع الذى يلاحظه جمهور الأمسيات الشعرية . وكانت قناة التليفزيون المخصصة للمهرجان تذيع هذا الشعر ، وكانت جريدة « المربد » تنقل صورة حية وحقيقية لكل ما يدور ، ورئيس تحريرها ماجد السامرائى (يخطف) القصائد من الشعراء فور إلقائها ، أى أنك كنت تستطيع أن ترى وتسمع القصيدة مرتين ثم تقرأها وحدك مرة ثالثة .

وحيَّرنى كالعادة سؤال كل عام : ألا تكفى سنة طويلة كاملة لتوحى للشاعر بقصيدة واحدة يقول الحاضرون بعدها ـــ وكلهم متخصصون ـ هذا هو الشعر ؟ فإذا لم يفلح الشاعر وضاعت السنة هباء .. فمن الذى يلزمه بأن يحدثنا عن فشله ؟ هل يكفى أن يضع أمامه قصيدة المتنبى التائية ؟ التى تبدأ هكذا :

سرب محاسنه عُدمت ذواتها
دانى الصفات بعيد موصوفاتها

فينسج على منوالها نظما مثل هذا :

هى أمتى أكرم بها من أمه
يتنورالثقلان من صفحاتها

سلكت بأبناء البسيطة منهجا
يحيى الفضائل فى رسيس رفاتها

وتمثلت روح الشريعة حية
بسلوكها بفعالها بسماتها

وبنت لخير الناس خير حضارة
لايستطيع الضد غمز قناتها

أو هل يجوز أن يبدأ كثير من القصائد العمودية بالنسيب والبكاء على الأطلال ، وأن يعجز الشاعر عن أن يتخلص من غرض لغرض ، أى أنه فى عام ١٩٨٩ لم يستطع أن يجارى جده الذى كان ينشد فى هذا المربد ذاته .. هذه بدايات بعض القصائد :

ـــ إن المليحة حسنها قد فاقا
ولقد نكون لحسنها عشاقا

ـــ حننت لسعدى فاعتراك سهاد
أم انداح ليل إذ جفاك رقاد

ـــ أثَنى الدهر عن سباق جوادى
أم حَنَى قوس عمرى الميّادَ

ـــ أميطى الهجر أشرعة رهافا
وزند الوجد مقتربا مضافا

وهكذا تتوالى القصائد العمودية .. إلا فى القليل منها ، وذلك حين يجهد الشاعر نفسه ويستقص المعانى ولايقنع بجرس الكلمات وحدها ، مثل هذه الصورة التى رسمها الشاعر محمد حسين آل ياسين للشهيد وربطها ربطا طبيعياً بما يحدث فى فلسطين الآن :

هل كنتَ تعلم إذ شهقت مودعاً
وسقطت تفرز فى التراب أصابعا

أن رُحتَ تلقف فى يديك حجارة
لترى بها فى القدس طفلا يافعاً ؟

أودعت فيها من عراقك حبة
لتعود منها فوق غزة زارعا

فكأنما جمعت بكفك أمة
لم تلق فيها غير كفك جامعا

أفكلما خرقت أكفُّ قذيفة
ثوبَ الأديم رميت نفسك راقعا ؟

أما الشعر الحديث وقصيدة النثر ، فقد أتاحت لنا جريدة المربد ـــ بالإضافة الى نشر نصوصه ـ أن نعرف آراء النقاد فيه وأن نعرف مكان ضعفه وقوته ويتحدث « محمد وقيدى » عن ظاهرة الغموض وعن فشل الشعر فى الوصول إلى المتلقى ، وأنقل هنا ما قال لأنه بالغ الدلالة : « إن فشل الشعر أحيانا فى هذه المهمة قد يقود إلى طرح السؤال حول قيمة الشعر كتعبير ، وتبرز هذه الظاهرة حين لا يستطيع القارىء فهم مضمون الشعر ويقصر عن فهم الرسالة التى كان الشعر يهدف إلى أن يكون واسطتها بين المبدع والمتلقى . والشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حينئذ يفقد ما كنا نضفيه عليه من قيم فنية وجمالية ومجتمعية ، ويغدو كلاما تقتصر وظيفته على المستوى النفسى التعبيرى ، تاركة المستوى التواصلى المجتمعى ؛ ذلك أنه مهما يفترض فى القصيدة من غموض ومن عجز عن أن تكون أداة تواصل ، فإنها تظل مع ذلك مكتسبة لجوانب من قيمتها التعبيرية عند المبدع ، ما دام هذا المبدع معتقداً أنه أبلغنا رسالة ما عن طريق تلك القصيدة . وهذا على نفس منوال تحليلنا لكلام الشخص الذى يعانى من اضطرابات نفسية تنعكس على قدرته التعبيرية ، فننظر إلى ما يقوله على أنه هذيان ، ذلك أن وصف كلام ما بالهذيان لا يكون إلا من خارج ، أما من صاحبه فإنه كلام متماسك ومعبر »

تفسير طريف ولكنه صحيح فيما أرى ؛ لأنه يوضح لى السبب الذى جعل أحد الشعراء يواصل قراءة « نصه الشعرى » والناس يصفقون فى البداية مجاملة ، ثم يكفون عن التصفيق ، وأخيرا ينصرف أغلبهم وهو يراهم طبعا إن لم يكن بعين الشاعر فبحسه الذى لا يخطىء ، ومع ذلك لم يتوقف حتى انتهى من شعره الذى فوجئت فى اليوم التالى أنه ملأ صفحة واحدة كبيرة من جريدة « المربد » وكنت أظنها ستستغرق صفحات العدد لاحساسى بطولها الذى لا نهاية له . كيف نعلل هذه الظاهرة الغريبة إلا إذا قلنا مع محمد وقيدى إن الشعر الذى كان يبدو لنا « هذيانا » ، كان عند صاحبه كلام متماسك ومعبر ؟

فى إحدى الأمسيات الشعرية وصلت متأخراً وظللت أصعد درجات القاعة حتى وجدتنى وسط مجموعة من الفتيات والفتيان الصغار ، قدرت أنهم طلاب فى الصفوف الثانوية .. جاءوا يحلمون لابد . برؤية الشعراء الذين سمعوا عنهم ، ولعل بعضهم ترك لهو الشباب فى هذه السن ، أو أتى من مدينة بعيدة ليشهد هذه المناسبة . وحين كانت اللغة فى أبسط قواعدها — وليس الوزن — تهشم على ألسنة بعض شعرائنا ، لم يستطع هؤلاء الشباب أن يمنعوا أنفسهم من الهمس الضاحك المتعجب .. واقترح الأستاذ الفريد فريد ضاحكا أن تكوّن لجنة صغيرة تكون مسئولة عن الشعر المصرى فى المربد ، وأظن أن هذا الاقتراح يمكن ان يزيل الحرج الشديد الذى يحس به الشعراء ، فقد تكون المناسبة وإحساس الشاعر أنه يقف أمام جمهور متذوق للشعر سببا فى هذه الأخطاء اللغوية .. وفى كل عام يدعى إلى مهرجان المربد أساتذة أجلاء ، فما المانع أن يقرأوا هذا الشعر مع الشعراء قبل إلقائه ، بل قد ينصحونهم بعدم إلقائه .

أما المناقشات والجدل والحوار المفتوح الذى لم ينقطع لحظة واحدة ، فكان دليلا آخر على أن العرب يستطيعون أن يحددوا مكانهم فى هذا العالم وأن يعرفوا دورهم .. وأن يعرفوا كذلك المكائد التى تحاك ضدهم .

القاهرة : عبد الله خيرت

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نماذج من القصة الفكرية

د. ماهر شفيق فريد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— ١ —

القصة الفكرية ، كالقصة النفسية او القصة الاجتماعية ، مصطلح روّاغ يستعصى على التحديد الدقيق . إذ أى قصة تستحق هذا الاسم تخلو من عنصر الفكر ؟ لكن لا شك أيضاً فى أن هذا العنصر قد يكون بارزاً فى إحدى القصص ، ومتوارياً فى غيرها . من الممكن — إذن — أن نقبل الاسم — رغم قصوره — ونقول : القصة الفكرية عمل فنى يطرح قضية عقلية للمناقشة ، وتمارس فيه قوى الذهن عملها منصباً على موقف عينى محسوس .

وعلى ضوء هذا التعريف يمكننا القول إن الأدب العربى قد عرف القصة الفكرية : فهناك قصة « حى بن يقظان » للفيلسوف الأندلسى ابن طفيل ، المولود بين سنة ٤٩٥ و ٥٠٥ هـ ، أو فى السنوات العشر الأولى من القرن الثانى عشر الميلادى ، على ما يرجح الدكتور عبد الرحمن بدوى . إن حى بن يقظان يولد فى جزيرة من جزر الهند تحت خط الاستواء ، وترضعه فى طفولته ظبية فيشب وينمو ، يتأمل ما حوله من كائنات وحيوان ونبات وجماد ، ولكنه لا يرى إنساناً على ظهر الجزيرة . وكما يحدث لروبنسون كروسو ، فى قصة دانيل دى فو المشهورة ، يضطر « حي » إلى الاعتماد على نفسه فى جليل الأمور وحقيرها ، فيكتشف أسرار الحياة والموت ، ويستولد النار ، ويكتشى بجلود الحيوان ، حتى إذا بلغ الخمسين التقى — على ظهر جزيرة أخرى — برجلين فاضلين يدعى أحدهما أبسال ، والآخر سلامان ، علماه مبادىء الدين وثبّتاه فى ضميره ما سبق أن فطن إليه بالغريزة والتأمل والحس . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى إن هدف القصة هو « بيان اتفاق العقل والنقل ، أى اتفاق الدين والفلسفة . وحي بن يقظان هو رمز العقل الإنسانى المتحرر من كل سلطة ومن كل معرفة سابقة ، ومع ذلك يهتدى إلى نفس الحقائق التى أتى بها الدين الإسلامى . فالدين حق ، والحق لا يتعدد ، ولهذا اتفق الدين والفلسفة » .

فإذا تركنا الأدب العربى إلى الأدب الغربى وجدنا فى الأدب الفرنسى نموذجاً من أهم نماذج القصص الفكرى هو رواية « كنديد » (١٧٥٩) لمؤلفها فولتير ، وقد نقلها إلى العربية المترجم الفلسطينى عادل زعيتر . كتب فولتير هذه القصة أثناء إقامته فى إقليم فرنى ، وأراد بها أن يسخر من مذهب التفاؤل الذى أشاعه الفيلسوف الألمانى لا يبتز وخلاصته اننا نعيش فى أحسن العوالم الممكنة ، كما أراد أن يسخر من فلسفة جان جاك روسو القائلة بخيرية الطبيعة البشرية والمجمدة لما دعاه روسو « الهمجى النبيل » .

فى هذه الرواية ينشأ البطل كنديد فى قصر بارون ألمانى فى وستفاليا ، حيث البارون سيد الاقليم ، وزوجته البدينة موضع التجلة ، وابنه ذو صلف وكبرياء ، وابنته الشابة الجميلة كونجوند تسبى العقول ، والمعلم بانجالوس مدرس الفلسفة واللاهوت والهندسة يثبت أنه « لا معلول بلا علة ، وأن قصر مولانا البارون أجمل القصور فى هذا العالم الذى هو أحسن ما يمكن من العوالم ، والسيدة أملح بارونة يمكن أن تكون » . وحين يبدأ كنديد فى مغازلة كونجوند الجميلة ، يطرده البارون ركلاً من القصر ، ويغمى على كونجوند وتفيق فتلطمها أمها ، ويستحوذ ذعر على الجميع فى هذا القصر الذى كان أهدأ القصور وأسعدها . ومنذ ذلك الحين يمر كنديد بسلسلة من المحن ، هو ومن يعرف ، تكاد تدفع بالمرء إلى الرأى المقابل لرأى الفيلسوف بانجالوس ، وتلقى فى الروع أن عالمنا هو أسوأ العوالم الممكنة . إن القضية الأساسية فى رواية فولتير هى قضية التفاؤل والتشاؤم ، ولكنه يعالج أيضاً عدداً من المسائل الفلسفية كالشر المادى والشر المعنوى ، والإرادة والقدر ، والذرات الحية والنظام الأزلى . ومن المحن التى يمر بها البارون ، وزوجته ، وابنته ، وابنه ، وكنديد ، وبانجالوس ، وغيرهم : الاغتصاب مائة مرة من قبل قراصنة الزنوج ، وقطع الإلية ، واحتمال العذاب على أيدى البلغار ، والجلد والشنق تنفيذاً لحكم محاكم التفتيش ، والتشريح ، والتجديف — كالرقيق — فى مركب ، وغير ذلك من المكاره . ودرس القصة ، كما يقول كنديد فى ختامها : « يجب علينا إن نزرع حديقتنا » ، أو كما يقول مارتن وهو فيلسوف متشائم ، على العكس من بانجالوس : « لنعمل من غير برهنة على شىء ، فالعمل هو الوسيلة الوحيدة التى تطاق بها الحياة » .

ومن عجائب المصادفات أن يوافق عام ١٧٥٩ صدور رواية أخرى لأديب انجليزى هو الدكتور صمويل جونسون ، تشبه رواية فولتير من بعض الوجوه وتختلف عنها من وجوه أخرى : نعنى رواية « راسلاس : أمير الحبشة » ، وقد نقلها إلى العربية الدكتور مجدى وهبة والأستاذ كامل المهندس ، كما نقلها فى ترجمة أخرى (تحت عنوان « الوادى السعيد ») الدكتور لويس عوض . كتب جونسون هذه الرواية الفلسفية التعليمية فى أسبوع واحد لكى يحصل على المال اللازم لدفن أمه ، وسداد ما عليها من ديون . ولكنها جاءت — برغم ذلك — من بدائع الأدب الانجليزى فى القرن الثامن عشر . الرواية مقالة عن اختيارات المرء فى هذى الحياة ، تتألف أساسا — على حد قول بول هارفى — من مجموعة تأملات منسوجة على خيط قصصى نحيل . فالأمير راسلاس ، ابن امبراطور الحبشة ، يملّ مسرات العيش فى الوادى السعيد ، حيث لا يعرف أهله غير تنوعات اللذة والراحة ، فيفر إلى مصر ، مصحوبا بأخته نكاية وفيلسوف واسع الأسفار يدعى إملاك ، فيعكفون على دراسة طبائع الناس فى القاهرة ، ثم يعودون إلى الحبشة ، بعد أن تقع لهم عدة احداث ليست بذات خطر . وتكمن جاذبية الرواية فيما تتسم به من حكمة وإنسانية وحزن رفيق مع ومضات فكاهة تخفف من قتامتها ، هنا وهناك . يعتقد راسلاس فى مبدأ الأمر أن السعادة لابد موجودة فى مكان ما ولكنه لا يعثر عليها فى أى مكان . إن معلمى الفلسفة يتعرضون لعثرات الحظ كغيرهم من الناس . وثَمّ ناسك يشهد بأن حياة العزلة من المؤكد أنها شقية ، ولكن ليس من المؤكد أنها تقية . والغنّى ، فى أقطار الشرق ، يعيش فى خوف من الباشا ، كما أن الباشا يعيش فى خوف من السلطان . والسلطان يعانى من عذابات الشك . والفضيلة لا تستطيع أن توفر لصاحبها أكثر من راحة الضمير ، ولكنها لا تحقق أكثر من ذلك . والرهبان يعيشون حياة شاقة .

والدرس الذى نخرج به من هذه « الحكاية الشرقية » هو ، على حد قول إملاك : « إن الحياة الإنسانية فى كل مكان ليست سوى حالة لابد أن يحتمل فيها الكثير ، ولا يتمتع فيها إلا بالقليل » .

وفى الأدب الغربى الحديث نماذج كثيرة ينطبق عليها اسم القصة الفكرية : « جزيرة البنجوين » لأناتول فرانس ، « الجبل السحرى » لتوماس مان ، « القضية » لكافكا ، « لعبة الكريات الزجاجية » لهرمان هيسة ، « الغثيان » لسارتر ، « الطاعون » لكامى .

فى هذه الأعمال كلها يمارس الأبطال — رجالاً ونساء — حياتهم إزاء خلفية من الأفكار الفلسفية ، كالوجودية أو غيرها . وفى أدبنا العربى الحديث بعض أعمال يبرز فيها عنصر الفكر : من هذه الأعمال رواية « سارة » للعقاد التى تُشَرح عاطفة الحب بمبضع التحليل العقلى النافذ . ومنها رواية « قرية ظالمة » للدكتور محمد كامل حسين ، حيث يتخذ المؤلف من حادثة صلب السيد المسيح ذات يوم جمعة بؤرة تتلاقى عندها قضايا الضمير الإنسانى بين الفرد والجماعة . ومنها رواية « أولاد حارتنا » لنجيب محفوظ حيث يتخذ المؤلف من قصص الأنبياء مفتاحاً لفهم التاريخ الإنسانى ، ويجعل من المرحلة الدينية تمهيداً لانتصار العلم ، وتحقق نوع من الاشتراكية الصوفية يجمع بين توفير حاجات البدن وتلبية أشواق الروح . ومنها رواية « العنقاء » للدكتور لويس عوض ، وفيها يناقش المؤلف قضية العنف ، وهل تبرر الغاية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوسيلة . ومنها رواية « قصة نفس » للدكتور زكى نجيب محمود حيث تتوزع النفس قوى الغريزة والعقل والروح . ومنها رواية « الأسوار » لمحمد جبريل .

وقد كانت السبعينات ـ من زاوية الأحداث التاريخية ـ فترة بالغة الأهمية فى تاريخ مصر ، إذ شهد مطلعها حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وشهد ختامها توقيع اتفاقية السلام مع إسرائيل . كما شهدت تغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية هامة ، كان لها أكبر الأثر فى تركيب المجتمع المصرى ، وإعادة توزيع الدخول . ومن إحدى الزوايا كانت السبعينات إمتداد للستينات ، ومن زاوية أخرى كانت انشقاقاً عليها . وقد انعكست هذه المتغيرات كلها على أدب السبعينات ، قصة وشعراً ومسرحاً ومقالة ونقداً .

ويُلاحظ أنه رغم إشرافنا الآن على نهاية عقد الثمانينات ، لم تبذل (باستثناء بعض جهود متفرقة) أية محاولة شاملة لرصد ظواهر الفكر والفن فى العقد الذى سبقه . ومن المحاولات القليلة التى بُذلت فى هذا السبيل أن ملحق الأدب والفن لمجلة « الطليعة » (فبراير ١٩٧٣) خصص قسماً لملامح القصة المصرية الجديدة فى السبعينات ، فقدّم عدداً من الأقاصيص لأحمد الشيخ ، ومحمود عبد الوهاب ، وابراهيم أحمد ، وسعيد بكر ، ومحمود ماهر الجمل ، وجمال عبد المقصود ، ومحمد مستجاب ، ونعيم تكلا ، ومحمود الوردانى ، ومحمد المنسى قنديل . كان بعض هذه الأسماء ينشر لأول مرة ، وبعضها يكتب منذ الستينات ـ إن لم يكن قبل ذلك . ولكن السبعينات هى التى شهدت ازدهار هذه الأقلام ، أو ازدهار بعضها . وفى الوقت ذاته ظل كتاب جيلين على الأقل ـ جيل نجيب محفوظ من ناحية ، وجيل يوسف إدريس من ناحية أخرى ـ يواصلون عطاءهم القصصى فى نفس الفترة .

ومن منظورى للسبعينات كحلقة وصل بين عقدين سوف أركز اهتمامى على نموذجين لقصاصين هما : نجيب محفوظ ، ويوسف إدريس . لا يعنى هذا ـ بطبيعة الحال ـ إن هذين الإثنين هما الوحيدان الجديران بالدراسة ، وإنما تم اختيارهما لأمرين : الأول ـ القيمة الباطنة لأعمالهم التى سوف أتعرض لها . وثانياً ـ أنهما ممثلان لاتجاهات فكرية وفنية ذات دلالة . من هذا المنطلق سأتحدث عن قصتين قصيرتين لهما .

ـ ٢ ـ

من بين أعمال نجيب محفوظ التى تتدثر برداء الرمز ، ويبرز فيها عنصر الفكر ـ فى السبعينات ـ قصة « حارة العشاق » من مجموعة « حكاية بلا بداية ولا نهاية » الصادرة فى ١٩٧١ ، وقد ظهرت حديثاً على خشبة المسرح . موضوع القصة هو مشكلة الشك واليقين ، وذلك من خلال زوج كان يعيش هانئاً مع زوجته ، وفجأة ـ بلا سبب واضح ـ بدا الشك يداخله فى إخلاصها له ، وتحولت حياتهما تدريجيا إلى حلقة جهنمية من الشكوك والتوترات والغيرة ، يطّلقها تارة ويعيدها إلى عصمته تارة أخرى . وفى الختام يقول الزوج : « لئن تكن زوجتى مذنبة بنسبة ٥٠ ٪ فهى بريئة فى الوقت نفسه بنسبة ٥٠ ٪ . ولأنى احبها أكثر من الدنيا نفسها ، ولأنه لا بديل عنها إلا الجنون أو الانتحار ، فإننى سأسلم باحتمال البراءة » . وعلى هذه الخاتمة التى لا تختم شيئاً ، هذا اليقين الشاك أو هذا الشك المتيقن ، يترك كاتبنا بطله المدعو عبد الله ، أو نحن جميعاً ، إذ كلنا عبيد الله (قارن شخصية « إفريمان » فى مسرحيات العصور الوسطى المعروفة باسم الأخلاقيات) .

تبدأ القصة بالزوجين فى بيتهما بعد خمس سنوات من الزواج . هنية ـ الزوجة ـ هانئة كاسمها ، وعبد الله واجم ، لا يلبث أن يقول حين تسأل عن علة كدره :

« الحق أنى عانيت تجربة جديدة كل الجدة وهى الشك !

هتفت باستياء : الشك ؟

ـ كمن صحا عقب نوم ثقيل على لسعة عود ثقاب مشتعل .

قالت بامتعاض وغضب : اطلعنى على أفكارك أكثر .

ـ قلت إنه الشك وكفى .

فصاحت بغضب : لا أصدق أننى أتلقى منك إهانة صريحة !

ويصارحها عبد الله بما يعتلج فى صدره من شكوك فتثور لكرامتها ، وتترك له البيت ، وهو يرسل فى أعقابها يمين الطلاق .

ولا يلبث إمام الجامع ، الشيخ مروان عبد النبى (وهو فى القصة رمز الدين) أن يعيد المياه بين الزوجين إلى مجاريها ، فتعود هنية إلى منزل الزوجية .

لكن المشكلة تتجدد مرة أخرى . ويقع الطلاق من جديد . وفى هذه المرة يتوسط الأستاذ عنتر ، وهو مدرس (يمثل العقل) حتى تستأنف الحياة بين الزوجين مجراها .

وللمرة الثالثة يقع الطلاق . ويزور مراد عبد القوى — شيخ الحارة — البطل ، ويدور بينهما نقاش يقرر عبد الله فى أعقابه أن يسترد زوجته . ويسأله شيخ الحارة وهويهم بالذهاب : « وهل أنت سعيد ؟ » فيبتسم عبد الله ابتسامة لا تخلو من حزن ويقول : « بنسبة لا تقل عن ٥٠ ٪ » .

من الواضح أن هذه القصة — كما يقول الدكتور عبد القادر القط فى دراسة له عن نجيب محفوظ عنوانها « قضايا أدبية » — تقف مترددة على عتبة الرمز : فالشخصيات والأحداث لا يريد بها الكاتب « مجرد الواقع بل يتخذ منها رموزاً ودلالات تتجاوز وجودها الواقعى الى الكشف عن قضايا نفسية وفكرية أكثر شمولاً من الواقع المحدود » . والقضية هنا هى نسبية المعرفة ، واختلاف زوايا النظر إليها ، واستحالة اليقين ، مما ينتهى الكاتب معه إلى اصطناع موقف براجماتى يحكم على الأمور بثمارها الواقعية : فالثقة أروح من الشك ، وأدعى إلى الطمأنينة النفسية وانتفاء التمزقات . ومن هنا يؤثر عبد الله أن يفترض براءة زوجته ، ولو لم يكن من ذلك على يقين .

— ٣ —

وندع نجيب محفوظ إلى يوسف إدريس فنجد له قصة عنوانها « أنا سلطان قانون الوجود » كُتبت فى السبعينات . منطلق القصة حادثة واقعية هى مصرع مدرب الأسود محمد الحلو على يدّى أو مخلبىّ — الأسد سلطان فى السيرك القومى بالعجوزة ذات يوم من عام ١٩٧٢ . يختار الكاتب هذه اللحظة النفسية لكى يعمق من خلالها قضية العلاقة بين المدرب والأسد ، بين الإنسان والوحش ، بين العقل والغريزة ، ويحاول استكشاف ما دار بعقل المدرب فى اللحظات التى سبقت مصرعه .

حين يدخل المدرب قفص الأسود ويغلق الباب عليه ، يتولد فى وعى الراوى حسٌّ غامض بأن كارثة ستقع . إن توتراً غامضاً يسود السيرك هذه الليلة . يقول الراوى : « من أين جاءنى ذلك الشعور أن شيئاً ما سيحدث ؟ ملت على جارتى أهمس بألفاظ فإذا بها تنظر إلى باستغراب حقيقى فهى الأخرى كان لديها نفس الشعور . المسألة إذن ليست وهماً . هناك فى الجو شىءيخيم » . وهذا الشىء — كما يتبين فيما بعد — هو أن المدرب شعر لأول مرة بالخوف من الأسد ، وبذلك فقد سلطانه عليه : « الأسد ملك الغابة لأنه ملك الإحساس . خطره الأعظم أن لديه القدرة دائماً أن يعرف على وجه اليقين إحساس من أمامه . وإذا اشتمّ أنه خائف منه انقض عليه . فالغابة ليس فيها إلا المخوف والخائف ، تلك هى العلاقة الوحيدة ، ذلك هو القانون الأعظم » . ومن هنا كان عنوان القصة : أنا سلطان قانون الوجود .

والجديد الذى يأتى به الكاتب هو أنه يتخذ من تعمقه أحاسيس المدرب ، بل وأحاسيس الأسد أداة لاستكشاف قانون البقاء ، وتحليل انفعال الخوف ، وتقييم العلاقة بين الأنا والآخر . لم يكن سلطان — فى رأى يوسف إدريس — يريد عض مدربه أو قتله . إن الأسد ، كالكلب ، حيوان وفى ليس الغدر من طبعه . كان يريد فقط أن يتيقن من أن مدربه سيظل محتفظاً بسيطرته عليه ، فلما وجد المدرب يتراجع خوفاً لأول مرة ، تولته الحيرة ، وتحطمت صورة البطل الذى طالما علّمه أن يحترمه ، فاندفع ينهش لحمه ، ويعيد إقرار قانون الغاب السابق لأى تدريب تلقاه . مات الحلو فى المستشفى ، ومات الأسد فى قفصه بحديقة الحيوان كمداً واكتئاباً — وأكاد أقول ندماً . فقد اختل التوازن الدقيق الذى كان يحكم العلاقة بين المخلوقين .

فى هذه القصة — كما فى كثير من أقاصيصه — يبرع يوسف إدريس فى الوقوع على ما يمكن أن نسميه : اللحظة الدالة ، اللحظة الدرامية المكثفة التى تتجمع فى بؤرتها أشعة الوجود ، وتتراكم فى ساحتها قوى الغريزة والعقل والوجدان ، وكأنما الكاتب يقدح شرارة فى ظلمة الوعى ، تجعلنا نرى الأمور واضحة لمدة لحظة ، وذلك قبل أن ينطفىء اللهيب ، وتعود بنا الحياة — بروتينها الرتيب — إلى مستوى الخدر والبلادة واللامبالاة الذى نقضى عليه قسماً كبيراً من حياتنا .

— ٤ —

والقضية التى تطرحها هذه النماذج من القصص الفكرى هى : إلى أى مدى يجوز للأديب أن يقتحم ميدان الفيلسوف ، ويستقى مادته من أفكار مجردة كالشك عند نجيب محفوظ ، والخوف عند يوسف إدريس ؟ الإجابة هى أن الفكر حق مطلق للفنان كالوجدان ، وأن القصة الفكرية جنس أدبى مشروع له مكانه . والشرط الوحيد الذى يحق لنا أن نتطلبه هو ألا تجىء شخصيات الأديب دمًى مجردة من الحياة ، وأفكارا تسير على قدمين ، وتصورات ذهنية باردة ، وإنما تجىء كائنات حية تسرى فى عروقها الدماء ، وتصرف كما يتصرف البشر ، وتجسد — من خلال أفراحها وأتراحها — وضع الإنسان فى هذا الكون .

القاهرة : د . ماهر شفيق فريد

ARCHIVE
https://Archivebeta.Sakhrit.com

الشعر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورقة من كتاب الأندلس	عبد العزيز المقالح
مواجهة	عبد المنعم الانصارى
الليل والشتاء	جلال عبد الكريم
فراق الوردة	محمد يوسف
منظر جانبى	محمد فهمى سند
مشهد من مسرحية ما	نصار عبد الله
للعصافير كلام ولقلبى اغنية	صلاح اللقانى
الحدود تراود ابناءها	ناجى عبد اللطيف
لغة الحجارة	محمود العزب
رئـــم	كمال عبد الرحمن البدوى
اطفال سعد زغلول	درويش الاشيوطى
مريم والطلق الأبدى	خالد ابو العلا عبد الغنى
المراة الاستثناء	محمد محمد الشهاوى
ظل الليل	مدحت قاسم
تـــامـــلات	محمد البدرى
هـــنـــد	مختار عيسى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ورقة من كتاب الأندلس

عبد العزيز المقالح

(١)

نحن فى حضرة الموتِ .
منذ متى والصداقةُ فى حضرة الموتِ ،
منذ متى ؟
ما الذى قد تبقّى لنا .
ما الذى قد تبقى لها ؟
جادكِ الغيث يا أرض اندلس .
وأنا ..
أخطأتنى سهامُ العدوِّ .
وما أخطأتنى سهام الصداقهْ .

(٢)

وسْط صحراء مبتورةٍ من سياق الزمانِ .
يضيق الصدى .
يتلاشى المدى .
يأخذ الصمتُ شكلَ خيولٍ تموتُ .
ولون قبور تقومُ .
الأصابعُ تحلم أن تصل الجمر بالبحرِ .
والبحر بالجمرِ .
أن تتلمس عبر الرمال الكئيبة بوابةً ، انْ ...
وتفقد غرناطةُ دارَها .
تفقد البحر والخارطهْ .

(٣)

جادكِ الغيث يا أرضَ اندلسٍ .
أفُقٌ يتساقطُ .
نعشٌ يسيرُ .
ومن ضجر الموت يخرجُ وجهُكِ .
يدخلُ فى وجهِ بيروتَ .
ـــ يختلطانِ ـــ
ملامح مقبرة ، صورة لصديق قديمٍ .
وذاكرة تتسكع فوق السياج الملوّنِ .
باحثة عن جريحٍ يحاصره الأصدقاءُ .

(٤)

أيها القلبُ .
كن واحداً فى مساحاتِ حزنكَ .
فى أبجديّةِ رفضكَ .
كن سيداً فى خطاياكَ .
لا تقرب النهر إلّا وحيدَ الخطى .
وامنح الخوفَ خضرةَ عينيكَ .
لا تقتربْ من كتابِ الزحامِ .
ولا تلتجئْ لدُخانِ المرايا .
ولا تأْمَنَنْ فى المدى أحداً .
وانتظر لحظة الموت وسط العراء الكئيبْ .

صنعاء : عبد العزيز المقالح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مواجهة

عبد المنعم الانصارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحبُّ يأخذ منى فوق ما يهَبُ
فكيف يزوَرُّ عنّى حين اقتربُ
وكيحف ألقى بسرِّ النار فى يده
وليس فى داره زيت ولا حطبْ
يا من يفكُّ حروفى من محابسها
ومن يكون معى لو أفرط الغضب
واو قفوا أغنياتى فى موانئهم
ومرَّ من بابها الأفيون والذهب
وأطبق الصمت من حولى فلا ألم
يهزنى فى لياليهم ولا طرب

* * *

لا يملك السيفُ إسكاتى ولا الذهبُ
فكيف بالصمت والأحلام تغتصبُ ؟ !
والبغىُ يأخذ منّى دونما ثمن
ما جمَّعَ القهرُ فى جنبىَّ والسَّغب

وما يزال المرابى يستبيح دمى
كما استباحت شبابى عاهر جُنُب
أقسى من الموت صمتُ الناطقين إذا
تبوأ العرش فى أيامنا الكذب
وحوَّلَ النهر عن مجراه وابتعدت
به الخُطى وتوارت خلفه السحب

* * *

قد يُصلح الأمر فيما بيننا عتبُ
لو يكشف النور ما تأتى به الرِّيَب
يا اخوتى أىُّ سر فى تباعدكم
وليس فى رئتى سُلٌّ ولا جربُ
وهل وقوفى بوجه البغى أفزعكم
فشئتم الصمت والأرواح تنهب ؟
وان تهوَّرْتُ من منكم يكون معى
ومن إليه غداة الهول انتسبُ
ومن يصلى على روحى إذا سقطت
شهيدةً وإمام الحق مغتربُ ؟

عبد المنعم الانصارى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

والشتاء الليل

نجمة ونهر

هل كان النهرُ دماء حين اندسّت فى لُجّته النجمةُ
واشتعلتْ
هل كان النهر دموعاً حين انكسرت فى صفحته النجمةُ
وانطفأت
هل كان ضياءُ النجمةِ خيطا فى قلبى
فى قلب الشجرةِ والأرضِ وماءِ النهر ؟ ، وحباتُ العقدِ انفرطتْ
هل كانت هذى النجمة طير الروح ، وقد متُّ وحيداً فى ضفة صمتى
حين رحلتُ ورَحَلَتْ ؟
ولماذا أُبعث فى جوف شتاء الكون الآن لكى أذكرها
وسماءُ الليل وراء الغيم احتجبت ؟

امرأة وشاعر

المرأةُ دقّت حتى صارت مثل حفيف الذكرى فى أغصان الليل
تبغى اللحظة أن تسكنها
فتصير الجسد الحاضر فى حلم الشاعر
الشاعرُ كان بسيطَ الحسره

جلال عبد الكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبسيط الحلمِ
الشاعر كان بسيط الحزن ولا يطمحُ إلا
أن تحمله قدماه مسيرةَ ليلٍ ويعودْ
والمرأةُ مثقلةٌ بغواياتٍ ووعودْ
وبثمرٍ يتوحشُ فى وحدتها
وبشهد يتحدد فوق العودْ
ويجفّ إذا لم ينظره الشاعر

* * *

المرأة فى شجرتها تجلس
والشاعرُ فى الليل يسافرْ

قـــــــمران

قمرٌ يصعد لسماء الليل وحيداً ، وجميلاً
والأرضُ فضاءٌ
يتزيّا بالضوءِ وحزن الغيمِ ، وينظر فى كونِ الأحياء
ما من أحدٍ رد النظرة غير الشاعر ،
والساهر دون غطاء

القاهرة : جلال عبد الكريم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فـــراق الـــوردة

محمد يوسف

سيدةُ النَّبع الصافى
تطلعُ من ضلع النور بصدرى
قمرى ورغيفى
شعرى ونزيفى
وتُهلُّ على أيّام ــ العُمْر
تهلّلُ كالوتر المخبوء
بقلب الصفصافِ .

* * *

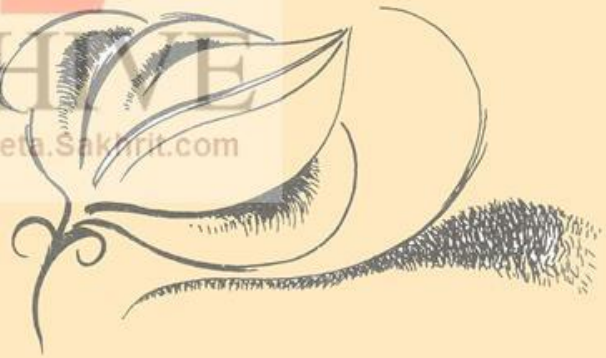

ماءٌ يتسرّب من ذاكرة الرَّمْل :
ــ هنا الحزْنُ المتكلّسُ كالصَّخْرةِ
ــ لا تحزنْ
قالت سيّدة النَّبْعِ الصافى
ــ الجبَلُ ــ الوتدُ
ــ النّارُ ــ الجَسدُ
ــ الرّوح ــ المدَدُ
ــ هنا المجذوب العاشقُ يسقينى
من دمع الأصدافِ

وينحتُ من جبروت البَحْرِ
وسرِّ الزرقة
سُلَّم موسيقى
ويشقّ طريقاً
لدموع المجدافِ
ــ لا تيأسْ
قالت سيّدة النَّبْع الصافى
ما بين ملوحة ماء البحر
وما بين عذوبة ماءِ النَّهْرِ
وصالاً يتآخى النَّوْرسُ ويمام النِّيلِ
كأن البرزخ شمس دليلى
وسنبيلُ سبيلى .

* * *

....

....

الجَبَلُ الرابضُ خُطَّافُ
والجسد قِطافُ
والرّوح طَوافُ
فاختر ما شئتْ
قالت سيّدة النَّبعْ الصافى
وأنا أَعرُجُ بين المالح والعَذْبِ
وأقضمُ هَسهَسة العُشْبِ
وأرحل فى شجر الصفصافِ .

الكويت ــ محمد يوسف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

منظر جانبى

محمد فهمى سند

لم يكن مولعاً ،
بالنجوم الطوالع فى عتمة الليل ،
كان يحنُّ إذا أقبل الغيمُ ،
والتفَّ حول العيونِ ،
وسدَّ النوافذَ ،
حتى تظلّ النجوم مشرّدة فى الفضاء .
لم يكن يعشق الطيرَ ،
تمرح بين المسافات ،
تنصب بين العشاشِ ،
موائدَهَا وابتساماتها ،
تحضن الفجر تحت الجناحِ ،
وتغمس فى الضوء منقارها ،
تعزف الحبَّ تغريدة للسماء .
لم يكن يستريح لمرأى المحبّين ،
يحتضنون الوجودَ ،
يغنّون للكونِ ،
تسبح أرواحهم فى عيون الصفاء .
لم يكن يعرف الزمَن المستدير ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقلّب أوجه كل الدروب ،
فتبدو على البعد مفتوحةً ،
ثم تبدو على القربِ ،
موصودة بالمحالِ ،
فيسقط بين براثنها قشّةً ،
تتأرجح فى هسهسات الهواء .
إنّه بين أعيننا ضاحك ،
قانعٌ باستطالة لحيته ،
يرتوى بالتمسُّح فى مشية الشيخ ،
يحمل مسبحة وبطاقة حزب ،
نقوداً يغطّى بها أوجه المرجفين ،
الذين يقولون :
« إنّ الزمان اسْتَدَار .
وأصبح وجه (يهوذا) ،
كوجه (يسوع) » ،
يرتّلُ مزموره ،
بين عشّاقه فى الصباح ،
ويمسح كل ضباب المرايا
إنّه مُولعٌ بالظلام ،
يكوّمه بين فكّيه ،
يستولد الأفعوانَ ،
وينفث فى الصمت ،
بركانه الدموىّ ،
يمزّق أوردة النّور ،
بين عيون الضياء .
ضاحكٌ للجميع ،
يخبّىء مُدْيَتَهُ بين أنفاسه ،
تتلوَّنُ بالموت كل زفير ،
وتثقب صدر المدى بالنّزيف ،
تشكّل خلف المقاعدِ ،
رأساً ،
وكفًّا ،
وأرغفة للجياع ،
وسوطاً يكلّم بعض الظهور ،
بأن الزمان استدار ،
فأصبح ضوء النّهار ،
يباع لأغربةٍ فى دروب الوباء .
لملمتنا يدُ العابثين ،
بخيط الوظائف ،
ذات خريف ؛
فحدّق فى لقمة بيدى ،
واشتهى أن تكون له فى الغداء .
ظلّ يحملنى فوق كفّين :
كفّ تهدهدنى فى الصباح ،
وكف تجهزّ خنجرها ،
فى المساء .
كانت الريح تهمس لى :
إنّ قلب البراكين ممتلىء بالجحيم ،
وصفحته تنبت القمح ،
تجرى عليها المياه ،
وتضحك فوق جوانبها طيبات الثمار ،
ويسكن فوق ثراها الغناء .
واعَدَتْنى ابتساماته بالربيع ؛
ففتّحتُ للزّهر قلبى ،
ولكنه أغمد الليل والنّار ،
فى نبضات العروق ،
إذا الصيف جاء .
حين سالتْ دمائى ،
على قنوات الحقول ،
تسلّل يفتحُ أوردةً فى فؤادى ،
ليسحب منها الدماء .... ! .

القاهرة : محمد فهمى سند

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مشهد من مسرحية ما

نصار عبد الله

× — كم مرّ على موته ؟

● — لا أعلم كم

لكنّ بغاث الطير عليه ألَمّْ

× — هل غسلوا جثته أم ... ؟

● — ما غسّلوه وما كفنوه ... ولمْ

مازال السهم المغروس ،

ومازال عليه بقايا الدم

× — ماذا مِن ثم ؟

ماذا بعد رحيل الفارس تم ؟

● — لا شيء سوى أن الأحزاب ...

الأحزاب ائتلفوا حين الفارس غابْ

ثم اختلفوا حول الأجدر بالألقابْ

ثم ائتلفوا

ثم اختلفوا وتواصوا بالقدح وبالذّمْ

× — يا منبئَ قلبى بالنبأ الموجع .. لا ... لا .. لا

بعد رحيل الفارس هذا أثقل هم .

(ستار)

أسيوط : نصار عبد الله

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

للعصافير كـــلام ولقلبى أغنيـــة

صـــلاح اللقـــانى

للعصافيرِ كلامٌ ، ولقلبى أغنية
وأنا أستلُّ شمسى من نهاراتى
وأنمو مثلَ ذَنْبٍ
فى حدود المعصيهْ
وأنا أحبو على أضلاع نَهْرٍ
لم يشقَّ السيلُ مجراهُ
ولم ترسمْهُ كفُّ الريحِ
وَسْط الأوديةْ
وأناأخرج من جسمى قليلاً ، كُلَّ حُزْنٍ مَرَّةً ،
كى أُمْسِكَ العصفورَ من طَرْف الغناءْ
وأصلِّى للذى داسوه تحت الأحذيهْ
وأنا أشتبكُ الآن مع الوردِ
وأطفو

فوق ناقوس الدِّماءْ
أبصرُ الأشجارَ تجرى
حين مَرَّ الحُلْمُ فى بوق النّدَى
فشدا قلبى
وطارت من مناقير الحمامات سحابهْ
أَوْقِدِ المصباحَ تلك الأُمْسِيهْ
للعصافيرِ كلامٌ ، ولقلبى أغنيهْ

سوف آتيك مساءً
نرفع الأوراق عن توت الجَسَدْ
فنرى القُبَّةَ تزهو
بهلالٍ غامضٍ
ونرى حارسة الوقتِ
تلمُّ الضوء محروساً
على نَهْدٍ نَهَدْ

هذه منزلتى
بين نار صُفِّيت ..
حتى استحالت وردةً
مفروشةً فى كأس خَوْدٍ
نام عنها الليلُ ،
أو نامت عن الليل ، استقرّت فوق رُمْحٍ
واستراحت للأبَدْ
ووعول تَرِدُ الماءَ زُرافاتٍ
وتغفو قرب أسوار البَلَدْ .
هذه منزلتى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

جَرَسُ الماء يَرِنُّ
الفتياتُ اشتقن للبحرِ
طيورٌ من زَبَدْ .
مطرٌ يسقط من شَعْرٍ وَلَدْ .
أوْقد المصباح تلك الأمسيهْ
للعصافير كلامٌ ، ولقلبى أغنيهْ .
قمرٌ فى الماءِ ، شمسٌ فى الشَّجَرْ
فلماذا أظلم العالمُ فى شِعْرى طويلاً
وأضاء الحزنُ حبّاتِ المطرْ ؟
ولماذا حينما استيقظتُ من نومى
وجدتُ النومَ قد حَلَّ على كُلِّ البَشَرْ ؟
كم من الضوضاء تكفى كى يفيقَ الخَلْقُ
كم عُمْراً سنرفو منه جُرْحَ الوقتِ
كم يحتاج ثوبى من إبَر ؟!
نام عن ليلاه قيسٌ
واشتكتنا الريحُ للأغصانِ
واغتمَّ الحَجَرْ
فدع الأموات ترحلْ فى سلامْ
سوف ألقاكم خلال النار تصطفّون فى لَحن
وتنشقّون عن بدر التمامْ
سوف ألقاكم عرايا من حطام الأمسِ

تهتزون مثل الريش فى صدر الحمامْ
أوْقدِ المصباح تلك الأمسيهْ
للعصافير كلامٌ ، ولقلبى أغنيهْ
عُمْرنا أطول من أفراحنا
وقليل أن نحبَّ الآن حتى مطلع الفجر
قليلٌ أن نخون الذاكرةْ
عُمْرنا أقصر من شهوتنا
وكثيرٌ أن يمرَّ اليومُ إثر اليومِ
لا تنفجر الوردةُ حول الخاصرهْ
فافتحى الباب قليلا
كى ترى روحى طلوعَ الصُبْح من جسم امرأه
اتركى ما بين ضلعين فضاءً
كى تقيمَ النارُ وَسْطَ المدفأه
اتركى نافذةً للبحرِ
كى يضربَ قَلْعَ الروح فوق الرُكْبةِ اليمنى
وخلِّينى .. كما خلاَّ الندى
تاجا على زَهْر
وشمساً مطفأةْ
أوْقدى المصباح تلك الأمسيهْ
للعصافير كلامٌ ، ولقلبى أغنيهْ .

دمنهور : صلاح اللقانى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الحـــــدود
تـــراود أبنـاءها

ناجى عبد اللطيف

لماذا أراكَ على البُعْدِ دوْماً ..
بلونِ السَّفرْ ؟
تقولُ المطاراتُ ..
إن الحدودَ تغيِّرُ لونَ الفؤادِ .. ،
بلون الطريقِ ..
وإن القلوبَ على شكلها المستعارِ تقعْ .
فعند الحدودِ ..
نُغَيِّرُ عملةَ ذاكَ الطريقِ بجرحِ الوطنْ .
وعند الحدودِ ..
تخاصمُ وجهَ البلادِ عيونُ القمرْ
لماذا أراكَ على البُعْدِ دَوماً ..
بلون المطرْ .؟
يقولُ السحابُ .. ،
بأن البناياتِ دوماً تُطلُّ .. ،
وتزحفُ فوقَ الحقولِ .. ،
يغادر أعشاشه الطيرُ
يسرقُ منّا الفؤادَ .. ،
ويطلبُ حقَّ اللجوء .. ،
إلى أغنيات البناتِ .. ،
وبوح القمرْ .

لماذا أراك على البُعْدِ دَوْمَاً ..
بلون الخطرْ ؟

تقولُ الحدودُ ..
بإن المسافةَ ما بينَ قلبىَ .. والاغنياتِ ..
تطولُ .. تطولُ ..
بطولِ المدى . ،
(والمدى ساحةُ لاغتيالِ القصيدِ .)
لماذا أخونك عند انتحارِ القصائد ..
عند ابتداءِ الممات الوئيدِ .. ، ؟
لماذا الحدودُ تحاصرُ أيامنا بالرجوعْ . ؟
لماذا الحصارُ بشكلِ الرحيلِ .. ، الرحيلُ بشكلِ اللقاء .. ،
اللقاءُ بشكلِ الحصارِ .. ، الحصار بشكلِ الحدودِ .. ،
الحدودُ تراودُ أبناءها ، كى تمرَّ ؛ لتهربَ صَوبَ الشمالِ
البعيدِ .. البعيدْ . ؟
أقولُ .. أقولُ ..
بإن المسافة .. ما بينَ بينى .. وبينى .
وبينى .. وبينَ صحابى القدامَى .،
تكونُ بلونِ الفؤادِ الوليدِ ..
بلون الحريقِ . ،

إسكندرية : ناجى عبد اللطيف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لغة الحجارة

محمود العزب

أحجار هذا الشرق من ذهب وياقوت .
فَغُضَّ الطرف يا زمن البيانات العقيمة والخَدرْ .
واخشع مليًّا ! هذه لغة الحجارة تَنتصر .
فتزغرد الدنيا .. وتخضر الفيافى .
يحمل الأطفال اقلاماً من الحجر المسافر عبر تاريخ الحضارة .
فاحفظ حجارة بيتك .. التاريخُ أحوج ما يكون إلى الحجارة .
أحجار هذا الشرق صارت مثل كحل العين ..
تعشقه النساءُ ..
شارات حُسنٍ ... هذه لغة الجمالِ .
وتلك أغنية الجسارة .
أحجار هذا الشرق قُدَّت من لهيب الفجرِ .
صيغت من دماء الأنبياءِ .. ومن دموع الأبرياءِ .
أحجار هذا الشرق سجِّيلٌ وجمرٌ ..
والسماءُ .. طيرٌ أبابيلُ « انتفاضتُها » قَدَر .
أحجار هذا الشرق أقوى من رصاص الغدْرِ .
فالحرية « انتفضت » تصلّى الصبحَ .
كان وضوؤها بدم نقيٍّ .. فانتظِرْ .
ياناعقاً يغتال صوت مؤذن الفجر الوليدْ .
فى ضفة النهر المقدّسِ ..
تلك أصوات الحجارة شيّبت زمن التخاذل فاندَثَرْ .
والاقحوان شدا .. وغنّت أعين الصحراء .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تلك الأرض تعرف لونها وتردّ غائلة الذئاب عن القمر .
والاقحوان شدا ..
وكل حبيبة نسجت حكايتها ..
فصار العشق معنىً لا يقرّْ .
إلّا إذا اخضرّت حقول القمحِ ..
وامتلأت بطون الجائعين
وصلّت الأشجار ملء شواطىء الترع الصغيرةِ ..
وازدهرْ .
معنىً جديدٌ للحياةِ ..
لقول « لا ! » يا جاهليَّةَ قرننا العشرينَ ...
يا وأْدَ الحقيقة فى رحاب القدسِ ...
يا عُرْىَ الزُّناة على عباءتكم دماء العرضِ ..
يا صمت التواطؤ .. تلك أصوات الحجارةِ ..
أغلقوا آذانكم .. صمُّوا نوافذكم .
وموتوا فى فراش الدفءِ ...
موتوا ... لا مفرْ .
أحجار هذا الشرق تلقفكم .. فمرحى يا زماناً .
أنطقت فيه الطواغيتُ الحجرْ !
أحجار هذا الشرق عرّت كل أصوات الطبول الفارغَهْ .
أحجار هذا الشرق آتيةٌ على زمن الحرامِ ...
على طواغيت الفجورْ .
أحجاره قدّيسة .. لكنها إمّا تثور .
فهى المخاض ..
فهى المخاضُ ...
فهذه الأرض الفتيّة تعلن الميلاد راضية .
وتصرخ ... فهو صوت الزلزلة .
يا ايها الانسان كُنْ .
يا ثائراً للحقّ كبرِّه ! . لا تَهُن !
تَنُّور بيتك فجرَّ الطوفانَ .
فاتْلُ البسملة .

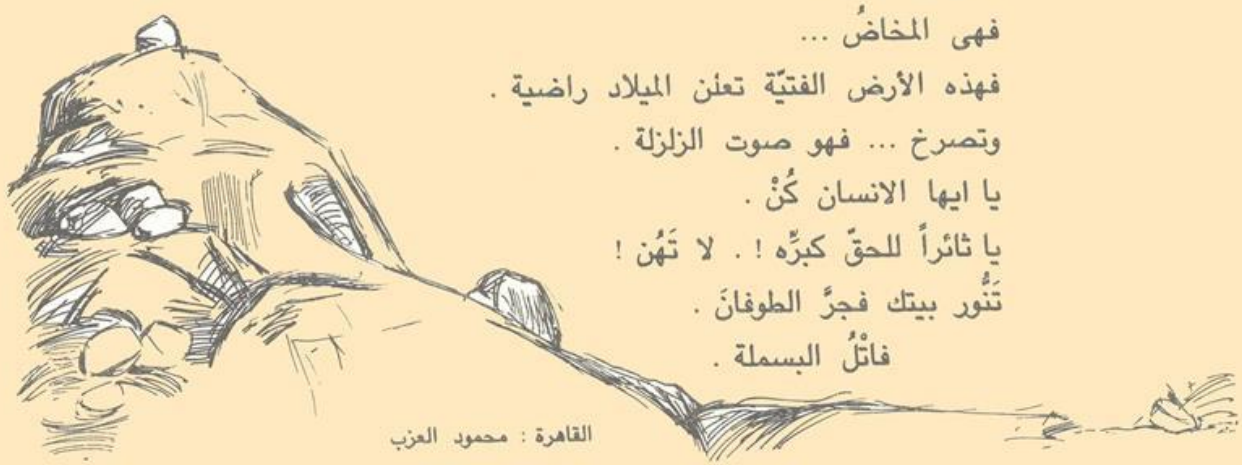

القاهرة : محمود العزب

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

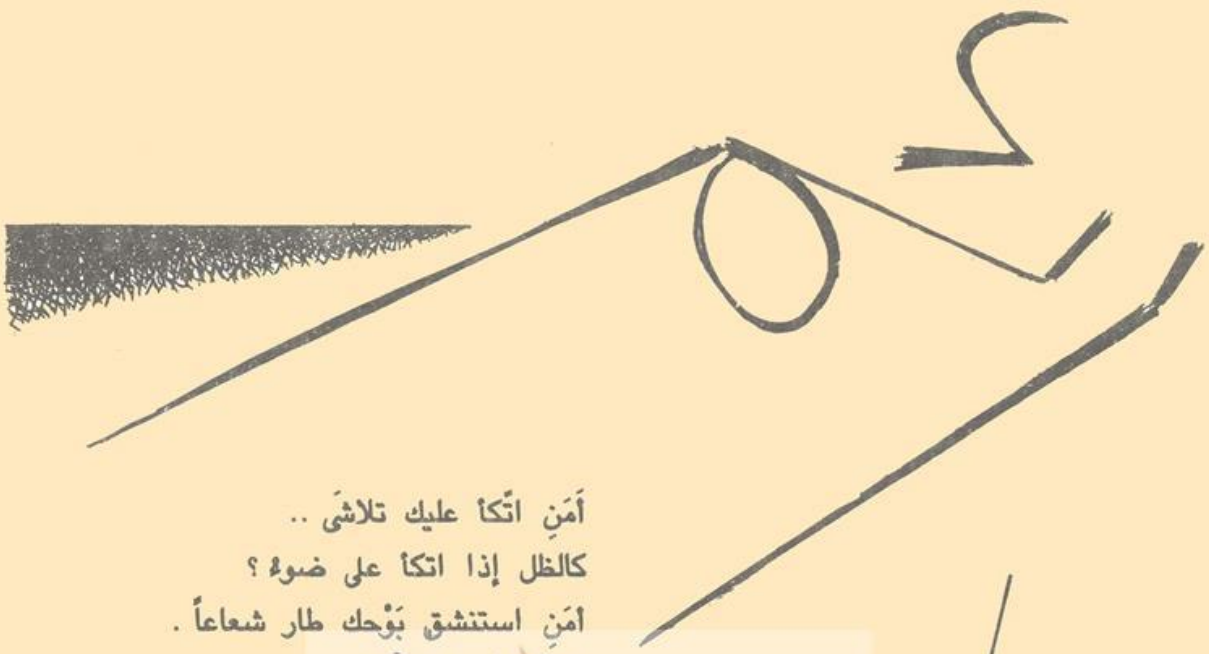

أَمَنِ اتّكأ عليك تلاشَى ..
كالظل إذا اتكأ على ضوءٍ ؟
أمَنِ استنشق بَوْحك طار شعاعاً .
وتبدّد فى الملكوتْ ؟
أمن استلهم أبعاد البحر بوجهك .
ماد وما التَّمْ !
أمن اتكأ عليك ..
تهاوى فيكْ ؟

رئمٌ .. يتهادى .. يغمرنى .
أتوشّحُ بالكلماتِ البِكرِ .. يجادلنى .
أتحيرُ فى لغةٍ لا تفصحُ .
أستجدى لغةً أُخرى .
رِئمٌ .. يغمرنى .
يتسرَّبُ مِن جِلدى لدمى .
ويرينُ نُعاساً فى عينَىْ ..

شَكِّلنى يارِئم ..
من طمى الأرضِ قواريراً .. فى حانٍ أندلسىّ .
شكلنى إبريقاً مملوكياً ..

كمال عبد الرحمن البدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حجراً فى زاويةِ جدارٍ أُمَوِىْ ..
مِئذنةً طولونيه ..
تمثالاً إفريقياً .. بوحاً هيروغليفياً .
دَرَجاً فى كاتدرائية نوتردام ..
شكّلنى من طمىّ الأرضِ .. ووهجِ الأحلامْ .
شكّلنى يا رئم ..
من ماءِ البحرِ سحابا ..
فى ماءِ البحرِ شعاباً ..
وعلى المرفأِ زَبَداً ..
شكلنى من لفظةِ (كُنْ) .
أطلِقْنى .. أبداً .

قُل : باسمِ مَدًى يمتدُ بوسع العينين .
قلِ : باسمِ امرأةٍ يطلعُ فى مطلقِ نهديها الوردْ .
قل : باسمِ حصاةٍ ..
تذكر وطأَ نبىٍّ فوقَ نبوءتها ..
أدخلِنى مُدْخَلَ عِشقٍ يا رئمُ .
وأخرِجْنى ..
موجاً عن ساحِلِهِ يرتدّ .
قُل : باسمِ الأَحَدِ الفردِ توكّأتُ عليكْ .
ظِلاً يتّكىءُ عنى ضوء .
قُل : سرِّبْنى عكسَ مسارِ النهرِ .
وأَبرِئنى ضِدْ .
قُل واستبشِر .

• • •

بازغةً فى صدرى كلماتٌ تُفصِحُ .
التمعُ وأُصغى ..
احكم يارئمُ ..
ونورٌ يتسرَّبُ فىَّ ومِنىَّ .
أتوهَّجُ ..

ما اسطعتُ وما خِفتْ ..
آنستُكَ نُتَفاً من ثلجٍ .
يتهاوىٰ فى وَهَجِى يا رئمُ .
فخبِّئْنى فى أُفقِكَ غَيماً ..
دثِّرنى بسماواتِكَ ..
واصفَحْ ..

قُلْ : لا أحدَ سِواكَ يُسَرْمِدُنى يارِئمْ ..
ثم استُرْ عورةَ حُزنِكَ واتبعنى .
ظِلاً ..
شباكَ هواكَ افتحْهُ علىْ ..
واتبعنى .. أنتَ نبىُّ الظِّلْ .
اتبعنى ..
شباكُ هواكَ افتحْهُ علىَّ أنا وحدى .
شكّلتُكَ .. فاخلع نعليكَ .
اخلعْ بَدَنَكَ عن روحِكَ ..
واصْفُ .
اتبعنى ظِلاً أبدياً .
كى تسكُنَ فىْ ..

دمنهور : كمال عبد الرحمن البدوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أطفال سعد زغلول*

درويش الاسيوطى

من حيثُ تجىءُ العتمةُ جاءوا .
شُعْثاً غُبْرا ...
عاشوا كلَّ الأزمنةِ الموبوءةِ .
شهدوا بالعين مصارعنا .
فانطمستْ ...
ما كبروا كالأطفال ولكنْ ..
أنضجهم حزنٌ مبهمْ ..
.....
يزدادُ الخوفُ بأعينهم .
فيزيدُ سوادُ اللوحةِ .
والعتمةُ تصبحُ
أعينَهم ..
لُعْبتَهم ..
وحوائطَ حارتهم ..
.....
تبدو فى اللوحةِ ..
بقعةُ ضوءٍ أسودَ ..
من أين يجىءُ الضوءُ الأسودُ ؟
من قلبى ؟
أم من أعينهم ؟

اسيوط : درويش الأسيوطى

* سعد زغلول : فنان تشكيلى مصرى معاصر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مريم والطلق الأبدى

خالد أبو العلا عبد الغنى

خالد أبو العلا عبد الغنى

مريمُ ..
هُزِّى جِذْع النخلةِ .. ! .
هزِّى .. يوماً .. عاماً .. !
هُزى قرناً .. !! هُزِّى حتى الساعة .. ! .
أبــداً .. ،
يسّاقط جُوعٌ ممزوجٌ بالظمأ ،
ولا تنتظرى رُطباً ! ،
فالنخلةُ ماتت مِنْ زمنٍ ...
والريحُ أطاحت بالنطفه ..
هذا زمن الطَّلْق .. الطلق .. الحمل الكاذب ..
زمن الأرحام الثلجيَّه ..
ونساءٍ ملفوفات .. ببكاراتٍ مطاطيَّة ...
مريم ..
هذا زمن الفوضى .. !
والأنصاف البشريَّة والموتى .. !
مريم ..
هُزّى ما شئتِ ... انتظرى ..
أبداً ،
لن يأتيكِ الطلقُ .. الوجَعُ الممزوجُ بدَمْ ..
أبــداً .. !
يا مريم لن تلدى شيئاً ..
لا تنتظرى ..
أيجىء مخاضٌ مِنْ رحمٍ عاقر ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المـــرأة الاســـتثناء

محمد محمد الشهاوى

لِيَنْهَمِر الشِّعْرُ بالأغنياتِ الجديدةِ بينَ يديها طويلاً طويلاً
ألا ..
وليؤسِّسْ على قدرها لغةً وعروضاً جديدين يستحدثانِ :
مقاييس أخرى ..
وذائقةً ..
وعقولا .

هى امرأةٌ تُشْبِهُ الشمسَ إلاَّ أفولاً .
على شاطىء الألَقِ المترقرقِ .
ــ مُفْعَمَة بلهيب الوضاءةِ ؛
مترعةً بأريج الأنوثةِ ــ
تترك أعضاءها ليد السِّحْرِ تَرْسُمُ فى جسمها الغضِّ .
أحلى الأساطير !! ماذا يقول لسانُ المزامير عنها .
إذا ما أزاد لَنا أنْ يقولا ؟ ..
هى امرأة تشبه المستحيلا .
...
...
...
هى امرأةٌ يَشْرَبُ النُّورُ من قدميها [اللّتين تذوبانِ فيه] ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كؤوسَ السَّنَى والنَّدَى كىْ يبلّ الصَّدَى .
والمغنِّى هنالك ــ مُحْتَدِماً بأُوار التراتيلِ ــ
يرسلُ للانهائىِّ أبْهَى المواويل ..
وهْو يناغم رقرقة الضَّوْءِ إذْ يتدحرجُ وفَوْقَ حِبَالِ المْدَى .
ليعانق فى وجنتيها الصَّبَاحَ الجميلا .
وسيِّدَةُ النور تَعْلَمُ أنّ القصائدَ مِفْتَاحُ بابِ الدخولِ .
إلى باحةِ المطلقِ المتهلِّلِ ..
وهْىَ تودُّ الدخولا .
...
...
...
هى امرأةٌ لم تراودْ سوى الحلم عَنْ نفسِهِ ؛
وفتاها توزّعه الحلمُ وحّدهُ والشذى ..
والجوى ..
والنحولا .
فأغرَقَ كلَّ الجهات أفاويقَ وَجْدٍ بِهِ ما به من ضنىً لن يحولا .
أجلْ ..
إنه موقفُ العِشْقِ والتَّوْقِ ..
والسُّهْدِ والْوَجْدِ ..
والشَّدْوِ والشَّجْو ؛
فَلْيَشْهَدِ الشِّعْرُ أنَّ المغنِّىَ مازَال فى حَضْرَةِ الشَّوْفِ .
يتلو كتاب مواجيدهِ ..
وفِدا مَنْ أحَبَّ يموتُ قتيلاً .
...
...
وياسيِّدِى الوجْدَ .
إنَّ لنا مَوْعداً : عقدتْهُ العيونُ .
ووثّقهُ الصَّمْتُ .
والصَّمْتُ أبلغُ قيلا .
...
أحبّكَ يا سيدى الوجْدَ / يا ذا الخليلُ الذى لم يملَّ الخليلا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أحبكَ ..
فاكْتُبْ إلى الْعُمْرِ أغنيتى ..
عَلَّهُ ــ رَحْمَةً بالمحبِّينَ ــ ألَّا يزولا .
هى امرأةٌ تشبه المستحيلا .
هى امرأةٌ قد تفرّغتِ المعجزاتُ لتشكيلها .. والمقاديرُ .
دهراً طويلاً .
...
هىَ امرأةٌ .
...
هى امرأةٌ ؛
وجميع النساءِ
سواها ادّعاءُ .
لها البحرُ ــ مِنْ قبْل بلقيسَ ــ عرشٌ ..
وكلُّ المياه إماءُ .
يخاصرها الموْجُ .. فى نَهَمٍ .. مُمْعِناً فى الصبابةِ جيلاً فجيلاَ
أقايضُهَا بدمى .
وجميعِ دَفاتر شِعرى مقابلَ .
أنْ
أتريّض عبْرَ فراديسِ أبهائها ؛
أنْ .
أجوسَ خلال أقاليم لألائها ؛
أن .
أسوح بأغوار أغوارِ آلائها .. أوْ أجولا .
أقايضُها بدمى وجميع دفاتر شعرى مُقَابلَ أنْ أتملّى مفاتنها .
بُكْرَةً ..
وَأصيلا .
هى امراة مِلْءُ أعطافها عَبَقٌ يستدلُّ عليها به مَنْ يودّ الدليلا .
هى امرأةٌ تُشبه المستحيلا .
هى امراة تشبه المستحيلا .

كفر الشيخ : محمد محمد الشهاوى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

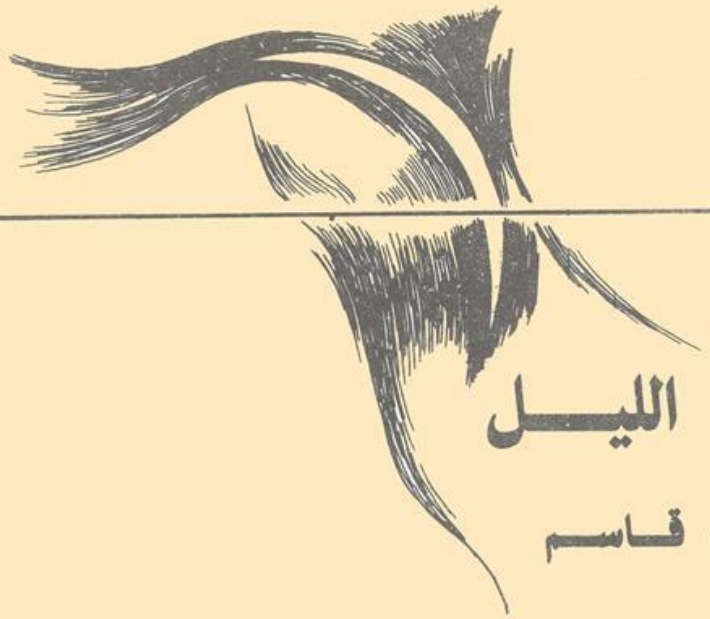

● ظـــل الليـــل

مـــدحـــت قـــاســـم

تُقْبِلُ نَحْوِى فى الحُلْمِ كَزَهْرَةِ فُلٍّ
تَخْتَنِقُ بِعُرْوَةِ ثَوْبٍ وتَحِنُّ إلى البُسْتَانْ
نَتَحَاوَرُ فى صَمْتٍ ، نَتَوَحَّدُ قَدْرَ الإمْكَانْ
وتَهُزُّ إلىَّ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ ، نَأْكُلُ مَا يَتَسَاقَطُ مِنْ رُطَبٍ ،
نَغْتَسِلُ بِضَوْءِ الشَّمْسِ ، نُرَتِّلُ سِفْرَ الغُرَبَاءْ
نَتَزَامَنُ والحُلْمُ بِرَحِمٍ يَتَآكَلُ فِيهِ الأبْنَاءْ
نَتَحَضَّرُ كَالنَّبْتِ البَرِّى عَلَى الفِطْرَهْ
مَا بَيْنَ الشَّهْقَةِ والمِيلادْ
تَكْتَمِلُ الدَّوْرَهْ
يَتَدَلَّى الثَّمَرُ عَلَى الشَّجَرِ النَّائِمِ فى اسْتِرْخَاءْ
لكِنَّا حِينَ صَحَوْنَا ودَنَوْنَا بَعْدَ اللَّحَظَاتِ الأُولَى
لِنُنَسِّقَ بَيْنَ الخطْوَيْنْ
بَدَتْ الأرْصِفَةُ الدَّكْنَاءْ
تَتَلاَشَى فى قَاعِ العَيْنْ
وَتَبَاطَأَ كُلٌّ حَتَّى يَبْتَعِدَ الآخَرْ
فَلْتَدْمَغْنَا الطُّرُقَاتْ
وَلْيُسْكِرْنَا الجرحُ الغَائِرْ

القاهرة : مدحت قاسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

١ —

مرآةٌ مهشّمةٌ عطشىٰ
الصورةُ فيها تتجلّىٰ
حزمةَ ضوءٍ
عاشت كلَّ هموم الأرضِ
حلمتُ بأنّىَ صرتُ اللوحةَ
لا أدرى
إن كنتُ أنا
المتجلّى فى سَوْح اللوحةِ
أم انَّ اللَوحةَ كانت
حلْماً لا أكثر ..

٢ —

كانت تخطو
اللهفة أكثر إشراقاً
والعودةُ ناقوسٌ يعوىِ
والرغبةُ
بين ثنايا الحرقةْ
وخفايا اللهفةِ
تغفو
تتعرّىٰ فى وجهِ الشارعِ
فهو المتفرّجُ والمسرح ..

٣ —

فى أروقةِ الدير
فقَيهاً كنتْ
تتوسّدُ ترحابَ الوحشةِ
تفترش اللهفة محراباً
تصرخُ
ينتفضُ الديرُ
يجىءُ الصمتُ
حذار .. حذارْ
انْ تتخذ الوجدَ مآباً ..

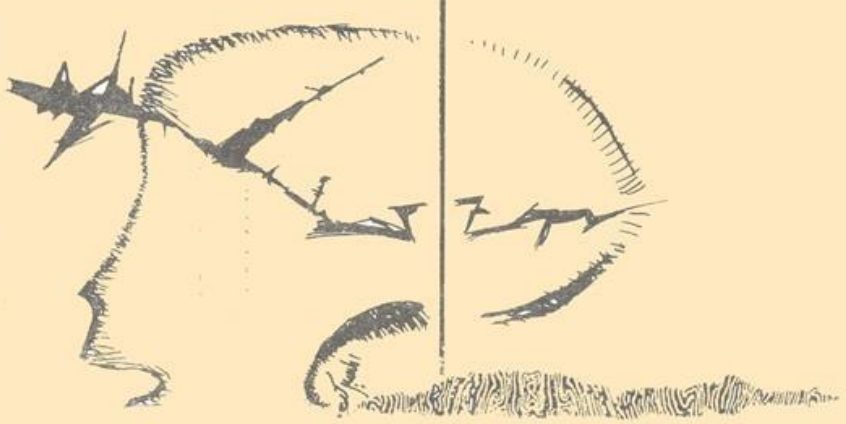

العراق — محمد البدرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● هـــــند

مختـــار عـــيسى

(١)

« المحلَّةُ » تنْفضُ عَنْ كَتِفيْها النُّعاسَ ،
الحوانيتُ تخلعُ ليلاً طويلاً ،
وتمسحُ أرْفُفَها المُتْرباتْ ..
بالَّتى رشَّتِ الضوْءَ والزَّهْرَهَاتِ الأليفَةَ ..
فوقَ نُهودِ الصَّبايَا ..
الملاءاتِ ،
والنسوةِ الطَّازجاتْ ،
المَوَاقِيتُ صاحتْ
تَثَاءبَ دِيكٌ ،
وأذَّنَ فى مُقْلَتَىَّ ،
وفَارَ النَدَىٰ ! .

(٢)

و « هندُ » ،
تقاسَمَها اللَّيلُ والوحْشَةُ الباردةْ .
فى انتظارِ المُقسِّمِ أرْزاقَهَا والصَّبايَا ..
(اللَّواتِى احترفْنَ الجلوسَ إلى حُزنهنَّ ــ عَلَى عتباتِ النَّهارْ ــ :
يُضفِّرْنَ صمْتَ المدينةِ ــ تلكَ التى لا تَمَلُّ الكلامَ ، إذا أشْعَل
الصُّبحُ أطْفالَهَا .. وقعقعَ فوقَ حديدِ الصدور قطارٌ ، وفار الغُبَارْ !) .
: « سيأتى ــ كعادتِهِ كلَّ فَجْرٍ ــ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقىءُ الشحوبَ ،
صفوفاً تزيَّتْ بالاصفرارِ ،
ويُلْقى لهُنَّ صِحافَ الطِّعامِ ،
يمُدُّ الموائدَ فوقَ الرَّصيفِ ،
ويرمى بأطباقِهِ المُتْرعاتِ ..
بكلِّ فُنونِ الطُّهاةِ ،
وفاكهةٍ من حديثٍ طويلٍ ..
عَنِ « القاهرةْ ! » :

* («تورَّدَ خدُّ الجميلةِ عنْدَ المساء
وكانت تقاسمُ أضيافَهَا السائحينَ .
فِراشَ البهاء ،
وزعردَ فوق السريرِ العَلَمْ ! ») .

.....

* (« سليلُ النبوَّةِ ــ آخرُ ترْنيمةٍ للاله ــ ،
يباركُ رهطاً مِنَ الرَّكعينَ ،
ويفتحُ كنْزَ التَّراتيلِ والأدعيةْ .. ؛
ليوقظَ (مصرَ) ــ التى لمْ تَنَمْ ! ــ ») .

.....

* (« أميرُ الكتابةِ ــ هذا الملوَّنُ أوراقَنَا .
بالدَّهَشْ .
ربيبُ المحافلِ والأنديَةْ .
تفضَّلَ ــ جلَّت رُؤاهُ ــ وآثَرَنَا بالحديثِ
اللَّطيفِ ،
تبسَّمَ فى وجْهنا المُسْتريبِ ، وهَشْ .
تحدّث باللُّغةِ المُلْهَمَةْ ..
عَنِ الصُّبحِ ينبُتُ مِنْ ضِلعِ نيلٍ كَريم .
عَنِ اللَّيلِ : كيفَ قَضَتْهُ الملايينُ تملأُ .
أكْياسَهَا بالرِّمالِ ،
بحبَّاتِ خطَّتِنَا القادِمَةْ ! ») .

(٣)

تصفُّ الجَرَائدَ « هندُ » ،
وتنْشُرُ ـ فى صفْحَةِ الصُّبحِ ـ ما قَدْ تراهُ . .
يشدُّ المُشَاةَ لعُنْوَانِها .
وتستفتحُ الرِّزْقَ ـ ذاكَ الَّذِى فى السَّماءِ البعيدْ ـ
(بالَّذِى هُوَ خيرْ) .
تَمَنَّى : تعودُ ـ إذا أطفأَ اللَّيلُ شمْسَ الرَّصيفِ ـ
إلى الوَلَدِ المُسْتحَمِّ بَأَدْمُعِهِ السَّاخِنَات .
بِمَا يمنحُ القَلْبَ هَدْأَتَهُ التَّائِهَهْ . .
منذُ غَابَ « الكبيرُ » ،
وأوْرَثَهَا ـ فوقَ عُودٍ نَحيلٍ ـ ،
وعينينِ لا تصْمُتَانِ ،
وتَعْويذَةٍ شَائِهَهْ . .
حَفْنَةَ الكِبْرِيَاءْ !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٤)

يفورُ الفؤادُ ،
تَعَارَكُ فى نبْضها الذِّكْرَياتُ :
— أُسافرُ ،
— ..... ؟ ! .
— أحْلبُ بعْضَ السِّنين
فهذى البلادُ تَدُعُّ اليتيمْ .
وتَرْمى بأثْقَالِها فى الفؤادِ الكليمْ .
— ..... ؟ ! .
— أُقَايضُ قِطْعَةَ عُمْرٍ . .
بِقِطْعَةِ صُوفٍ ... ، .
— ..... ؟ ! .
— وَبَاب نُغلِّقُهُ فى المساءِ عَلَيْنَا
ونَفْتَحُهُ فى الصَّباحِ الرَّحيمِ ،

أُسافِرْ .
فَمَا عَادَ فى البيتِ صَبْرٌ ،
ومُرٌّ هُوَ الجُوعُ يا « هند » ،
سُوسٌ وينخر عَظْمَ الرِّجالِ ،
هُوَ اليُتْمُ ــ غَيرَ الذَّى تعرفينْ ــ
وهَذِى البلادُ تدُعُّ اليتيمَ ،
وترمى بأثقالِها فى الفؤادِ الكليم ،
أُسافرْ ،
وآتِيكِ أَكْبَرْ .

ــ وغابَ الكبيرُ ،
و« هندُ » تَقَاسَمهَا اللَّيلُ والوَحْشَةُ الباردةْ !) .

(٥)

يفورُ الفؤادُ :
تقولُ العجوزُ :
(.. وَهِنْدٌ » صَبيَّةٌ ــ تفتّحَ بُسْتانُها واستطابَ ،
هَنِيئاً لِمَنْ يَدْخلون
هُنَا النِّيلُ فَاضَ ــ هُنَا يَسْبحونَ ــ ،
هُنَا الزَّغَبُ المُشْرئبُّ ، هُنَا يَرْكُضُونَ ــ
سلامٌ عَلَى النَّهْدِ حين استفاقَ ،
فَطُوبى لِمَنْ يَدْفعُون » .
.. تقولُ العجوزُ ،
وتحلُمُ « هِندُ » :
« الكبيرُ » أَتَى ..
تُنسِّقُ أعْضَاءَهَا المُرْهَقَةْ ،
تَقَافَزُ تحتَ القميصِ الشَّفِيفِ ،
وتهْدِلُ فى ضِفَّتَيْها :
« ــ أَيَا سيِّدِى ، ..
لَكَ ما تُريدُ .
جِنانٌ وَبِيدُ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزرعى ومائى
لكِ ما تودُّ .
نخيلٌ وورِدُ ؛
فملكُكَ هِنْدُ ،
وطوْعكَ هِنْدُ ،
و ..... ») .

(٦)

يَمُرُّون ، لا يُقْرِئُون السَّلامَ ،
وَلَا يعْرفونَ مِنَ البنتِ غيرَ الحُروفِ الثَّلاثَةِ ،
غيرَ الَّذِى يشتهون .
وتلْقفُها الغُرَفُ الفارهاتُ ،
الكفوفُ الّتِى لا تصومْ ،

(٧)

« المحلّةُ » تخلعُ أضْوَاءَهَا ،
تَتَأهّبُ ،
تدخلُ تحت الغِطاءْ .

(٨)

عَلَى ضِفَّةِ الرُّوحِ صَفْصَافَةٌ ..
تعدَّدَ فى ظلِّهَا المُرْهقون .
وَفِى بَاحِةِ القلْبِ قَرَّتْ حَمَامةْ .
وهَندُ احتواها الهديلْ .
فأعطتْ سمَاءَ « المحلّةِ » ــ تلكَ الَّتى عَشِقَتْهَا الزَّمانَ الطويلْ ــ
جَنَا حَيْنِ مِنْ فِضَّةِ الفقراءِ ،
وَمِنْ دَهْشَةٍ لا تزولْ ! .

المحلة الكبرى : مختار عيسى

* * *

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تـــنداری *
(٢)
ســـــيرةُ الاعـــــتراف

مهدى محمد مصطفى

فى فضاء الموتِ تمشى ، كصباحٍ شاحبٍ ، عابرَةً بين جبالٍ من ظلامٍ ، دخلتْ فى ظلِّها المكسورِ ، بَصّتْ خلفها ، شافتْ بقايا مطرٍ فى غُرَفٍ تبكى ، وكانَ الصّمتُ أشباحاً ، ولم يَبْقَ من الماضى سواها ...

* « تتسلَّلُ من التاريخ ، تَصِيْدُ الحنينَ من العواصفِ ، تنامُ قربَ رنينِ المعبدِ المجروحِ ، تسَّاقط الأجراسُ ، تلمُّ اسمالها ، وتنهضُ عاريةً من الأيامِ — لا أيامَ لها لا تاريخَ — يَعَضُّ الفضاءُ جبينَها ، يغرسُ فى تجاعيدِ وجهِها مُدَىً تذبح الزغاريدَ من حلمها .. تتداعى ويداها ممسكتانِ بشبّاك الأفولِ .. ترى النهاراتِ نائمةً على صافرات الفُلْكِ ، والليالىَ جثثاً مرميّةً على درج الظلامِ ، وزبدَ الموج اسئلةً .. تلوّحُ بالوداع ..

فتحبو على ركبتيها ، تُجمّعُ ما تناثرَ منها ، ما تناثر فيها ... !!

رائحةُ الخوفِ ، وجهُ البخورِ ، نهاراتُ العشاقِ ، جلالُ الموت ، وانفجارُ الحياةِ ، بيارقُها فى الحروبِ ، غناؤها فى الأمانِ ، انهارُها ، صحراؤها ، وحْلُها ، وبياضُ الأفقِ ، قاتلوها وقتلاها ...

فلا تُمسكُ غيرَ زوالٍ .. وسواها ..

* المقاطع التى بين علامات التنصيص مقاطع نثرية .

يتناسلُ الغيابُ فى جسمها ، تنزفُ أعضاءها ، عضواً فعضواً ، تلوّحُ للطوفان أن يبقى قليلاً ، يبلّلُ جرحها بموسيقى الرمادِ ، فيعلو الموجُ ثملاً بالغناءِ ، تسكبُ بين فخذيها صرخةً ، تدخلُ ذاكرةً عمياء .. »

تفرحُ أن وجدتْ ذاكرةً بكراً ، فتسوّى حُلُمَاً وثريّاتٍ ، ونقوشاً ومعابدَ وحقولاً ، ومحبّينَ وأنواراً ترقصُ تحتَ الماءِ ، وأبواباً تدخلُ منها الأشجارُ حدائقَ . فتدوّن تاريخاً وتفسّر كيف تكون مسيرتُهُ ... تبصرُ صوتاً أبيضَ ، ودبيبَ خطىً .. تتقاربُ .. تتدانى .. تتغابرُ .. تتقاصى .. صرختْ هل أحلمُ .. ؟ .

— لا .. هو ذا الوجهُ الغابرُ يأتى ، يفتحُ مِشكاةَ الرُّوحِ ، يَحُطُّ على شبّاكِ الشجرِ الآفلْ ..

— هل أحلمُ ... ؟

— تتغابرُ خطواتُ الأصواتِ .. أراها

خلفَ ورائى وأمامى .. أتمايلُ فى الريحِ ،

أشدُّ بعينىَّ كهوفاً من جسدِ العُتمةِ ،

تدخلها أرحامُ السنواتِ ، أرانى أبعدُ منى ،

ومزنّرةً بى عشرُ نجيماتٍ سُودْ ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

هنا أو هناك ، قبابى مضمّخةٌ بالسقوطِ ، واشباحُها تتراقصُ فوق نوافذها ، شجرى يترمّلُ ، اسماؤه تمّحى ، مطرى هاربٌ ، حنّتى فى يديه ، دمى كان باباً دخلتُ .. « انا » باحةُ الوقتِ ، كوكبُ الصمتِ كيف حللتُ .. ؟

والسماواتُ أمٌّ تتجوّل فى احلامىَ .. كيف اسقطُ الآن فى الزوايا ميتةً ، لحظةً فى إثرِ لحظةٍ ، غير روحٍ تقومُ ، وتركضُ فى مِزقى نجوماً .. »

فألُمُّنى من شهقة فى زهرةٍ ، وشوارعٍ هرمت وصبوة عاشقين ، ألُمُّنى ، أانا التى .. ؟ غسقٌ ينامُ على يديها ، يشتهى جسدى ، يضاجعُ ما تبقّى من جنونى .. ؟

« ها انا ، تناثرَ كل شيءٍ ولم يبق منّي سواى ، كرصاصةٍ لا تنطلقُ ولا تموتُ ، رصاصةٌ في جعبةِ المحاربِ . المحاربُ الذى محى من خندقه وراء الرمل اسم حبيبتهِ ، وتزوّج انتظارَ الموتِ ، واقفةً بين يديك يا بحرُ ، وثَمَّ عاشقٌ يدحرج صمتَهُ ويرمى المدائنَ فى الفناء .. »

ربما حنَّ إليها ،
فى صباحاتٍ قَديمةْ
ومشى فى الشارعِ الليلىِّ يبكى عاشقيها
هل لها فى قمرِ الحَانةِ عشاقٌ وموتى .. ؟
بينما الحانةُ تنسى كأسَها بين مَرآى الليلِ ،
أجراساً من النزفِ ، وأجراساً من الخوفِ ،
نمت عيناهُ كأسين من الصمتِ ، جوادينِ ،
يسيران إلى جمر السؤالِ ، ..
لحظةً فى سنواتٍ غابراتٍ ،
رَقَصَتْ فوقَ الرمادِ

* « وها أنذا .. انحنى للرياحِ ، وأحشو جراحىَ خِرَقاً . من رعب التاريخ ، وارقص فى شبقٍ تحت بناياتى ، أُزايلُ ابوابى ، اراها تتطايرُ ، وتُغلَقُ .. تتطايرُ ، وتُرشقُ فى الغيم . أُخلَقُ وجه حنينى .. وأبقى والموتى بين الحوائط نرقصُ النهاياتِ .. » .

البداياتُ تئنُّ ،
النهاياتُ ترِنُّ ،
وانا بينهما خيطٌ ،
من المنفى أَعِنُّ

* « والطوفانُ يرمى سفينَتَهُ للهاويةِ ، ويَنْفضُ من جسمِهِ الأسماء ، ينامُ تحت شجرةٍ مّا ، يتوسّدُ الحنينَ .. وزبدُ الموج يلوّحُ بالوداع .. »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

أأنا .. ؟ أعرفنى فى صرخةٍ تبحثُ عن أرضٍ .
سماءٍ كوكبٍ يشربُ ، خوفى وفنائى .. ؟

حينما تعبتُ ، قعدت تحت ظل حائط مرتبكٍ ، لمحتُ
نقطةً بيضاء ، تبينُ وتختفى
خلف ساحلٍ أسودَ ، عصبت
رأسى بيدى ، حدقتُ .. رأيتُنى
أبين وأختفى ، فقطعت مابينى ، وبينى وبدأتُ فى محو ذاكرتى :

١ — تندارى .. إسمٌ له رائحةُ
الوحلِ والبياض ، يمضى
يظلّلُهُ الصمتُ والرماد .
٢ — يَكبرُ الندمُ الذى جاء صغيراً ،
٣ — الشوارعُ التى كانت بين الله
والمنفى والحقول ، انزوت فى
زقاقٍ معتم ، لذا جاءها الطوفان .
٤ — العرّافُ ..... والكاهِنُ والحاكمُ يرسمون الآن صَمْتِى ...
.....
.....
.....

٥ — الذى جاء ، لمَ يدخلِ المدينةَ وظلَّ مُعلّقاً فوقَ أسوارِها .
٦ — المرأةُ التى أكلتْ من الشجرةِ
لم تَلِدْ .
٧ — القوانينُ والعلمُ .. ذهبا
يتنزهانِ فى حدائقِ العساكرْ .
٨ — ها أنا .. أبدأُ فى الأفولِ
وإسمى يلوّح بالوداعِ .

وفى آخر الرغبةِ امّحى ، أتذكّر مرمرىَ القديمَ ، قبابىَ ، نقوشى جبال الليالى ، النهاراتِ الميّتةَ ، رَغْبتى فى الجنسِ ، لُصُوصِى ، وحُكّامى خُرافاتى واغتصابَ أعضائى ، رائحةَ البردِ ، أتذكّرُ وأَشْربُ من ثدى الوداعِ — الوداعَ والُوحُ للبحرِ أن يَسْمَعَ خُطَى .. دَمِى .. !! » .

القاهرة : مهدى محمد مصطفى

البر الغربى

« انطباعات قارىء إبداع »

سيد جاد

توفيق حنا

صدرت هذه المجموعة من القصص القصيرة عام ١٩٨٨ باسم احدى قصصها « البر الغربى » فى سلسلة « قصص عربية » ، وهى المجموعة الثانية لمؤلفها سيد جاد . اما المجموعة الأولى « الجدار » فقد صدرت عام ١٩٦٣ .. وهكذا نرى ان خمسة وعشرين سنة تفصل ما بين المجموعتين .. ومع هذا البعد الزمنى تنتمى قصص المجموعتين إلى جيل الستينات .. اى إلى نفس الجو الأدبى وإلى نفس المناخ الفنى والانسانى .. وإلى كل الخصائص التى تميز جيل الستينات سواء من حيث الشكل او الموضوع .. او المضمون ..

ولا أدرى لماذا اجد نفسى وانا اذكر جيل الستينات اتذكر معه جيل الأربعينات .. واحس إحساساً قوياً ان هناك علاقة حميمة بين هذين الجيلين .. وكان جيل الاربعينات كان يحمل فى اعماقه جنين جيل الستينات .

ونحن فى حاجة إلى دراسات نقدية شاملة لهاتين الفترتين فى تاريخنا الحديث .. لا فى مجال الإبداع الفنى أو الأدبى او التشكيلى فحسب ، بل فى كل الوان النشاط الانسانى .. حتى تتضح ملامح وقسمات تاريخنا القومى الحديث بكل تياراته وموجاته .. ما خفى منها وما ظهر .

وهذه الانطباعات التى أسجلها هنا عن مجموعة « البر الغربى » تعبر عن مدى اهتمامى بإبداع جيل الستينات .. هذا الجيل الذى يضم الكثير من الأصدقاء الذين اعتز بهم وبما قدموه من ابداعات فى القصة وفى الرواية وفى الشعر والمسرح وفى فنون التشكيل والموسيقى وفى الفنون الشعبية .

* * *

بدات قراءة هذه المجموعة من نهايتها .. اى بقصة « ام الخير » .. لعله لون من الوان التمرد على كل ما هو واقع .. وما هو مقرر .. وما هو مفروض .. ودفعتنى هذه البداية الطيبة إلى قراءة كل قصص « البر الغربى » (خمس عشرة قصة) فى جلسة واحدة .. وكنت مشدوداً لمتابعة الفنان بفضل هذه المقدرة على القص وهذه السيطرة على كل خيوط اللحظة موضوع القصة . وهذا الاسلوب الشاعرى الذى يصور مشاهد هذه اللحظة فى إيجاز بليغ وفى حركة تبدو هادئة وهى فى الحقيقة مشحونة بكل التوتر والقلق والترقب والتشوف .

وتدور هذه المجموعة من القصص فى اغلبها حول الرغبات المحيطة والآمال المجهضة التى يعانيها انسان هذا العصر الحديث .. ما ان يبدا الانسان بالإمساك بلحظة سعيدة وهو فرح بها كل الفرح .. حتى تفاجئه الأقدار فتنقضّ على جذوة هذه اللحظة وتحيلها إلى رماد ..

وفق سيد جاد فى اختيار « البر الغربى » عنواناً لمجموعته القصصية .. فالغرب حيث تغرب الشمس وحيث يدفن المصريون موتاهم .. وكان الفناء هو اللحن السائد والنغمة التى تتردد فى كل قصة .. لهذا نجد القطار الذى يجسد الفراق — او فناء اللحظة السعيدة — بتردد صفيره الحزين فى اكثر من قصة .. بل نجد ان القطار عنوان قصة من اجمل قصص المجموعة وهى « قطار .. الخامسة والربع » .. وسوف اعود إليها بعد قليل .

احب ان اتحدث عن « ام الخير » التى ختم بها سيد جاد مجموعته ، والتى كانت بداية رحلتى .

ما اجمل هذا الاسم « ام الخير » .. وكان اباها — هذا الفلاح الشقى الذى يعانى كل الوان الحرمان — اراد بهذا الاسم ان يعبر عن احلامه ان ياتى مع هذه الطفلة كل الخير وكل الفرح وان تتحقق احلامه فى حياة سعيدة خالية من كل شقاء وقهر .. ومع هذا فقد جاءت « ام الخير » لتعمل خادمة فى المدينة ! .

تلقاها فى الصباح الباكر بعد رحيل سيدتها إلى عملها .. وحيدة .. ولكنها سيدة حياتها ولحظاتها .. إنها تملك حرية الحركة .. هى الآن — بعد رحيل السادة — سيدة بكل ما تحويه هذه الكلمة من صور السيادة الخالية من الشقاء والعناء والعذاب والقهر .. يمكنها الآن ان تنام .. يمكنها ان تطمئن ان ليس هناك من يأمرها بعمل من الاعمال .. إنها سيدة مصيرها .. إلى حين . ولكن هذه الفرصة السعيدة ما كان لها ان تدوم .. لقد تركت السيدة الكبيرة سيداً صغيراً هو طفلها .. هذا الشيطان الصغير الذى اخرج « ام الخير » من جنتها .. وحرمها من جديد حريتها وسيادتها .. لكم عذبها هذا السيد الصغير عذاباً شوه شعورها بحريتها .. ولكنها تنتصر على هذا الشيطان الصغير بحيلة لطيفة تؤكد ذكاء « ام الخير » .. إن سيدتها مدرسة . فلماذا لا تمثل دور المدرسة لهذا السيد الصغير ؟ . لماذا لا تصبح « ابله » — وهى الامية التى تجهل القراءة والكتابة — لهذا الطفل الذى لم يدخل المدرسة بعد .. جاءت « ام الخير » بالورق وبالقلم .. واخذت تحرك القلم كما يفعل المتعلمون .. ونجحت الحيلة مع هذا الطفل الذى لا يقل عنها جهلاً بالكتابة .. وتنتهى القصة والطفل ينادى « ام الخير » كما ينادى التلميذ مدرسته .. ينديها « ابله » وهكذا انتصرت « ام الخير » على هذا السيد الصغير .. بالعلم (او بادعاء العلم) .. انتصرت .. إلى حين .

ويصف سيد جاد كيف جاءت الفكرة لأم الخير : « ما الذى فى مقدورها ان تفعله له ؟ .. إنه ما يزال يتعلق برقبتها يريد ان تحمله او تمرجحه .. لمحت قلما رصاصاً على البوفيه .. فكرت لماذا لا تقوم بدور المعلمة .. حقاً إنها لا تعرف القراءة او الكتابة .. لكن هذا لا يهم .. الطفل ايضاً لا يعرف شيئاً .

وفى المشهد الأخير نرى ام الخير تقول للطفل : « — بص لى هنا علشان تعرف تكتب زيى ... واخذت تحركه على سطح الورقة بتؤدة واهتمام .. وراح سن القلم يرسم خطوطاً غامضة بدت لها اشبه بالكتابة وهى تقول له فى بطء وكأنها تكتب ما تنطق به : اسم التلميذ طارق احمد حسن .. تلميذ شاطر .. يسمع الدرس من ابله .

— انا مين يا طارق .
— انتى ابله » .

* * *

ذات يوم وانا اقف مع احد الاصدقاء فى محطة سان لازار فى باريس .. قال لى هذا الصديق : هل تعرف لماذا يطلق الباريسيون على هذه المحطة ؟ . إنهم يسمونها محطة الخطوات الضائعة .. ذلك لأن هذه المحطة تعتبر من الأماكن المختارة لمواعيد اللقاء .. وكنا نرى فعلاً الكثيرين يذهبون ويجيئون فى انتظار وقلق وترقب .. ذكرت هذه المحطة وانا اقرا قصص هذه المجموعة وبخاصة قصتى « المحطة » و « قطار .. الساعة الخامسة والربع » .

* * *

فى قصة « المحطة » تصوير دقيق شامل للحظة الانتظار .. ويفتتح سيد جاد قصته بهذا المشهد وكأنه لقطة سينمائية بانورامية حيّة :

« المحطة الضخمة تشغى بصيحات الناس وهرولتهم ، ودقات الساعة والميكروفون ورنين الأجراس ووش القطارات .. والدخان .. وسميحة تنقل عينيها فى قلق فى ارجاء الفناء الكبير .. وقد وضعت حقيبتها على الأرض .. لم يات بعد .. وتدق الساعة الثانية عشرة والنصف .. وتضبط ساعتها .. لقد وعدها حسنى بالحضور لوداعها .. احقاً سياتى ؟ » .

اختار سيد جاد مكاناً ملائماً لهذه اللحظة التى اراد ان يصورها بكل تفاصيلها وظلالها .. وهى لحظة الانتظار .... اختار المحطة مكاناً لها عن وعى فنى وإنسانى نفسياً واجتماعياً .. ذلك لأن المحطة تعتبر المكان — الرمز حيث يبلغ الانتظار اقصى درجاته توتراً وقلقاً .. هناك قطار سوف ياتى ويذهب إلى بعيد ولعله يذهب بمن يحمل إلى حيث لا عودة وسميحة وهى تنتظر تتذكر لحظات الحب .. ثم تنظر فى ساعتها ثانية .. وتتكرر هذه النغمة الحزينة التى تعبر عنها هذه الكلمات « لم يات بعد » .. إنها قصة حب عادية .. اصابها الملل — لا من جانب سميحة بل عند الآخر — وسميحة تتساءل « لماذا يسامها بهذه السرعة » .. وتذهب وقد ارهقها قلق الانتظار فتحدّث حسنى فى التليفون فى مكان عمله .. ونستمع هنا إلى كلمات سميحة :

« ماجيتش ليه ؟ .. انا منتظراك من الصبح .. عايزه اشوفك ولو خمس دقائق قبل ما اسافر .... منتظراك .. قوام .. انزل دلوقتى » وأمام هذا الالحاح الصارخ يعدها حسنى بالحضور .. وينظر حسنى فى ساعته .. ويغلق المكتب ويتسلل إلى خارج الشركة فى صمت .

ويصف سيد جاد احاسيس حسنى الذى مات فى قلبه الحب او كاد ..

« وفكر من جديد هل يذهب لوداعها .. ولكن لماذا لم يعد يشعر باية راحة نفسية وهى معه ؟ » .

ويصف سيد جاد المشهد الأخير فى هذا «المارش الجنائزى» الحزين :

« .. ولكنه عندما يصل إلى ميدان باب الحديد وينظر إلى الساعة الكبيرة خارج المحطة يتضح له انه لم يتبق على قيام القطار سوى خمس دقائق » وبعد تردد نرى حسنى « يسرع إلى فناء المحطة ويسأل عن القطار المسافر إلى دمياط .. والناس يجرون هنا وهناك .. القطار » ويلتقط المصور الفنان هذه اللقطة : « سميحة تقف بجوار

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باب احدى العربات فى قلق .. عيناها تقفزان إليه وتصيح فى فرحة ولهفة،لمجرد رؤيته .. وهو يتقدم نحوها .. والقطار يطلق صفارته طويلة حادة تشرخ الوجود والعجلات تتاهب للابتعاد .. ويشير لها بيديه لتصعد العربة قبل تحرك القطار .. وتصعد بسرعة وتقف فى النافذة » .

وتنتهى القصة وهى تحدثه (دائماً هى التى تتحدث فى هذه القصة) :

« اتاخرت ليه ؟ .. خفت ماتجيش .. ازيّك ؟ .. كنت حتفوتنى اسافر من غير ما اشوفك ! .. حاتكتب لى جواب اول ما اوصل ؟ » .

من أقسى لحظات الحب فى حياة الانسان ان يموت الحب فى قلب وهو حى — ما يزال — فى قلب الآخر .. الم اقل لك ان هذه المجموعة من القصص لحنها السائد هو الأمل المجهض .. والرغبة المحبطة ؟ .

* * *

وبعد أن يصور سيد جاد لحظة الانتظار فى قصة « المحطة » يعود فيصور لحظة الوداع فى قصة « قطار .. الخامسة والربع » .. ما ان يتم اللقاء فى هذه القصة حتى يكون الوداع .. لحظة واحدة جمعت ما بين اللقاء والوداع .. لحظة من لحظات الحياة المتميزة .. لحظة تدخل فى نسيج الزمن تفرض وجودها على حياة الانسان .. إنها اللحظة التى توقف عندها كثيراً مارسيل بروست فى عمله الخالد « البحث عن الزمن المفقود » .

يصف سيد جاد لحظة الوداع فى عبارات فاجعة دامعة : « ويتحرك القطار فى بطء وكانه يشعر بقسوة الوداع .. ويسير فى محاذاة شباك القطار كالمسحور « خد بالك من نفسك » .. قالتها بانجليزية رقيقة فيها لهفة وخوف عليه .. وصوت العجلات يرتفع وهى تلوح بيدها الجميلة .. والعربات تبتعد فى انين .. ويدها مازالت تلوح له .. وتلوح له .. حتى تصير نقطة بيضاء على شباك القطار » .

و« فيرا » — بطلة هذا الوداع — فتاة يوغوسلافية جاءت فى رحلة إلى اسوان .. التقى بها الراوى وقضى معها يوماً من ايام بناء السد العالى .. وهى تدرس الأدب العربى فى جامعة بلغراد .. وتقول فيرا للراوى — وهو من كتاب القصة القصيرة — : « إن الشىء الهام جداً بالنسبة لى انك عرفتنى على الأدب العربى الجديد .. قسمنا فى جامعة بلغراد يدرس الأدب العربى القديم .. ويدرس الأدب العربى المعاصر ايضاً ولكنه يتوقف عند طه حسين وتيمور وتوفيق الحكيم .. ولم نقرا بعد لنجيب محفوظ والشرقاوى ويوسف ادريس .. اما الجيل الجديد من الشبان الذى تتحدث عنه فلم نتعرف عليه بعد » ، ويحاول سيد جاد أن يقدم هذا الجيل الجديد فيقول — وكانه ينتزع صفحة من صفحات ترجمة ذاتية — : « .. وتلقى نظرة تعاطف على المجموعات القصصية التى اهداها إليها « الخوف » و « داود الصغير » و « الديك الأحمر » .. ولكن الا تنوى انت ايضاً جمع قصصك فى كتاب ؟ » ، ويكون جواب الراوى « لا ادرى .. مازلت ابحث عن نفسى يا فيرا .. إننى اشعر ان القصص التى كتبتها او التى اكتبها حتى ادباء المدرسة الواقعية عندنا ، والتى صوّرت لأول مرة الطبقات العاملة فى كفاحها من أجل حياة كريمة بصدق ووعى .. عندما اعيد قراءة هذه القصص الآن (والآن هنا تشير إلى جيل الستينات ..) اشعر انه ينقصها شىء ما .. ينبغى ان تكون هناك واقعة جديدة .. لقد تغيرت الظروف وتغيرت انماط الحياة القديمة .. والانسان اصبح اعقد كثيراً مما كنا نراه .. ثم اصطدام المفاهيم الجديدة بالمفاهيم الرجعية .. الانسان ليس ابيض واسود .. كل انسان يحتوى على عشرات الألوان والابعاد والأزمات .. الا ينبغى ان نصور هذا كله ، ونصوره بطريقة غير الطريقة التقليدية » .. وهكذا نلتقى فى هذه القصة القصيرة — التى اراها اجمل واغنى قصص « البر الغربى » — بهذا الحديث عن جيل الستينات .. وعن هذه الواقعية الجديدة التى يحاول الراوى ان يبشر بها .. كما نلمس هذا النقد لمناهج الأدب العربى التى تقدمها جامعات اوربا ..

وتقول فيرا للراوى : « نحن نهتم جداً بما تسمونه انتم .. « الموضوع » .. ولكن لابد من الاهتمام بالشكل والموضوع معاً .. وطبيعة المضمون الجديد تؤثر على الشكل » ولحظة القصة التى تمتلىء بكل هذا الحوار والاسترجاعات هى لحظة يشربان الشاى .. ونرى فيرا « تنظر إلى الساعة فى خوف وأسى .. لم يبق سوى نصف ساعة على موعد قيام القطار .. فلنشرب الشاى » وتبدأ القصة بهذه النهاية : « صفارة القطار فى غبشة المساء .. طويلة حزينة .. ودبيب العجلات .. وعقرب الساعة الخامسة والربع كالقدر .. ووجه فيرا يبتسم له فى أسى داخل كوب الشاى .... وصفارة القطار مازالت تنطلق فى غبشة المساء الهادىء الحزين .. والعجلات تدق الساعة الخامسة والربع كالقدر .... بعد قليل سيقف القطار على محطة اسوان كما وقف أمس ، وفى نفس الدقيقة .. فيرا تقف معه على رصيف المحطة .. حتى بعد ان ركبت زميلاتها تحدق فيه .. ويحدق فيها .. لن انساك ابداً .. ساكتب إليك » .

وهكذا تحكى القصة لحظة اللقاء — الوداع .. والراوى يقول وكانه يريد ان يؤجل هذا الوداع : « الا يمكن ان تظلوا يوماً آخر فى اسوان ؟ » .

وترد عليه فيرا « انا ايضاً اود هذا .. كم انا اسفة لانى لم التق بك سوى اليوم ! .. لن انسى أبداً تلك الاماكن الخلفية التى زرتها معك .. وكم كانت لحظة رائعة حينما كنا معاً داخل النفق بالسد العالى ... نتكلم باعلى اصواتنا .. فى حين صوت العمل الضخم هو الذى يدوى فى اذاننا .. لقد شعرت باننا قفزنا معاً إلى جوف المستقبل » .

* * *

مدينة اسوان هى المدينة التى نلمس وجودها فى خلفية اغلب هذه القصص .. وتكاد تكون هى الشخصية الرئيسية فى هذه

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

المجموعة .. ولعل هذا هو الذى جعل سيد جاد يختار لمجموعته « البر الغربى » هذا العنوان .. والبر الغربى فى هذه القصة مكان يسكنه الأحياء .. يقول سيد جاد فى مفتتح قصته :

« شىء ما كان يجذبنى إلى البر الغربى .. ثلاث سنوات فى اسوان اتوق خلالها للحياة الطليقة خارج الغرف المغلقة .. كنت اتمشّى على كورنيش النيل باسوان فى المساء واتطلع إلى نجوع الشاطىء الغربى حيث لايزال يعيش هناك اهالى اسوان الأصليين باجوائهم وتقاليدهم واساطيرهم العتيقة » .

يقوم الراوى فى هذه القصة برحلة إلى البر الغربى .. ويصف رحلته على صفحة النيل فى هذه الصورة : « تهادى بنا المركب الشراعى وسط النهر فى بطء شديد .. خيل إلىّ انى فى مركب الإله رع إله الشمس فى رحلته اليومية المتانية من الشرق إلى الغرب .. اللغة النوبية التى تهفهف بين شفاه الرجال والنساء ذوات الجلاليب الفضفاضه السوداء تهدهد اذنى بإيقاع غريب حلو .. كل شىء هادىء لا يكاد يتحرك وكاننا لسنا على بعد بضعة كيلو مترات من الحركة التى لا تخمد ليل نهار فى السد العالى والحديد والصلب » .

وتصل المعدية إلى البر الغربى .. ويجد الراوى فى انتظاره صديقه مصطفى .. يعبران الشريط الزراعى النحيل الملاصق للنيل .. ويصف الراوى الطريق بعد ذلك « بدانا نمشى على الرمال الصفراء الممتدة حتى الجبل على يسارنا .. البيوت النوبية مستطيلة مسترخية فوق الرمال .. كلها من طبقة واحدة لكنها ممتدة على سطح الأرض بلا حساب .. والقبة فوق جزء من البيت .. وهناك الفناء المكشوف كبيوت الفراعنة .

خطواتنا تدب فى صمت على الرمال وعلى التراب الناعم ثم على الأرض الزراعية الجافة الشحيحة التى اهملها اصحابها وهاجروا من زمن طويل : .. الصمت ووقع اقدامنا .. فمصطفى صموت مسحوب داخل نفسه ابداً » .

ويحاول سيد جاد ان يقدم لنا صورة شخصية — بورتريه — لمصطفى .. الذى ينتمى قلباً وقالباً للبر الغربى .. : « مصطفى صموت مسحوب داخل نفسه ابداً .

يمشى مذهولاً عن كل شىء حوله .. وحتى عندما التقيت به لأول مرة منذ شهرين كان يجلس بين زملائه المدرسين وكانه يجلس وحده .. يتناقشون .. يضحكون .. يهللون .. وهو صامت فى جلسته .. ينفث دخان سيجارته فى هدوء .. لا يشترك فى الحديث ولا يعلق عليه .. المرة الوحيدة التى تكلم فيها يومئذ عندما انتقل الحديث إلى الكرة .. » .

ويصف سيد جاد الدار التى يسكنها مصطفى :

« وصلنا إلى دارهم .. المضيفة حجرة طويلة جداً .. على الجانبين دكك خشبية مفروشة من اول الحجرة حتى اخرها .. نوافذها تطل ناحية النيل .. الحجرة هادئة منسقة رطبة .. نسمة هواء تجرى بطول الحجرة عبر الفتحات الغربية من السطح المقبىّ ، وعلى الجدران صور كثيرة .. بعضها صور فتوغرافية .. وهناك صور مقطوعة من مجلات وجرائد للسدّ العالى وبعض المناظر الطبيعية الجميلة .. » .

وعن طريق الحديث عن صديق مشترك انكسر الصمت و « البحيرة العجوزة الراكدة تفجرت ينابيعها .. وتدفقت ايام مشتركة لجيل تعلم وتصعلك وعمل فى شوارع القاهرة وحواريها .. وذاق الويل فى تغيير الحياة القديمة » .

ويقول مصطفى وهو يتحدث عن سكان البر الغربى .. عن ابناء اسوان الأصليين .. الاصلاء :

« الحقيقة الأهالى هنا يحبّون المحافظة على تقاليدهم فى الامانة والشرف » .

ويقول له الراوى :

— خيّل إلىّ وانت بين المدرسين انك لا تهتم إلاّ بكرة القدم ..

ويأتى رد مصطفى واضحاً وبسيطاً :

— لعبة جماهيرية .. ثم إنتى لم أعد احتمل ثرثرة المثقفين .

* * *

كان الراوى يريد ان يكتشف هذا البر الغربى ولكنه بدلاً من ان يكتشف المكان نراه يكتفى باكتشاف هذا الانسان الذى يلخص كل ملامح المكان وقسماته وسماته تاريخياً وجغرافياً .. نفسياً واجتماعياً .. وجاءت القصة وكانها صورة شخصية لهذا الانسان الأسوانى الأصيل مصطفى .

وفى نهاية القصة يقول سيد جاد « .. مضى الوقت دون ان اتمكن من التعرف على النجوع ، واتجول فى انحائها كما كنت اريد ، لكنى شعرت اننى تعرفت على احد ملامحها خلال جولتى فى شوارع مصطفى الخلفية » .

* * *

وفى القصة الأولى « فى انتظار الساعة » اسلوب فنى بسيط لم ترهقه او تثقله الأشكال المفتعلة التى يغلب عليها الاصطناع .. وهذه القصة بموضوعها ومضمونها وبعنوانها ايضاً تفسر لماذا افتتح بها سيد جاد مجموعته القصصية .. كانت هذه القصة بمثابة المفتاح الموسيقى لهذه المجموعة .. إذ تصور لحظة قاسية وعنيفة .. لحظة توقع زلزال .. وما يحدثه هذا التوقع من قلق وخوف ومن افتقاد لكل معانى الأمن والاستقرار .. ولعل هذا الاحساس من سمات النفس الانسانية فى هذا العصر الحديث ..

ولما كانت مسئولية الأب اكبر من مسئولية الأم والأطفال .. كان الأب — بطل هذه القصة — اكثر الجميع قلقاً واشدهم اضطراباً . ولهذا عندما نام حلم بالزلزال — والذى يخاف من العفريت يطلع له — إذ راى فيما يرى النائم وسمع : صراخ زوجته واولاده .. والسرير يهتز والدولاب والكومودينو والتسريحة وكل الأشياء تجرى من اماكنها .. الجدران تتشقق .. الكل يجرى نحو السلالم ..

البكاء .. الصراخ يتعالى .. العمارة تتارجح بشدّة كقارب وسط امواج البحر .. الولد الكبير معلق فى حديد السلم المكشوف .. يا إلهى ! . يصرخ صرخة مريعة .. انفتحت عيناه فى رعب ، ثم يقول : « نظر من النافذة .. الكل نائم فى ساعة القيلولة الطويلة » .

كانت هذه القصة ــ النذير « فى انتظار الساعة » هى الافتتاحية التى ارادها عن وعى وعن عمد لمجموعته .. وكانها تشير إلى هذه الرسالة التى تحملها هذه القصص إلى القارىء .

* * *

ولعل المحاولة التى اراد بها سيد جاد ان يقدم تجربة جديدة فى الشكل .. فى لون من الوان التجريب الفنى القريب من التكنيك السينمائى .. هى محاولته فى قصة « صخور شمس يونيو » التى يتداخل فيها الحاضر مع الماضى .. وتتقاطع فيها مشاهد الحاضر مع مشاهد الماضى .. فى المشهد الافتتاحى : « شوارع مصر الجديدة كما عهدتها دائماً فسيحة نظيفة هادئة .. القصور والعمارات الضخمة والفيلات الجميلة على جانبيها .. والفترينات وإعلانات الأفلام .. السيدات والأطفال والرجال الذين يوحون لك بالتورد والسعادة وراحة البال .. واوتوبيس شركة مصر للطيران ينطلق بنا فى طريقه إلى قلب القاهرة » .. وفى المشهد التالى يتذكر الراوى مكان عمله فى اسوان السد العالى « كنت جالساً على صندوق خشبى بجوار سائق السيارة الكراز الضخمة .. لم يكن هناك مقعد سوى مقعده .. الشارع شريط اسفلت لامع بين الصخور متوهج بشمس يونيو ، صاعد إلى اعلى الجبل تلتقى نهايته بالسماء .. السيارة محملة بحوالى خمسة عشر طناً من الديناميت والذخيرة .. الشمس المنعكسة بين الصخور حولنا تزغلل عيوننا بصهدها .. » .. وبينما يستمر خيط الحاضر فى قلب العاصمة .. إذ باسوان بذكرياتها تتقاطع مع هذا الحاضر .. اسوان العمل والمقاومة الشعبية .... وذكريات المعركة .. وهذه السخرية وهو يصور صديقه عبد العال الذى يعمل مدرساً فى ليبيا .. هذا الصديق الغريب الذى لا يتحدث إلا عن مشاريعه واحلامه وتطلعاته وطموحاته الفارغة .. لا يهمه الوطن او ما يحدث لهذا الوطن .. وكانت قمة هذا التصوير السافر بعد جلسة طويلة مع هذا الصديق ــ الذى كان ــ : « وقبل ان اغادر الشقة مال علىّ يقول فى صوت اشبه بالهمس وكانه يدلى إلى بسرّ « ماتعرفش حد عنده حتة ارض يبيعها تنفع ابنى عليها حتة بيت ؟ .. احسن الحكاية دى مدوخانى اليومين دول » ، وهكذا صور سيد جاد نموذجاً بشرياً افسدته الهجرة وافقده المال كل شىء حتى نفسه وذكرياته بتاريخه .. ووطنه .

وهكذا قدّم فى هذه القصة شكلاً فنياً مركباً تختلط فيه المقاومة مع الهزيمة .. والأحلام والامال مع الأحزان والوان الإحباط .. ومشاهد العاصمة مع مشاهد اسوان .. وفى آخر القصة نجد القطار مرة اخرى :

« ساعة الظهيرة على رصيف محطة اسوان .. الجنود السمر امام القطار المشحون بذخيرتهم وحاجاتهم البسيطة .. صفوف طويلة بطول القطار يؤدون التحية لقائدهم .. وسط تصفيق الاهالى وهتافهم ابتدا القطار يتحرك .. والجنود يلوحون بايديهم .. بعضهم زغرد الزغرودة السودانية الشهيرة .. وامتزجت دقات العجلات بتصفيق الاكف .. كلما اسرع القطار تعالى التصفيق .. ويسرع القطار فى طريقه نحو الشمال » .

القاهرة : توفيق حنا

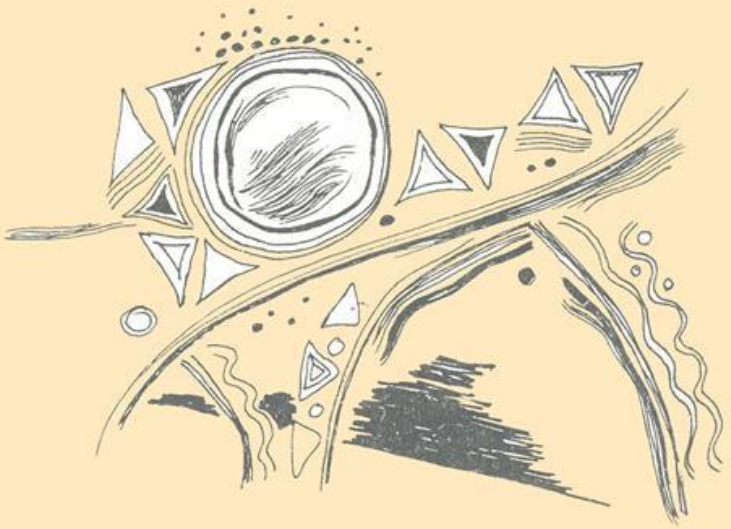

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فعل الشعرية ـ فعل التناص

متابعة لقصائد « إبداع »
أكتوبر ١٩٨٩

عبد الله السمطى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

يقول الشاعر الفرنسى بول فاليرى : إن الشعر لغة خلال لغة .. وهو بهذا يؤكد جوهر العملية الشعرية التى تستبطن اللغة وتغوص فى طبقاتها المغمعه بالدلالات بهدف الوصول إلى منطقة إبداية عليا يتحقق فيها نص ثرى إشارىّ يندّ ـ فى مستوياته الدلالية ـ على ما تقدمه اللغة العملية من تسطح ومباشرة ومنحرفاً إلى اقصى درجة عن الخط الأفقى المحايد الذى تقوم عليه هذه اللغة منتجاً بذلك خطابه النامّ وتركيباته وتوليداته المائزة .. وقبل الولوج إلى رواق المتن النصىّ لهذا العدد الذى يحوى ستة عشر قصيدة ـ نروم بدءاً إلى تحديد مبسط لأمرى الشعرية والتناص ..

فالشعرية هى هجرة العبارة من حالة النثر إلى حالة الشعر وذلك بوساطة تقنيات فنية متعددة تتكوكب فيما بينها لتسبح فى مجال فلك واحد هو فلك القصيدة ويبدو لى أن كل المذاهب والنظريات التى وسمت هذه الهجرة بداية بالمحاكاة ـ حسب أرسطو و « الشعر قول موزون مقفى ذو معنى » ـ حسب قدامة بن جعفر ـ وانتهاء بلانعكاس ـ حسب الواقعيين ـ واللغة والخطاب ـ حسب دى سوسير ـ وإبداع الدلالة ـ حسب البنيويين ـ إنما تحاول الاقتراب من طبيعة الشعر وتحاول الأخذ بناصيته وتطويعه والإيقاع به فى شرك التاطير المنهجى .

أما التناص ـ فحسب جوليا كريستيفا هو ذلك التقاطع داخل نص لتعبير (قول) مأخوذ من نصوص أخرى . إنه النقل لتعبيرات سابقة أو متزامنة والعمل التناصىّ هو اقتطاع وتحويل إنه يولد هذه الظواهر التى تنتمى إلى بداهة الكلام انتماءها إلى انتقاء استطيقا ـ تسميه كريستيفا ـ « بالحوادية » و « الصوت المتعدد »[1] ومن زاوية أخرى فإن الشعرية هى حاضر النص المكتوب . والتناص هو الذى يمثل ذاكرة النص أو المرجع النصىّ لكنه يكون بمثابة بنية جاهزة لها سياقها المعرفى تلصق أو تركب فى سياق النص لتثرى بنيته وتعدد دلالته . وسنحاول الآن بعد هذا التحديد الاقتراب من المتن النصىّ متذرعين فى ذلك بالقراءة المتانية للقصائد عسى أن تبوح بمكنوناتها .

فعل الشعرية :

يتكون المتن النصىّ من ست عشرة قصيدة لستة عشر شاعراً تتمايز تجاربهم الشعرية وتتشكل طبقاً لانتماءاتهم الفنية إلى أنماط مختلفة تقترب أو تبتعد من جوهر الشعر . ويمكن بسهولة ـ بعد استقراء القصائد وملاحظة معجمها وأسلوب تراكبها وانثيال صورها وأشكالها وفض بنيتها ـ وضع خطوط فاصلة بين ثلاثة أنماط شعرية متباينة / متجاورة فى هذا المتن النصىّ :

النمط الأول : حداثى[2] وتمثله قصائد : محمد سليمان ـ المنجى سرحان ـ شريف رزق .

النمط الثانى : تقليدى اتباعى وتمثله قصيدتا نور الدين صمود وأحمد غراب .

النمط الثالث : نمط وسيط ينتمى فى رأيى للقصائد الخمسينية والستينية فى تجربة الشعر الحر حيث أخذ التجديد طبيعة متوترة بين الاتباع والابتداع فى مسحة رومانسية تقنّع الرداء الواقعى فالحق — كما يقول د . عبد القادر القط — « إن الاتجاهات قد تداخلت فى تلك المرحلة كما يحدث فى مراحل الانتقال الكبيرة فلم يكن كل دعاة الشعر الحر من الواقعيين حينذاك ... ولم يكن الشعراء بمعزل عن الطبيعة « الوجدانية » لكثير من وجوه الحياة فى الوطن العربى »[٣] وتمثل هذا النمط الوسيط قصائد : أحمد فضل شبلول — توفيق خليل أبو أصبع — عزت الطيرى — يوسف إدوارد وهيب — عادل جندية - ماهر محمد نصر — عيد صالح — محمود مفلح .

فى النمط الأول (الحداثى) نطالع قصيدة محمد سليمان « غيمة تسمى نورا » . وتبدو هنا لأول وهلة لغتها التى ترتكز على أسلوب الموروث الصوفى الذى يتجلى فى استخدام وتكرار مفردات لها إشراق دلالى إذا ضاقت عنه العبارة اتسعت الإشارة . ويعتمد النص على موقفين يشكلان فضاءه : موقف الرؤية والتجليات التى يحدثها . وموقف التساؤل الذى يشى بتعدد الأجوبة وتقديم اختيارات عدة تتبلور فى سياق النص . فالموقف الأول يشكله فعل (رأى) لما له من دلالات صوفية — فى قوله أول النص :

« وقلت رآك فعشقك
خفَّ وشفَّ انقذف من الصندوق »

وقوله : « وقال الشعب حكيم كالمرآة يرى الفانوس .. »و « أنا العريان رأيت ثعالب تزهو بقفاطين » و « فتحت الباب لمخلوقات القلب رأيت ثعالب وثعابين » والموقف الثانى يبدو فى التساؤلات المتتابعة التى تسمى المحبوبة« أأنت الغيم ؟ أأنت فضاء ؟ أأنت ظلام .. أأنت امرأة » وفى الختام « هل اسمك نورا ؟ » فالنص هنا ينفتح على الموروث الصوفى (وسأشير فى فقرة قادمة إلى ذلك) . ومما يلاحظ فى النص أنه ذو دفقة واحدة يتكىء على تقنية « التدوير » أى قراءة النص دون وقوف على آخر السطر الشعرى وتشابك التفعيلات كلها وكأنما النص صورة شعرية واحدة . كما تتجلى فى النص بنيتان : بنية تكرارية . وبنية سياقية . والبنية الأولى تتمثل فى تكرار دالّ يمثل محور النص وهو دال « الماء » وحقوله الدلالية الأخرى (الغيم — الطوفان — المطر — الإعصار — الموج) ويبرر هذا تضمن النص لقصة بلقيس ملكة سبأ مع سليمان التى تكشف عن ساقيها إذ حسبت أن هناك لجة . وتتمثل كذلك فى تكرار الأفعال — لما لها من حركية — فى كل سطر تقريباً كقوله فى سطر واحد : « هششتِ ، فادهشتِ ودُرْتِ فسكّرتِ وسرت فنوّرت وحين غضبتِ انفلق البحر .. »

أما الثانية (السياقية) فتتبدى فى أن النص فى معظمه يرتكز على عنصر « القصّ » على اعتبار أن المحور السياقى يكون من خواص القصّ أما المحور المقابل له وهو الاستبدالى من خواص الشعر ..

— وفى النص الثانى من هذا النمط نرى المنجى سرحان فى قصيدته « مداخلات الفتى القروىّ » يقدم شكلاً من أشكال الشعر الحداثى وهو القصيدة المقطعية التى يوازى المقطع منها البيت الشعرى فى القصيدة البيتية . فالقصيدة تتكون من اثنى عشر مقطعاً ينتهى كل مقطع منها بقافية بائية ساكنة . عدا المقطع الثالث وهو المقطع الغنائى فى القصيدة . ومحور القصيدة يدور فى نمط حكائى يبدأ بالفعل (كان) عن الفتى القروى الذى تفجؤه المدينة (الغانية) بكل عنفوانها وهو الذى (شكل الطمئ نظرته للوجود) وهو الذى :-

« لم يعر للنكات انتباها
ويضحك طفلا ، ويخضلّ فى قلبه الفرح العفوىّ
تحاوره القبرات
ومقلاعه ، والندَّى المغتربْ »

وفى هذا النص نلحظ اعتماد الشاعر على أسلوبى المقابلة والمفارقة فى تكوين الدلالة الشعرية حيث تتابع الكلمات فى نسق استبدالى منتقى من حقل دلالى واقعى من مفردات المدينة (القاهرة) — (الحافلات — مقهى الحسين — الترام — النسوة الخاصرات) يقول :

« كان يضحك ملء انجراح الفؤاد
يسير من الشارع الجانبىّ
فتأخذ زينتها الأمنيات
البناتُ
النساء يطاردنه
فيواصل رحلته فى الغناء الحزين
وموالِه المنْتَهَبْ »

كما يعتمد الشاعر وبكثرة على تقنية تشيع فى الشعر الحداثى وهى تقنية الاستبدال وهجرة الكلمات بعضها إلى بعض أو كما يقول د صلاح فضل : « ضم المخالف وكسر المتصاحب من الألفاظ »[٤] لنلحظ قوله (هى النار تطلق أحمالها فى الوريد فيحترق الماء والزهر ، خطوتنا الأولية . والورد يُطلق أسهمه والرفاق نشبْ) .

كذلك يبدأ النص ويختم بعبارة شعرية واحدة وذلك من مميزات الشعر الحديث .

وفى « مقاطع من مقام الدهشة » للشاعر عزمى أحمد عبد الوهاب نلحظ كيف يوحد الشاعر فى قصيدة ذات مضمون عاطفى بين الذات والواقع توحيداً دالاً إذ يصبح الواقع مأزقاً فادحاً يجابهه العاشقان بخنجر الحلم . والمحور الدال فى هذه القصيدة هو المرأة/الحلم التى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كما يقول : (تأبى أن تطعمنى توت النهدين ،
حليب الشفتين
تأبى النوم على خاصرتى بضع دقائق)

ومن هذا المحور الدال ينطلق الشاعر فى إنتاج الدلالة والتعبير بالصورة التى تستكنه اللغة وتاولها ، ويعتمد الشاعر أيضاً على البنية التكرارية وعلى ثنائية التضاد التى تندرج تحت بنية التكرار لكنها لا تتخذ هنا شكل مفردة بإزاء مفردة ولكن جملة بإزاء جملة ، كنفيه فى آخر المقطع الأول لما ذكره فى بدايته (راجع النص) وقد تتخذ اللغة عنده شكلاً غنائياًبسيطاً كقوله : (واغتسل النيل بأشرعة الصيادين ..
وصار الموج (الأزرق) من خِلاّنى)

ـ أما نص شريف رزق (مناخات) الذى يتكون من أربعة مقاطع ، فهو يعتمد على وصف سردى يشبه السيناريو ـ لمشاهد وحالات متعددة ، لكن هذا الوصف لا يقوم على محور سردى (سياقى) فحسب وإنما يتآزر معه المحور الاستبدالى ففى المقطع الأول : (رئات المصابيح تخبو ، ضجيج السكون ، احتراق لعاطفة الجلد يلدغنى عقرب الوقت)

وفى المقطع الثانى : (المرايا تغادر أيامها وتسير ، قطار الشجيرات يحمل تفاحه ويسافر)

وفى المقطع الثالث : (تدخل الشمس قلبى وتبنى مقاعدها فى سماه)

أما المقطع الرابع فيمثل انعطافة فى حركية النص إذ تتحقق فيه ذاتية الشاعر وهو بصوره البسيطة ينم عن غنائية شاعرها يكسرها الشاعر كسراً دالاً فى خاتمة المقطع بقوله : (وصحتُ : اتبعونى على درب هذا النغم)

ويعتمد النص على تقنية تيار الوعى التى تسبطن الذات واللاوعى والعقل الباطن ، فالشاعر فى النص يخاطب ذاته واعضاءه فى نمط تجريدى يقول : (أرانى هناك أحدّق فىّ وأرجف)
و (وأنت وحيد ومغروسة فى أنين الثرى خطوتك)
و « ترجلت عن جسدى وتماديت فى السير وحدى)

ـ وفى قصيدتى سمير درويش (وحشة وجغرافيا) نرى تقنيتين من تقنيات الشعر الحداثى الأولى : الوصف المسطح الخالى من الحركة كقوله : (صنعت من أشيائنا الصغرى قصورا
شقة بالطابق الأرضىّ خالية
وأكواب من الشاى المعتق
والعصافير ...
والقهوة
الغرف السريعة والمذاكرة المدارس والحصصْ)

ففى هذا الوصف يقوم الشاعر برسم المشهد فوتوغرافياً وتركيبه كبنية تناصيّة حاضرة فى سطح النص مما يثرى دلالاته ويصبح قناعاً لبيئته العميقة التى تتكشف فى الأبعاد الأخرى من شفرته .

والثانية : تقنية تُخلى الواقع بمفرادته وقضاياه المعيشة إطاراً أو حلية دالة تدخل وتتراصف فى قصيدة ذات جو عاطفىّ يقول فى (جغرافيا) :
قالت لى فتاتى مرة : عيناكَ
قلت : وقاتلى الحبُّ المهادنُ
واليهودُ
وبعض أشلاء القصص)

ـ أما قصيدة محمد متولى وهى آخر قصيدة فى النمط الأول الحداثى (إعلان عن شاعر) فإن كتابتها تأخذ شكل الكتابة النثرية ، فالنص هنا دفقة واحدة يقرأ مرة واحدة دون توقف وهو يعتمد هنا على المحور السياقى / التراصفى إذ تتجاور الكلمات فى لغة التداعى ، ويعتمد هذا الشكل على البوح الشعرى اللا واعى ـ الذى يشوبه الغموض بدرجة ما ـ حيث تتابع العبارات مشكلة نفسها بنفسها دون تدخل ذاتى من الشاعر . لنقرأ مثلاً : (قام يفتش عن مئذنة فوق جبال الثلج بخارطة الروح) الصورة هنا تاخذ شكل المد والجذب ـ الخارج (مئذنة فوق جبال الثلج) الداخل (بخارطة الروح) وأود القول إن هذا النمط رغم إلحاح الحداثيين عليه ـ لم يعد مقبولاً إلا فى نسق قصيدة متعددة البناء تومىء إلى تشكيلات جمالية أخرى فيصبح هذا النمط أحد الأشكال الفنية للنص برمته .

ـ وفى النمط الثانى ـ وهو النمط التقليدى / الاتباعى ـ نقرأ قصيدة نور الدين صمود (لزوميات جديدة) نقرؤها وقد توقعنا من العنوان أن تدهشنا القصيدة برؤية شعرية تذكرنا بروائع ابى العلاء المعرى إلا أن الشاعر خالف ذلك ـ وهذا حقه ـ واختار معجماً شعرياً بسيطاً وصوراً شعرية ـ بقليل من التسامح ـ ليس فيها كثير من الشعر ـ نحن نطالع (نور الدين صمود) ناقداًحصيفاً ولكن لست أدرى لماذا لا يكون شعره بنفس الدرجة من الحصافة والروعة .. وتدور اللزوميات حول الصداقة المقطع الأول(أصدقاء) الثانى (الصديق اللدود) الثالث (صديق متنكر) وفى هذه المقاطع تتبدى سذاجة الصور المكررة فلم يقترب الشاعر من جزالة الموروث العربى القديم ولا من جزالته فى مدرسة الإحياء (مثلاً) بالإضافة إلى أنه جعل الواقع ضيفاً فى بيت اللغة لا اللغة ضيفاً فى بيت الواقع ـ على حد تعبير أدونيس ـ لنقرأ :

حسبت أناساً أصدقاء على المدى
بهم صفة الإخلاص فى الناس تشرفُ
وقلت أراهم فى الشدائد عُدّتى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وباسمهمُ كل المصائب تعرف)

ولنتذكر معاً قول القائل : جزى الله الشدائد كل خير — عرفت بهما عدوى من صديقى وقول الآخر : وما أكثر الإخوان حين تعدهم — ولكنهم فى النائبات قليلُ)

لندرك سذاجة القصيدة لنستمع إليه يقول :

منحناك حبا وعطفاً وداً
ووجهاً ضحوكاً وقلباً ودودْ
فقابلتنا بازورار وعجْب
وجازيتنا بالجفا والصدودْ)

فما الجديد فى ذلك ؟ فى تصورى أن الشاعر أراد أن يكتب ما تراءى له فعمد إلى بيت أبى العلاء المعرى المضمن فى المقطع الأول ونظم عليه مقطعه ، ثم إن لزومياته لا هى جديدة ، ولا هى قديمة ، فثمة شاعر هو أحمد مخيمر أصدر ديواناً شعرياً هو (لزوميات مخيمر) عام ١٩٤٧ توخى فيه السير على نمط لزوميات أبى العلاء وهو ثانى ديوان فى العربية للزومياتٍ .

أما القصيدة الثانية فى هذا النمط فهى قصيدة (وردة إلى جلال العشرى) أحمد غراب . وفى هذا النص تتحقق شروط القصيدة الاتباعية / البيتية حيث النبرة الخطابية والعبارات التقديرية والتصريع ورد العجز على الصدر والتساؤلات البسيطة التى تكتفى بالرصد الأولى للظواهر . وقد ابتدأت القصيدة ببيت تتحقق فيه ما يسمى ببراعة الاستهلال .

(يا قتيل الفكر فى عمر الأزاهرْ
أين بطن الأرض من جوف المحابرْ)

وهو بيت يقوم على المقارنة بين (بطن الأرض — جوف المحابر) فى نمط استفهامى . ويتكون النص من تسعة وثلاثين بيتاً ويدور فى فضاء رثائى نمطى فى أغلبة فالميت (قتيل الفكر فى عمر الأزاهر — برغم أشواق الرؤى — خالعاً عينيه للمسرى منائرْ)

وتتمثل فى هذا النص عكس نص (نور الدين صمود) تشكيلات شعرية جمالية ترسمها الصور الشعرية ويرسمها هذا الحوار الداخلى فى الأبيات ويرسمها هذا الانتقال من خطاب المرثى إلى مناجاة الراثى ذاته إلى وسم الموت والتساؤل عن كنهه إلى العلاقة بين العرف وكاتبه لحظة الولادة الوجدانية للإبداع مثلاً : -

قد أراك الآن فى وادى الكرى
كبقايا اللحن فى أشلاء طائرْ
تحتسى غيبوبةً غيميةً
فى سكون عنكبوتى الضفائرْ
تشعل الذكرى حنيناً كلما
رف فوق القبر عصفور مسامرْ

وأخيراً فإن صوت الشاعر عبد الله البردونى يكمن وراء معظم أبيات القصيدة وبنيتها ونسقها المتواتر خاصة فى قوله : (١٤ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ،)

— أى موت بعد هذا كله
يا رفيقى ترتدى تحت الحفائر
تطلب العنوان ؟ ميدان الأسى
شارع الياس قديماً .. درب صابر

أما فى النمط الثالث وهو النمط الوسيط فإن توليد الدلالة فيه لا يقوم على التشكيل اللغوى وفك شفرات الألفاظ فى حركية إبداعية تكسر النمط المألوف فى تركيب الصورة الشعرية التى ترتكز على تقنيات موروثة ، وإنما يقوم على التعامل مع اللغة ببساطة وجرح شفرتها جرحاً رفيقاً محتفياً بما ينتجه هذا الجرح الرفيق من صور ..

— وننظر الآن إلى قصيدة أحمد فضل شبلول (فاروس تخلع ريشها ثم تبحر للمقصلة) فنراه يستخدم رمزاً خاصاً به هو (فاروس) التى لها كل شىء (لها دمعتى وشقائى .. لها ضحكتى وشفائى لها ما لها وليس عليها) .

وتتكون القصيدة من عشرة مقاطع تتزاوج فيها بين قصرها وطولها العبارات الشعرية البسيطة — ففى المقاطع الستة الأولى نرى الصور الشعرية التى أصبحت الآن كلاسيكية فى تجربة الشعر الحر كقوله

من همسة الرمال تختار ضياء الحنين
ومن جبين الموج نختار اخْضرار العيون)

وقوله

(إنهما فاروس شعلة من (ضمير)
رحلة فى السنين
مطر ونبات وجنينْ)

أما المقطع الثامن فهو المقطع الوحيد الدال وهو يمثل مركز النص وبؤرته فقياس نسبة التكوين الصورى فيه إلى نسبة تكوين الصورة فى المقاطع الأخرى تبرهن على أنه ينبعها فى ابتكاره وتوليداته — ومما يؤخذ على النص زوائده التى كان من الممكن أن تقصّ وتحذف كالمقطعين الثالث والسادس مثلاً — كذلك وجود بعض الصور الساذجة النثرية التى تعتملها الصنعة والذهنية والتكلف كقوله مثلاً (ونرسل إرسالنا — يسافر إعلامنا لكل البلاد)

ومن هذا النمط قصيدتنا توفيق خليل أبو إصبع (الفصول) و (قلب الوردة) ومن العنوانين يتبدى أن الشاعر يتغنى بالطبيعة ومن ثم فإن الحقل الدلالى للقصيدتين لن يخلو من الدوال التى تشير إلى الطبيعة (البحر — النهر — الشجر — الطير .. الخ)

ولكن كيف يتعامل الشاعر مع الطبيعة فى نصه ؟ إن الشاعر يقوم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

باستخدام السرد فى نمط يخلو من الصور الشعرية التى هى قوام الشعر يقول :

يجىء المطر ، يكر الربيع يفر الصقيع يتوق الشجر
يدور الزمان
تتم الفصول)

وإذا اعتبرنا هذه الثنائيات بين الفعل والاسم صوراً شعرية ، فإنها صور مستهلكة نمطية / مكررة .. كذلك قوله :-
(تهز الرياح بجذعى فيسقط دمعى ثمر) والذى يشير إلى الآية الخامسة والعشرين من سورة مريم

أما قلب الوردة ، فهى قصيدة سهلة كالسابقة وصورها مكررة فى كلاسيكيات الشعر الحر عدا قوله : (فإذا مالت شمس الوقت
وقضى الأمر ، تودّع صحْب الأمس)

أما قصيدتا (عزت الطيرى) ــ (بعد ساعات) و (الوقت) فإن أسلوب عزت الطيرى الذى يؤثر البساطة على التعقيد ويحتضن معجماً شعرياً خاصاً ذا مفردات رومانسية تدور فى حقول دلالية متشابهة ــ يبرز فى القصيدتين ، ففى الأولى : يقوم المحور الشكلى على تكرار كلمة (بعد ساعات) سبعة مرات مبتدئاً بها وخاتماً كل مقطع شعرى ، بالإضافة إلى استخدامه لقافية همزية فى القصيدة الأولى ، ويرتكز إبداع الدلالة فى القصيدة على صور شعرية قصيرة كقوله :

بعد ساعات
ستدمع عين قلبى ثم تبكى نجمة
وتئن نرجسة
ويرتبك الفضاء

وهكذا يستخدم الشاعر دلالات ذاتية مع دلالات خارجة ، فلو لا حظنا الأفعال فى هذه الصورة لرأينا أنها تلتقى فى إطار دلالى واحد (ندمع ، تبكى ، تئن يرتبك) وهى أفعال ذاتية مع الدلالات الخارجة (نجمة ، نرجسة ، فضاء) ويأتى ذلك فى مواءمة رومانسية بسيطة ، لكن ما يتبدى فى القصيدة هو أنها تقوم على المفارقة ، فالشاعر يمضى فى تكوين صورها فى أسلوب صاعد وفى النهاية تأتى المفارقة حيث تمضى الحبيبة رغم انتظاره (ثم تمضى لا كلام .. ولا نداء)

أما القصيدة الثانية (الوقت) القصيرة جداً فهى نمط من الكتابة شاع فى كتابات يوسف الخال وأدونيس ثم نزار قبانى فى « كتاب الحب » وهى تعتمد ــ على قصرها ــ على أسلوب المفارقة وتكون عبارتها داهشة وتعبر عن حالة أو موقف ما سريع ومباغت يقول

وكم الساعة ؟
الساعة سبعة أحزان
ونصف
ودمعة)

والنص الرابع فى هذا النمط هو نص (البنات الرخام) (ليوسف إدوارد وهيب ويتكون النص من مقدمة وثلاثة مقاطع ، غير أن المقدمة المعنونة ب (وشم) لا علاقة لها بهذه المقاطع ، فالوشم يتحدث عن الموت ، أما المقاطع فهى تجربة عاطفية ، ونظرة إلى بدايات المقاطع تدل على أنها تدور فى إطار دلالى متقارب « الحبيبة ــ الشاعر » ، ويحاول الشاعر أن يوائم بين الواقع المعيش والتجربة الذاتية « الصبح فى عين إيمان ، ــ النيون ــ وجه آتوم » وهو رمز فرعونى يدل على الخصب) « كوب بيرة ــ مصطبة ــ حافظة » ، ولكن ينقص الشاعر الخبرة بالتكوين الشعر المتميز الذى يفجر الكلمات ويستبطن دلالتها ــ بالإضافة إلى أن الصورة عنده مكررة ، ونمطية فالنساء(يسافرن فى حضن كأس
ويبدأن طقس الدخول إلى الحافظة)
أى الخمر والمال فما الجديد إذن ؟

أما النص الخامس للشاعر عادل جندية وهو (مطر) فبرغم شكله الذى ينتمى إلى الشعر الحر فإنه نصى تقليدى تغلب عليه النبرة العالية وتتزاحم فى هيكله وتسوده الأساليب الخبرية بالإضافة إلى نمطية صوره **يقول** : (نعانق بعضنا .. فنفلّ أصفاد الحديد) لا حظ المثل المعروف « لا يفل الحديد إلا الحديد » ويقول :
(سنعود ثانية ليمحق ظلنا الوردىّ أصوات العبيد)

وكذلك تتشابه صوره وصور الشاعر فاروق جويدة ، فهى سهلة / بسيطة لا نكاد نلمح فيها تجديداً كقوله مثلاً :

(إنى جعلتك فى فؤادى زهرة من ياسمين
إنى رأيتك فى السواحل زورقا للعائدين)

ورأيى أن قراءة الموروث العربى الشعرى والاطلاع على الشعر المعاصر بتجاربه المختلفة سيفيد الشاعر كثيراً فى الخروج على هذه التراكيب المألوفة التى قدمها .

وفى قصيدة ماهر محمد نصر (اختفاؤك فى الظلال) نرى تذبذب النص بين الصور الشعرية القديمة والجديدة والحداثية فى محور أحادى يخاطب الشاعر فيه نفسه يقول
(شاخت خطاك على الطرائق واستبد بك الحنين إلى الوصول) ، وفى الصور القديمة ذات الأسلوب المكرر (أنىّ يكون القطر بل أين الندى)وفى الصور الحداثية كقوله
(كنت ألفاً ثم صرت وحيد عشقك .. أنكرتك الأرض
خدّك خدّها .. هى أنكرتك)

وهذا التذبذب من الممكن أن يعزى إلى أن الشاعر لم يكوّن بعد خطّه الشعرى وتنقصه قراءات شعرية أكثر لكى يقف على أرض صلبة من الولاء الشعرى .

أما قصيدة عيد صالح (فى البوح) فهى تبدأ بكلمة تكرارية (أحبك) حيث تتواتر الدلالة بعدها بالإشارة إلى القلب والنجوم والموج ، ثم أفعال مضارعة مسبوقة بلا الناهية مثل (لا تتركينى وحيداً) و (لا تهبطى سلم الادعياء) ونلاحظ أن بنية النص تأخذ أسلوباً نمطياً مكرراً ، تتداعى فيه الصور المكررة ، حتى فى توظيفه لقصة ابنى آدم يأتى التوظيف مباشراً سطحياً ، وكان النص هو

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الذى ساقه (بالتداعى) يقول :

والقتل كان البداية فى الحب

كان الغراب يعلم قابيل كيف يوارى أخاه التراب

ويظل الشاعر يسبح فى صور معادة حتى يختم النص بقوله (احبك ــ لا تتركينى وحيداً) ولكن ثمة صورة شعرية يخرّج فيها الشاعر تناصه ويثرى دلالته وهى قوله :

(وحواء بنت الضلوع تجوع بسوق المدينه

كان الغزاة يبيعون سرب الصبايا « بشروى نقير »)

ولكن هذا الإثراء الدلالى لا بد ان يأتى مندمجاً مع نص ذى ابعاد تنفتح على بنية « استاطيقية » وتومىء إلى آفاق اخرى من مستويات اللغة وليس تعاملاً سطحياً معها .

والنص الاخير لهذا النمط هو قصيدة (البحيرة) للشاعر محمود مفلح وتتكون القصيدة من خمسة مقاطع تنثال فيها دلالات (النهر ــ البحر ــ الماء ــ الموج ــ المراكب) ودلالات الحنين (الأحاسيس الجرح) ودلالات الشجر والطير (العصافير ــ الطيور ــ الشحارير ــ المشاتل ــ البيادر)

فالنص هنا مركب من هذه الدلالات جميعاً وهو يستخدم هذه الدلالات استخداماً يتعامل مع مستواها الأول . وقد يتيح لها ان تتحرك لمستويات اخرى وذلك باستخدام المحور الاستبدالى (إيراد دال مكان دال آخر يغايره فى المعنى مع دال مخالف له) كقوله :

(فلست الذى يعشق البحر إلا إذا أسكرته العصافير

أو خدرته المراكب

وقد يستخدم تناصاً كقوله : (يازمان الجزيرة هلا دفعت الغيوم لتمطر شيئاً من الأمس) وهو يومىء إلى موشحة لسان الدين بن الخطيب : جادك الغيث إذا الغيث همى

يازمان الوصل بالأندلس

والمقطع الدال فى القصيدة هو المقطع الاخير منها الذى يكون محور القصيدة حيث حنينه للعودة إلى البحيرة (بحيرة طبرية بفلسطين المحتلة) وحلمه بالتحرر . وهويتذكر الفوانيس والبيادر ورائحة البن التى تغزو الكواكب . والقصيدة بهذا تستند إلى معجم شعرى متوقع . فالحنين إلى الديار كما هو . وذكر أشياء الوطن ومعالمه كما هى دون كسر لهذا النمط المالوف فى الشعر العربى قديمه وحديثه ..

٢ ــ فعل التناص :

التناص ــ كبنية جاهزة لها محمولاتها الدلالية ــ يتداخل مع النص الشعرى فيثرى دلالته ويؤطر بنيته حسبما يفجره الشاعر وحسبما يتناوله وما يخلع عليه من تواشجات وعلائق تتجاور معه وتختمر فى سياق نصّى جديد يناط به ويولد شفراته ورموزه ، وتاسيساً على ذلك سأشير إلى فعل التناص الذى تراكب فى عدة نصوص من نصوص هذا العدد ..

لقد وردت فى هذه النصوص ثلاثة انماط تناصية

الأول ــ وهو الغالب ــ تناص يستقى محمولاته الدلالية من الآيات القرآنية[٥] ..

الثانى ــ تناص شعرى إطاره المرجعى الموروث الشعرى العربى ..

الثالث ــ تناص يرجع إلى الفولكلور ..

فى النمط الأول ــ يتعامل (محمد سليمان) مع قصة بلقيس وسليمان والهدهد التى وردت فى القرآن فى سورة النمل الآيات (٢٠ ــ ٤٤) والآية (١٤) فى سورة سبا ــ يتعامل تعاملاً جديداً فيركب فى نصه ما انتقاه من القصة من مواقف لها حركيتها ودراميتها وتوترها ــ أو المواقف التى لها بنية دالة « فالملك المتشبث بالعكاز » ــ هوسليمان حين وفاته والسوس ياكل منساته التى يستند عليها . اما الهدهد فهو يؤخر رجلاً وهويقص . وتصبح حبيبته كبلقيس (حسبت ماء هذا الصرح ..)

والذى يعنينا هنا ان الشاعر نجح فى توظيف هذا التناص وذلك لسببين :

ــ إيثاره الأسلوب القرآنى فى كتابة نصه ..

ــ والمواءمة بين هذا الأسلوب واسلوب الكتابة الصوفية الموروثة

وعلى هذا نستطيع ان نقيس مدى تعامل بقية النصوص مع هذا النمط التناصّى فنجد رمزين وردا فى النصوص هما : النخلة والعصا ــ كقول توفيق خليل (تهز الرياح بجذعى فيسقط دمعى نهر) وقول عزمى عبد الوهاب (أساقط من جذع مائل ..) . ومن الملاحظ شيوع هذا التركيبة التناصية فى شعر الحداثة عموماً حتى وصلت إلى درجة الابتذال . ومرجعها القرآنى الآية (٢٥) من سورة مريم . اما العصا وهى عصا موسى (عليه السلام) التى تتفجر بالمعجزات المذكورة فى القرآن . فقد وردت فى قول توفيق خليل (وترسم فى الصمت صوت العصا .. تشق برفق ينابيع عشق) وفى قول ماهر نصر (ما عادت الحيّات ترجف من عصيّك) كذلك هناك تناصان يشيران إلى قصّتىْ يونس وابنى آدم كقول ماهر نصر (وكنت فى ظلل ببطن الحوت .. مكتفياً بانك هائم فى البحر) وكقول عيد صالح (كان الغراب يعلم قابيل كيف يوارى اخاه التراب)

ــ فى النمط الثانى : نلمح التناص الشعرى وهوتضمين قول ابى العلاء :

وماضرنى إلا الذين عرفتهم

جزى الله خيراً كل من لست اعرف

فى قصيدة نور الدين صمود . والتراكب هنا تعامل مع التضمين كما هو دون تغيير ومن الممكن حذفه فالنص لم يستفد به أو لم يحفز بنية النص ويغنيها ..

ــ فى النمط الثالث : نلمح التناص الفلوكلورى كقول (محمد سليمان (باباً للريح فتحت) وهو يومىء إلى المثل الشعبى (الباب

الى يبجى لك منه الريح سدّه واستريح) لكننا نرى انه يحور فى بنية المثل و فى معناه ويناقضه .

كذلك يتعامل مع الحكايات الخرافية والأساطير حيث الملك الذى يصارع الغيلان والعفاريت . وحيث يتحدد لهذه الكائنات دور يفيد بنية النص إذ يخلع عليها دلالات جديدة (كالأرنب الذى يصطاد الأفيال) مثلاً (والثعلب الذى يزهو بقفاطين) . وقد نجح محمد سليمان فى توظيف هذه البنى التناصية إذ وجد محمولاتها وغير فى سياقاتها تبعاً لسياق نصه الشعرى .. والملاحظ ان الشعراء/محمد سليمان وتوفيق خليل وعزمى عبد الوهاب وماهر نصر قد حوّروا فى التركيب التناصى بما يغنى نصوصهم ويثرى سياقها وأبعادها الدلالية . وأن نصّى نور الدين صمود وعيد صالح لم يؤتيا اكل التناص بصورة حسنة حيث اكتفيا بالتضمين وبالإشارة دون فضى أو تحوير لمحمّولات البعدين التناصيين لبيت ابى العلاء ولقصة ابنى آدم . ووقع عيد صالح فى ما يسمى « بالتداعى » لأن التناص هنا مجلوب وزائد ولا يفيد بنية نصّه ..

٣ ــ النسيج الأسلوبى وخصائصه : ـ

يقترح النص لغته الإبداعية الدالة المنتقاه من سطح النظام اللغوى فينحرف بها عن هذا السطح فتصبح لها خصوصيتها ونسيجها الذى يتبلور فى إطار شعرى . ولما كانت اللغة ديمقراطية مشتركة بين الشعراء . والواقع لا يفرق بين شخص وآخر فإن الصياغة الشعرية تصوغ شيئين : اللغة والواقع . من هنا من الممكن أن نبرر الملامح المتقاربة بين إنتاج الشعراء فى المرحلة الواحدة ــ الذى لا يختلف ــ فى مضمونه ــ كثيراً لكنه قد يختلف فيما يضفيه هذا الشاعر أو ذاك من سجايا لغوية فى نصه الإبداعى وفيما ينطبع من بصماته الخاصة بتجاربه وخبراته .. وساكتفى الآن بالإشارة إلى بعض الملامح الأسلوبية : ـ

١ــ من الملامح الشائعة فى النصوص الاتكاء التناصّى الذى ذكرته سابقاً والاقتراب من مفردات اللغة الصوفية الموروثة ..

٢ــ كما يشيع فى النصوص لون من الكتابة يمكن تسميته بالرصد أو التوصيف حيث يقوم الشاعر برصد المكان أو الموقف وتوصيفه وصفاً مسطحاً يخلو من التصوير والحركة ولكنه يطبّح بمثابة صورة واحدة مجسمة فيكون بمثابة بنية سياقية تتجاور مع البنية الغنائية فى النص مثالاً على ذلك قول عزت الطيرى (سأسمع عزف موسيقى . وأغنية الحرير ثم أرقب جدولاً وقطيفة وخرير ماء) وقول سمير درويش (شقة بالطابق الأرضىّ خالية

وأكواب من الشاى المعتق .. إلى قوله .. الغرف السريعة والمذاكرة

المدارس والحصص)

٣ــ من الملاحظ أيضاً استعمال أغلب الشعراء لمعجم شعرى متشابه ينتمى إلى دائرة واحدة ومنه على سبيل المثال دائرة الشجرة ودوالها (البحر ــ الأغصان ــ الطيور ــ المشاتل ــ البيادر ــ الروض .. الخ) وهى تجذب إلى قطرها ومركزها أغلب النصوص ومثالاً على ذلك (ثم ينفض وهوين عباءات الأشجار) محمد سليمان

(أعلن عدلى وولائى للأشجار » أحمد فضل شبلول

(لكنه باسط قلبه شجراً وسنابل) المنجى سرحان

(ستخرج من حديقتها عطرة) عزت الطيرى

(قطار الشجيرات يحمل تفاحة ويسافر) شريف رزق

٤ــ كذلك نلمح نزوعاً حثيثاً من الشعراء للمقابلة بين مفردات الطبيعة (كالحيوانات والطيور مثلاً) وبين مفردات الحضارة والتكنولجيا مثل الرادار ــ التسليح النووى الأحزاب ــ جيش كروى ــ الترام ــ القطار)

٥ ــ ثمة ملامح أخرى تتجلى من المقارنة بين أنماط القصائد كما قسمتها آنفاً : ـ فمن يقارن بينها يلمح عدة أمور فارقة :

ــ أن البداية فى القصيدة الحداثية ذات بنية تكرارية ــ بمختلف أنماط التكرار ــ وتحمل فى دوالّها ما يومىء إلى إطار مرجعى موضوعى (حدث ما) مثلاً .

ــ وأن هذه البداية تكون بداية مباغتة ــ دون استهلال ــ كأنما قد اقتطعت من سياق ما أو أن هناك كلاماً محذوفاً قد سبق قبلها .

ــ أن البداية فى القصائد الوسيطة (تقترب جداً) من بدايات القصيدة التقليدية

ــ لا أعنى من حيث الأغراض ــ بل من حيث علو النبرة الخطابية والسهولة وتواتر الكلمات فى نسق نحوى ثابت لا تقديم ولا تأخير فيه والتعامل مع الألفاظ تعاملا بسيطا من خلال معانيها الأولية بغض النظر عن بناها العميقة / التحتية ومستوياتها المتمايزة .

٤ــ فى البنية الإيقاعية :تدور النصوص الشعرية فى عدة دوائر إيقاعية وأغلبها ينتمى إلى دائرة المتدارك و (الخبب) ــ المتقارب وقد ورد من هذه الدائرة نحو أحد عشر نصاً شعرياً (بإدراج المقطعين الثانى والثالث من قصيدة نور الدين صمود) أما دائرة الكامل ــ الوافر فقد وردت منها نحو أربعة نصوص تضم الطويل والرمل ولكل منهما نص واحد .

ومما يلاحظ على الإيقاع فى هذه النصوص غلبة التدوير دون اكتمال السطر الشعرى وتقسيم التفعيلة ما بين السطر الشعرى والسطر التالى له .. كما ان (فاعلن)تتغير وتصبح (فعلن) بتحريك النون كما فى قصيدة محمد سليمان فى قوله (وقلت رآك فعشقك . خفّ وشفّ) وقد يطّول بها السطر الشعرى ويصبح نحو أربعين تفعيلة كما فى قصيدة محمد متولى . ويلاحظ ايضاً عملية الخلط والمزج بين البحور ذات الدوائر المتشابهة وغير المتشابهة ايضاً كما نرى فى قصيدة أحمد شبلول إذ يخلط بين (المتقارب ــ الرجز ــ المتدارك ــ الخبب) دن تنظيم خاصة فى المقطعين الرابع والخامس .. والخلط بين البحور يقتضى نوعاً من التنظيم الإيقاعى حتى لا يصبح النص

عائماً ، كذلك عزت الطيرى بين تفعليتى « الخبب والمتقارب » فى المقطع الثانى من قصيدته ..

وأخيراً هناك بعض الأخطاء الإيقاعية كما فى المقطع الخامس من قصيدة فضل شبلول قوله (إنها فاروس ــ شعلة من ضمير .. مطر ونبات وجنين) وفى قصيدة عزت الطيرى يصبح قوله بعد ساعات) إيقاعاً منفصلاً ــ بإضافة سبب خفيف/ه إلى فاعلاتن ــ عن بقية النص الذى يتكون من تفعيلة الوافر (مفاعلتنْ) كذلك هناك خلل فى قوله (سأسمع عزف موسيقى وأغنية الحرير ثم أرقب جدولاً) لا يستقيم إلا بإشباع حركة الراء فى الحرير ، وفى قصيدة عيد صالح يوجد كسر إيقاعى فى قوله (أحبك هذا أوان انفجار الماء بقلبى) إذْ (فعولنْ) لا تصبح أبداً (فاعل) بتحريك اللام ..

وبعد رؤية عجلى للنصوص أرجو أن تكون هناك فرصة متاحة للمثول فى الرواق الشعرى والتحديق فى أركانه فترة أطول ، وأود الإشارة إلى أن القصيدة تستدعى فى هذه المرحلة بائذات إعادة النظر ، فقد كادت تترهل من كثرة الطرق على الموضوعات المتشابهة والصور والدلالات التى يقترب بعضها من بعض ، ويصبح التمايز بين أنماطها وأصواتها المختلفة يكاد يكون نادراً بين الشعراء ، فقد انفتح باب الهجرة اللغوية على مصراعيه بين النصوص وأصبح التكرار والنمطسمة غالبة من سمات الإنتاج الشعرى الحالى .. برغم أن الشعر كما قال الجاحظ منذ اثنى عشر قرناً فى (تخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفى صحة الطبع وجودة السبك فإنما الشعر صياغة وضرب من النسج وجنس من التصوير)

وختاماً نقتبس من الدكتور طه حسين قوله : « الأدب يكره اليسر فى الإنتاج وهويكره اليسر فى الاستهلاك أيضاً وهويريد من الأديب أن يستانى فى الإنشاء وهويريد من القارىء أن يتانى فى القراءة فهو جهد مشترك يجب أن يحمل عبئه المنتج والمستهلك جيعاً »

القاهرة : عبد الله السمطى

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

إشارات :

١ــ راجع فى ذلك ــ تزفتا تودورف ــ رولان بارت ــ فى أصول الخطاب النقدى الجديد ــ ترجمة أحمد المدينى . دار الشئون الثقافية العامة/بغداد

ــ فكرة الحداثة أنها ــ كما يقول كمال أبوديب ــ انقطاع معرفى ــ لأن مصادرها المعرفية هى اللغة البكر والفكر العلمانى وكون الإنسان مركز الوجود وكون الشعب الخاضع للسلطة مدار النشاط الفنى وكون الداخل مصدر المعرفة اليقينية وكون الفن خلقاً لواقع جديد . راجع فى ذلك كتابات أدونيس ــ وكمال أبو ديب كذلك المجلد الرابع من فصول العدد الثالث والرابع سنة ١٩٨٤

٣ــ د . عبدالقادر القط ــ الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر ص ٤٥٠ مكتبة الشباب .

٤ــ د . صلاح فضل ــ إنتاج الدلالة الأدبية ص ٣٦ الطبعة الأولى ١٩٨٧ . مؤسسة مختار للنشر

٥ــ يشيع الآن بين الشعراء استخدام آيات القرآن الكريم وتوظيفها كبنية تناصية فى القصيدة والواقع أن شيوع هذه الظاهرة يجب أن يكون محكوماً بالقداسة لهذه الآيات حتى لا يصبح القرآن الكريم متكئاً للعبث الشعرى .

المـــائـــدة

صـــلاح عبد الســـيد

والتنميلة سرت من كوعه إلى ذراعه .. إلى أعلى ذراعه .. وتمشت إلى كتفه فاهتز .. وصعدت إلى رقبته فواتته الحركة العصبية أعلى الرقبة .. ثم انتشرت فى رأسه .. فهرش فيه .. دعك فيه .. غرس أصابعه فيه كأنما يحرثه ..

واشتعل جسده ..

لا فائدة .. لن يستطيع النوم .. ونظر إلى المرآة .. فخاف من عينيه .. عينا ذئب تبدوان .. غائرتان .. محمرتان .. كجمرتين من لهب .. ووجهه ذلك المتغضن .. المتعمد .. كأنه تعمد أن يتغضن ..

لا فائدة .. حين يذهمه ذلك الإحساس فإن عليه فوراً أن يقوم .. وأن يخرج .. وأن يجدها ليطفىء فيها ظمأة الحيوانى .. ولترتد إليه عيناه ..

كان لابد أن يقوم .. كان عليه أن يقوم ..

وانتتر واقفاً .

نظر إلى بدلة المرحوم — صديقه الذى قتل فى الحرب — وملس بعينيه عليها وابتلع ريقة

البدلة الحلم .. !

كنت تنوى الزواج فيها .. الزواج من التى أحبتك ..

لعلمك يا صديقى التى أحبتك تزوجت بعد قتلك بأيام .. التى أحبتك تزوجها لص كبير ..

أيها المرحوم — وتحسس بدلته — حلمك ضاع وحلمى .. سرقه اللصوص .. وأنت ذهبت سدى .. وأنا سبيلى إلى الذهاب ..

وارتدى بدلة المرحوم ..

ارتعد .. واهتزت الحركة العصبية .. واضطربت عيناه .. أسرع نازلا ..

مشى يدق فى الشوارع ..

هويعرف بغيته .. عليه أن يقصد الشوارع الليلية .. تلك المغسولة بالندى .. المزروعة بالشجر .. الهادئة .. المقبضة ...

عرج إليها .. لابد أن يجد بغيته هناك ..

كان الضوء يبدو لعينيه باكياً .. أو هو على وشك البكاء ..

حدق .. لا أحد هناك ..

كان الشارع خالياً .. طويلاً وخالياً ..

مشى وحده فى الشارع الليلى الطويل ..

كانت دقات حذائه تتردد عالية ..

حاول أن يخفف من وقع الدقات .. لكن الدقات ظلت عالية

كانت — يخيل إليه — تطرق أبواب الليل بشدة .. تدق عليها بعنف .. تطلب منها أن تفتح .. لكن أبواب الليل كانت مغلقة .. مغلقة برتاج محكم ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كان وحده .. وحده والليل .. والشارع الطويل ..

بص فى كل مكان .. لا أحد .. لا أحد ..

أسرع .. أسرعت الدقات ..

أين هنَّ ..؟ أين ذهبن ..؟

فى كل مرة كان يأتى إلى هنا .. كان يعثر على بغيته .. وكان دائماً ما يعود بها .. أيام كان يرتدى بدلته المتهرئة القديمة كان يجدهن .. والآن حين ارتدى بدلة المرحوم .. لا يجد ولا واحدة ..

وشد قامته .. ومسح بيده على البدلة .. فازدادت الحركة العصبية فى رقبته اضطراباً .. وأحس بعينيه تلهثان .. فدعك فيهما .. وأحس بجسده مقروراً ..

كانت نظرة واحدة منه إلى هذا الشارع الليلى .. نظرة واحدة تكفى ..

كان دائماً ما يجدهن .. كن كثيرات .. وكان هو يعرفهن .. يلمحهن بعينى الذئب التى لا تخطىء .. فيتقدم إليهن .. وبلا كلمة يسحب واحدة ويعود بها .. فيطفىء فيها ظمأه .. وبعدها يرتمى جثة هامدة .. لا يصحو إلا فى مساء اليوم التالى ..

أين ذهبن ؟

أسرع .. أسرعت الدقات ..

نظر إلى السماء .. كان الشجر يظلل الشارع فلم يجد السماء ..

وقف فى منتصف الشارع .. فكر أن يصرخ عليهن .. أن ينادى :

أين ذهبتن يا قطط الليل ؟ أين ؟ أين اختفيتن ؟

هل اخفاكن ــ أيضاً ــ أصحاب الأموال والنزوات ؟

إن أجسادنا ــ نحن الذين لا نملك شيئاً ــ تضج وتصرخ ..

ودق فى الشارع الليلى ..

لا يبدو من أحد ..

رفع عينيه إلى العمارات البعيدة العالية .. سمع ضحكة أنثى .. اشتعل .. قال تلك إشارة .. لكن الضحكة انطفأت وعم صمت ..

تحسس بدلة المرحوم ..

أيها المرحوم .. هاأنذا أحمل حلمك المقتول .. وحلمى المجهض .. وأذرع به الشارع الليلى بحثاً عن امرأة ميتة .. تضاجع رجلاً ميتاً .. وحتى هذه لا يبدو لها من وجود ..

وفكر فى أن يرجع ..

فليرجع من حيث جاء .. هو يعرف أنه لن ينام .. وأنه سيعانى الأمرين ــ وأنه سيظل منكفئاً على وجهه إلى أن تلسعه برودة الصباح ..

برودة الصباح هى التى ستطفىء ظمأة ..

واستدار راجعاً ..

وهو يستدير رآها .. قطة ليلية خلف شجرة .. وخيل إليه أنه راى عينيها تبرقان فى الظلمة ..

إن نظره لا يخيب .. هى .. وتقدم ورآها .. خلف شجرة .. وجه مذعور لإمرأة بائسة .. تقدم إليها .. كان التحفز يبدو عليها ..

وقف أمامها ساكناً ..

صعدت بعينيها عليه .. تمشت على البدلة الجديدة ..

مد يده فوضعها فوق كتفها ..

أحست بدفء البدلة .. بدفء ذراع البدلة .. فسارت تحت ذراعه .. بلا كلمة أدخلها إلى مصيدته .. ودق بها عائداً .. دق بها فى الشارع الليلى .. ومن عجب أنه لم يكن يسمع صوتاً لأقدامه .. هل خف إلى هذه الدرجة ؟

كان فرحاً .. فرحاً وآثماً .. وكانت الحركة العصبية التى فى رقبته قد هدأت ..

ومضى بها إلى حجرته العالية ..

كانت تحت إبطه .. كأنه يغطيها .. ولا يريد أن يراها إلا هناك ..

هناك فى حجرته سيكشف عنها الغطاء ..

وفى الحجرة كشف عنها الغطاء .. أخرجها من تحت جناحه .. ووجدها تشبه قطة بائسة ..

فستان رقيق .. وشبشب كبير كأنه ليس لها .. وشعر أكرت .. ويبدو أنها لم تستحم من زمن ..

وأخذ يتملاها .. وخيل إليه أنه رآها قبلاً .. لكنه لم يهتم .. فاللاتى يجلبهن كثيرات .. ربما كانت إحداهن .

لا عليه .. عندما تستحم ــ الآن ــ ستصبح إنسانة أخرى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

واقترب منها .. فشم رائحة جوع .. ورآها تتملاه .. تنظر إلى بدلته الجديدة وتتذكر .. ورآها تدير عينيها فى الحجرة ..

هل هى الأخرى تتذكر ؟ !

ورأى عينيها تحمرّان .. وحاجبيها يرتفعان .. وشعرها الأكرت يكبر .. يكبر حتى ليصبح رأس شجرة .. وساقيها تطولان .. ورأى قفصها الصدرى الهزيل ينتفخ .. وسمع صوت عواء مكتوم .. كأنه عواء مكتوم .. يخرج — لابد — من بطنها .. فوقف ينظر إليها .. وهم أن يسألها ما الذى حدث .. لكنه رآها تتراجع وتتجه ناحية الباب كأنها تريد أن تخرج ..

— ما الذى حدث ؟

— لن تلمسنى

— لم ؟

— لقد جئت إلى هنا قبلاً وضربتنى

— أنا ؟ !

زامت

— ضربتنى بالعصا ولم تعطنى نقوداً

— لست أنا

زامت وتشممته

— بل أنت

— لكننى سأعطيك الآن نقوداً

— لن تمسنى

ويدها على الباب تحاول أن تخرج ..

لا .. لا يمكن .. لا يعقل .. وجسدى ؟ !

ذلك الذى لم أعد قادراً عليه .. لا .. لا يمكن ..

وأمسك بها .. حاولت أن تنفلت .. لكنه أطبق على ذراعيها .. حاول منعها بالقوة .. لكنها انتفخت وعوت ..

— لن تنالنى ..

لا فائدة .. لا بد من العصا .. مرة ثانية .. العصا هى التى تعيد إليها الوعى .. هى التى تخرجها من تلك الحالة الذئبية .. هى التى تعيد إليها عينيها الإنسانيتين ..

هى .. ولابد أن تكون الضربة قوية ..

فلتكن العصا .. وحاول أن يجذبها ليحضر العصا من تحت السرير .. عصا المومس كما يسميها .. لكنه وقبل أن ينحنى هجمت على ذراعه .. على بطن ذراعه والتهمته ..

حاول أن يخلص ذراعه .. لكن فمها كان قابضاً عليه .. وأحس أن أسنانها .. أنيابها تغوص فى لحم ذراعه ..

أحس بالأنياب تتسرب من القماش إلى لحم ذراعه ..

أنياب مسنونة .. ليست أنياب بشرية تلك ذئبة هذه المرأة

فكر أن يصرخ .. لكن أنيابها كانت قد وصلت إلى أعصابه ..

ورآها — الذئبة — تخرج من ذراعه بقطعة لحم .. ورآها تمضغ قطعة اللحم .. فاندفع إلى ذراعيها وأخذ يعض ..

كان يعض وكانت هى تأكل .. كانت تمضغ وتأكل .. وكانت الرعدة تنساب فى جسده .. لكنه بعد قليل .. رأى الرعدة تروح .. وراه هو الآخر

يأكل .. بلا مبالاة وجده يأكل

وبلا مبالاة وجدها تجلس .. فجلس قبالتها وأخذا يأكلان ..

القاهرة : صلاح عبد السيد

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من أجـــل فردوس

فـــؤاد قنـــديل

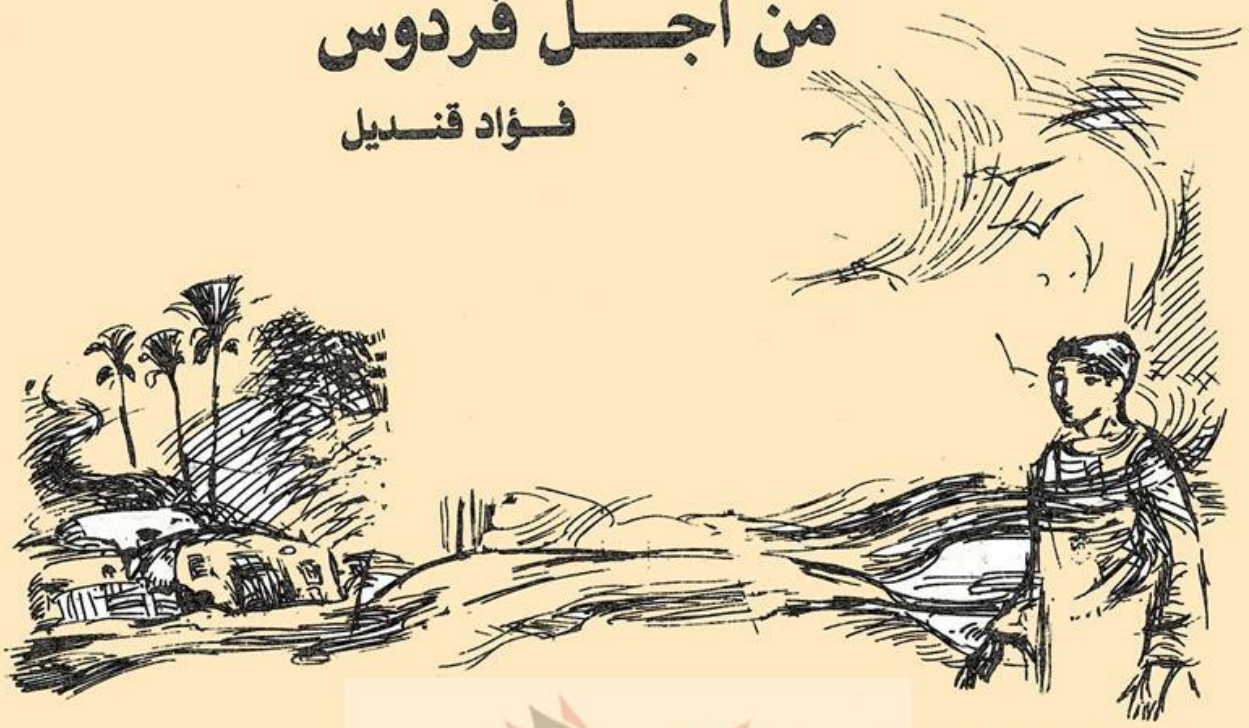

جلس مع عمه وأولاد عمه بعد الغروب ، ينتظرون العشاء . خيوط البرد تتسلل من تحت باب القاعة المغلق .. نظره معلق بعمه وفكره كله مع فردوس .

عمه يقبض بيده المعروقة على عود الغاب ، يصوبه نحو فمه ويتبلع ريقه ثم يسحب نفساً .. يكركر الماء فى بطن الجوزة الزجاجى كأنه يغلى .. تضىء القوالح المشتعلة كلما سحب نفساً ، والصبى يدهش لأنفاس عمه الممتدة ، وحين تبتعد الغابة عن فم العم يهدأ الجمر المستفز ويستعد الجميع ليتفرجوا على كمية الدخان التى سوف تخرج من فمه وأنفه ، ويرقبوا ما يحدث لها إذا هو تكلم .. الدخان الكثيف يتلوى مع الكلمات ثم يرق ويتصاعد ويبدأ عمه فى الكح بقسوة ، والصبى يتأمله فى إشفاق وجزع . بعد لحظات يفيق العم ويتألق ثم يسخر من نفسه ويضحك الأولاد ويعود الصبى إلى قضيته الكبرى : فردوس نِفْسها فى قطعة من الزبد . وهو لا يستطيع أن يرفض لها طلباً ، زوجة عمه التى تعود أن يناديها عمتى تعد العشاء ، وهى تسد عليه الطريق إلى « الكرار » حيث يخزن الزبد فى المحالب الفخار . تدور الأفكار فى ذهن الصبى كالماء الذى يتقلب مجنوناً فى الجوزة ، كيف يحصل على قطعة الزبد التى تتمناها فردوس ؟ .. قال لها : انتظرينى على ناصية حارتكم .. لن أتأخر .

سحب عمه نفساً .. تراجع لحم خديه إلى الداخل .. تقلصت ملامحه وبدا كالشيخ المريض الذى يتسرب من جسده ماء الحياة نقطة نقطة .

تذكر صورة أبيه قبل أن يموت ، كان يشبه بالضبط عمه وهو متوتر الأعصاب أثناء أدائه طقوس حبه الأثير .

فوجىء الصبى بعود الغاب يتوجه ناحيته كأنه بندقية ويتوقف أمام فمه ، قال له عمه :

— خذ لك نفس ياديل القط !

ثم ضحك ضحكة عالية وهو يرى ولد أخيه يدخل فى بعضه وأعقبه أولاده ضاحكين ، أبعد عمه البندقية عنه وقال :

— لا تشرب الدخان أبداً ياديل القط .. الدخان هو الذى ضيَّع أباك .

ظل فى انكماشه وقد تذكر أنه حتى الآن لا يعرف لماذا اختار له عمه هذا الاسم « ذيل القط » .. تشاغل عن الاسم بفردوس التى تنتظر الزبد ، وهو هنا مغلول بقيود لا يستطيع الفكاك منها .. عمه وأبنائه والليل .. وعمته التى بالداخل تقف فى منتصف الطريق إلى الكرار وبإمكانها أن ترى المتجه إلى الباب الكبير . وهومربوط أيضاً إلى وتد العشاء الذى لابد أن يتناوله معهم وإلا فلن يراه بعد ذلك ! حدّق فى الجمر المشتعل وعمه يقول لابنه مجاهد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

— اكبس ياولد

يمسك مجاهد الماشة ويضغط على الجمر ، يجتهد أبوه فى تقليص ملامحه والقبض على ماسورة الغاب والشفط بقوة فيتقافز الماء فى اضطراب ويتألق الجمر حتى يبيّض ، ويخرج الغاب بعد مدة من بين الشفتين اللتين كانتا تعتصرانه .

حرص الأولاد هذه المرة على مراقبة الدخان الذى توقعوا أن يفوق كل المرات السابقة ، وفعلاً فاقها حجماً وكثافة حتى اختفى وجه العم وظهرت فردوس من بين سحب الدخان منتظرة على رأس حارتهم تتلفت وتتململ .. شعرها الأسود الطويل يتدلى إلى آخر ظهرها ويصيبه المآل هو الآخر ويتلفت معها بحثا عن الصبى الذى طال غيابه .. يخامرها اعتقاد بأنه نسى ، فتلملم نظراتها الأسيانة وسرعان ما تشف وتتفكك قطعاً مع الدخان المغرم بالتلاشى .

ارتعشت فردوس بداخله فانتفض . خرج من القناعة ووقف إلى جوار عمته يشاهد القدر التى تغلى ، والدخان يحاول النفاذ من الحافة الدائرية للغطاء المعدنى ، ويتمكن بمحاولات متتابعة وإصرار أن يرفعه رفعات خفيفة تحدث طرقاً رتيباً لا يتوقف .

أمسكت زوجة عمه خرقة وقبضت بها على أم الغطاء ، وعندما رفعته وأخفاها الدخان المكبوت ، قفز الصبى فى خفة إلى « الكرار » حيث وجد نفسه فى حجرة باردة تختفى معالمها فى ظلام كثيف .. صمت لحظة ، ثم اكتشف أنه نسى إحضار طبق أو علبة ليحمل فيها الزبد .

لعن غباءه وعجلته . وما لبث أن طمأن نفسه بأن الزبد سيكون متجمداً لأن الدنيا برد ولن يحتاج إلى طبق أو علبة .. لم يضع وقتاً وانحنى متحسّساً المحالب ، واختار إحداها .. مد يديه إلى الحبل الذى يلتف حول الخرقة التى تسد فوهة المحلبة .

عملت يداه وحدهما فى الظلام .. كانتا تتلمسان بلباقة رأس العقدة ويبحثان فيها عن خط سيرها .. تصارعت يداه والعقدة المحكمة طويلاً .. أخيراً حلها بيديه وأسنانه .. أدخل يده فى بطن المحلبة وغرف ملأها . لحس الزبد بلسانه .. كانت متجمدة ، فقضم منها قطعة .

تذوق بكل أعصابه حلاوة الزبد البلدى الذى ذاب فى فمه . حاول أن يتصور فرحتها والسعادة التى ستطفر إلى خديها وعينيها : ستفرح ، وربما تقبلنى ... ستحبنى أكثر .. ولن تلعب أبداً مع أحد غيرى .. غداً فى الصباح سيحسون بذلك ، حتى الولد ابن نجية ، وسعداوى ابن شيخ الخفر .. مهما فعلوا سوف تتركهم وتلعب معى .. ولن تهتم بابن العمدة الذى يحاول إغراءها بالبسكليته .. فردوس .. القلب الطيب والعيون السود . فردوس أمى وأبى وأخوتى وكل الدنيا .

لف الحبل من جديد على رقبة المحلبة .. دنا من الكرار .. طالعه ظهر عمته العريض كزكيبة القطن وهى تقف وسط الدار أمام المواقد .

فرح للفكرة التى نبتت فى رأسه .. لن يمسك به أحد .. أخفى قطعة الزبد تحت الطاقية وتسلل بخفة فإذا هو إلى جوار عمته . لمحته فقالت وهى تفتح نفس وابور الجاز فبدا يرتاح من الهواء الذى ملأ جوفه ساعات طويلة .. ويختفى معه الضجيج تدريجياً ..

— هيا ادخل . العشاء جاهز

اضطر إلى الدخول .. قال له عمه :

— أين اختفيت يا ذيل القط ؟

قال الصبى : عمتى تقول إنها جهزت العشاء . أسرع الأولاد يحملون الطبلية المستندة إلى أحد الجدران وينصبونها أمام أبيهم الذى لا يقدر على فراق الجوزة .. أحضر مجاهد الخبز من « المشنة » ، وبشندى القلة الكبيرة ونافع من الطاقة طبق الفلفل المخلل وبرطمان الملح .

ظل الصبى واقفاً يتلفت دون أن يفعل شيئاً .. أمره عمه بالجلوس . قال له : سأذهب إلى بيت الأدب .

كان البحث عن طريقة للخروج هو الذى يجعله كالدجاجة الحائرة تبحث عن موضع آمن لتبيض فيه .

لم يتجه إلى بيت الأدب ولكنه استدار يساراً صوب الباب الكبير ، نادته عمته : إلى أين ؟ .. هذا وقت العشاء .

دخل الغرفة مرغماً وجلس بينهم وبكل عقله يفكر فى الزبد الذى تحت الطاقية وقلبه يناشد فردوس أن تنتظر ، فهو قادم .. حتماً قادم

أخرجه عمه من أفكاره :

— أنت عرقان ياذيل القط والدنيا برد

دق قلبه ..

زعق فيه عمه :

— مابك ؟ ردّ .. أ أنت مريض ؟

قال الصبى وهو يعالج صوته الذى لم يجده إلا بصعوبة :

— أبداً .. لا شىء

مد مجاهد يده ومسح العرق الذى يسيل على صدغ الصبى .. أطل فى أصبعه ثم لحسه وصرخ :

ـــ سمن

هتف أبوهُ دهشاً : سمن ؟ . ابن أخى يعرق سمناً ؟ طار بشندى وخطف الطاقية من فوق رأسه .. كل شىء تم فى ثانية وهو مذهول .. قلبه يدق بشدة .. الدنيا كلها تدق طبول هائلة ، والقلوب كلها تدق فى أذنيه ، وهو يهبط ويتضائل ويسيل كالزبد .

دنا منه نافع الصغير وأمسك قطعة الزبد التى فوق رأسه ورآها الصبى صغيرة جداً كالبلية ، وتذكر فردوس ، لام نفسه لأن القطعة التى كان سيحملها إليها صغيرة جداً .

دخلت عمته بطبق كبير .. قال لها زوجها :

ـــ تفضلى يا ست هانم .. ابن أخى يسرقنا .

حطت الطبق على الطبلية وفغرت فاها ، أخذت تنقل نظراتها بين الصبى والزبد .. تفجر الغضب فى عينيها .. خرج منهما مثقابان من نار ونفذا فى جسده وبلغا عظامه التى تأهبت للسحق .. قالت :

ـــ كله إلا السرقة !

كان ينوى أن يقول : إنها أول وآخر مرة ، لكن عمه لكزه فى جنبه لكزة قوية نفذت إلى بطنه فتألم دون أن ينطق .. قال عمه كلاماً وقالت زوجته .. كان غائباً عنهما يتتبع بأعماقه الألم الذى طواه .

لم تتح له الفرصة كى يتذكر ماضيه منذ مات أبوه وأمه بعده بشهور قليلة .. لقد كان يحاول أن يعيش بينهم على الصراط المستقيم ، ويجتهد أن يحظى برضاهم جميعاً من عمه إلى نافع ، بل إلى الحمار والعنزتين .

فوجىء بعمته تجره وتقول : أخرج وابق فى الزريبة عقاباً لك .. لم يكن خروجه عقاباً له .. كان خلاصاً من موقفه المهزوم ، وإنقاذاً لكرامته التى تتمزق تحت نظرات أبناء عمه .. فى الزريبة يمكن على الأقل أن يتنفس هواء نقياً .

أحست البقرة به والحمار والعنزتين .. لم يبد على العجل الصغير أنه أحس بالزائر ولعله أحس ولم يهتم فقد كان متفرغاً للرضاعة جاهداً فى شد عودد النحيل ، بينما كانت أمه تمضغ فى تلذذ واتقان عيدان البرسيم ، أما الحمار فلم يستطع منع الصوت العالى الذى تحدثه أسنانه وهو يجرش الفول ، وجبته المسائية المفضلة ، ولم يجد داعياً للتوقف واكتفى بمراقبة الضيف بعينين مرحبتين .

كان الصبى قريباً من البقرة ودون أن يدرى أسند رأسه على بطنها الدافىء .. وجرفه الانفعال إلى طريق الدمع فبكى بقسوة زائدة كأنه كان يبكى كل الأشياء التى أحزنته منذ رحيل أبويه .. مدت البقرة ذيلها وخبطته بحنان ، ثم مدته مرة أخرى وأحاطته به ، وتوقفت عن مضغ البرسيم لما علا النشيج وتزلزل الجسد الصغير الذى يستند على بطنها . مضى فى بكائه إلى أن بلغ مسامعه صوت رقيق يهمس باسمه فى حنان . تطلع فإذا فردوس تنزل من السماء فى ثوب أبيض به نجوم متلألئة وشعرها الأسود الذى يحبه يطير خلفها ومض ، وهى تهتز اهتزازات ناعمة كأنها تطفو فوق سطح ماء يتدلل .. ابتسمت بسمتها التى يعرفها فأضاءت جوانحه .. استطالت يدها الطرية فمسحت دموعه وربتت على ظهره ثم تراجعت صاعدة وهى تودعه إلى أن غابت تماماً عن عينيه .

رفع رأسه ، كان الظلام يطبق على الحظيرة .. مسح دموعه بكم الجلباب المشقوق إلى نصفه وخرج .. دنا بحذر من باب القاعة المغلقة .. كانوا يتكلمون ويأكلون . لم يجد نفسه بينهم على الإطلاق .. غالبه شعور بالوحدة والخوف .. فردوس .. الزبد لابد أنها ستيأس ولن تنتظرنى .. لا .. إنها لن تذهب .. لابد أنها هناك .

ذهب إلى الكرار وأخذ قطعة زبد كبيرة ، كورها وأسرع إلى فردوس ، زعق الباب الخارجى كثور جائع .. لم يهتم .. سيكون فرحها كبيراً .. ستطير ..خرج الى الحارة استقبله عالم آخر .. وشوشت فى أنفه رائحة المساء نقية ومعطرة بأريج الخضرة والانطلاق .. كانت البيوت قابعة ، يطل عليها ضوء مختنق تعكسه مرايا القمر الذى تحاصره الغيوم .. يمكنه أن يرى لمسافة تكفيه كى يجرى دون أن يصطدم بأحد .

أسرع وحيدا فى الحارة تسبق اللهفة خطواته القصيرة ، تقاومه الريح التى تعدو صوب عمه ، وهو يشقها مندفعاً صوب فردوس .. دفعت الريح أمامها كل خوفه وتركته مشتاقاً بلا خوف .. نسى تماماً ما جرى فى بيت عمه .. نسى عمه نفسه كل اتباعه .. تلاشى تماماً عالمهم مع الفرحة التى توشك أن تنبثق فى كيانه بعد لحظات .. حين تلتقى الزبدة بالفم الجميل وتسيل فيه نهراً من عسل .

لم يجدها .. لم يجدها .. لم يجدها .. آه لم يجدها

انطلق إلى بيتهم .. فتحت أمها .. سألها .. قالت : نامت .. انكسرت رقبته وسقطت رأسه على صدره .. غامت الدنيا .. ارتعش جسده وأحس بالبرد الذى لم يحس به منذ بدأ موسم

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البرد .. سقطت من يده المتهاونة قطعة الزبد .. لمحتها أم فردوس وهى تتمرغ فى التراب ..

هتفت : تعال

دخل وهويُمَنى نفسه أن تكون فردوس نصف نائمة ، أو تتاح له الفرصةكى يراها وهى نائمة ، ويضع يده على جبينها ويسوى شعرها الذى تعود أن يقف فوق عينيها . ليته يستطيع أن يتأملها وهى مغمضة العينين .. ليتهم يسمحون له أن يجلس إلى جوارها ليدفع عنها الذبابة الملحة والناموسة التى لا تكف عن الطنين وتحاول أن تقرص جلدها الطرى .

تصور نفسه وقد تركوه إلى جوارها يرعاها حتى ثقلت جفونه ، فوضع رأسه على نفس الوسادة التى عليها رأسها ، بعثر نظراته فى كل اتجاه .. سأل أمها من جديد وقد تأكد أنه بالفعل يتيم : هل نامت حقاً ؟

ردت أمها : أنها الآن تأكل الأرز مع الملائكة !
تقطرت الكلمات فى قلبه حرفاً .. حرفاً

— تأكل الأرز مع الملائكة ؟ .. بدونى .. أرز مثل أرزنا ؟ .. يارب قل للملائكة أن تضع لها على الأرز زبداً من الذى تحبه ، لقد وقعت قطعة الزبد على الأرض .. حقك علىّ يافردوس .. لابد سأحضر لك غيرها ، فى الصباح ستكون معك الزبدة ونلعب بعدها معاً .. أنا وأنت فقط .

أحضرت له أمها الطعام ، لم يلتفت إليه ولو من باب حب الاستطلاع .. كان لا يزال يتسمع الأصوات بحثاً عن حركتها .. لم تبلغه غير هجمات الريح على الأبواب والنوافذ .. ألحت عليه أمها كى يأكل .. كسر لقمة ووضعها فى فمه .. مضغها طويلاً وحاول بلعها .. لكنها لم تمر .. لم تمر .

القاهرة :فؤاد قنديل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

□□□

خمس دقائق على البحر

محمد المخزنجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى السادسة وعشرين دقيقة تقريباً ومرات كثيرة فى الدقيقة العشرين بالضبط .. التفت . فأبصر الطابور فى مدخل الكوبرى . ويتناهى إلى سمعى الدبيب شبه المنتظم لمائتين من الأقدام الصغيرة المتقدمة فى خطوة عسكرية محنّكة .

ويعلو الدبيب شيئاً فشيئاً بينما الطابور يقترب من موضعى ، وأنا أنتظره .

فى هذه اللحظة يكون قرص الشمس الكبير الأحمر قد علا فوق بيوت الشط الآخر ، والشجر الغارق فى الظلال عند انعطاف النيل شرقاً ، وانتشر البرتقالىّ يصبغ الصبح .. صفحة الماء ، وبطون النوارس البيضاء المنطلقة فوقه ، وبعض الزوارق الساكنة فى مراسيها الليلية حول عوامة الكوبرى ، وكذا الضفة المبطنة بالحجر الجيرى الأبيض . تكون واجهات بيوت الكورنيش البيضاء والضاربة إلى الصفرة كلها وردية . أما السحب القليلة القريبة من الأفق فإنها تكون مشرّبة الحواف بهذا الاشتعال الشفقى . ولا يكون فى هذا المدى كله غير شقشقات آلاف العصافير المستيقظة لتوها فى شجر الضفاف وترنيمة كروان مختبىء فى جزر الديس والغاب

الدانية من الشط ، ورفرفة أجنحة النوارس المنطلقة ، ثم الدبيب . أكون قد أمضيت ساعة أو نحوها جالساً على كرسى بلاج صغير وسط مشاية الكوبرى .. على رأسى قبعة من قماش تنسدل حافتها العريضة على وجهى ، وعيناى تختبئان وراء نظارة غامقة كبيرة ، ويدى تمسك خفيفاً ببوصة مفرودة العُقل يرتكز عقبها بين كعبّى وخيطها يتدلى إلى الماء بثقل من الرصاص دون صنارة . فأنا فى حقيقة قلبى لا أبتغى الصيد ، ولا أحبه . فقط : أتوارى خلف تبرير غير جنونى — بمنطق ناس هذه الأيام — إن تعرّف علىّ أحد من ناس هذه الأيام ، للمكث هكذا طويلاً .. أعاقر أنفاس الصباح البكر ، وارى مطلع الشمس ، واستيقاظ النيل ، ثم يدهشنى ما يتجلى به هذا الطابور فأدمن انتظاره .. بل أدمن ما هو أكثر من مجرد الانتظار .

يشارف الطابور موضعى فلا أطيل النظر إليه لكثرة ما حفظت من ملامحه . لكننى أندفع نحو السياج واقفاً .. أجعل البوصة عمودية لصقه حتى لا تعوقنى عن النظر من أبعد نقطة فوق (درابزين) الحديد المندّى .. أرى سياج

الكوبرى من الخارج ، ورقرقة الماء السحيق تحته ، وأعرف انهم ــ أطفال ملجأ الأيتام ــ يقتربون منى أدنى ما يكون .. يقتربون برؤوسهم الحليقة ، وعيونهم المدهوشة دائماً .. بزيهم الرمادى الكالح الموحّد ، وأحذيتهم الطرمبة السوداء الملمّعة بشدة ، ومخالى الدمور البيضاء المصفرة المعلقة من آذانها القماشية الطويلة فى الأكتاف .

أصغى لتغير إيقاع الأقدام الصغيرة جنبى فأدرك أن (العرّيف) .. هذا الشاب الطويل ، مضحك الطول ، اليتيم مثلهم ، والذى يقود الطابور برأس حليق أيضاً ، وعينين حولاوين ، وزى رمادى وحذاء طرمبة ، إضافة إلى عصا فى يده ليست غير فرع صغير أخضر لم تُنتزع حتى أوراقه . أدرك ــ دون التفات ــ أن هذا العرّيف يقف الآن على بعد خطوة منّى ، دائماً فى هذا الموضع وعلى بعد خطوة .. يواجه طابوره فاتحاً ساقيه الطويلتين المقوستين قليلاً ، يرفع ذراعيه ويهز غصنه فى الأعالى هزتين ، فيأتى الأولاد ويتراكمون أمامه .. تتضاغط صفوفهم وأقدامهم الصغيرة المدرّعة تبدل حركة السير قدماً إلى سير فى المكان ..خطوة تنظيم متحمسة عالية الدبيب ، أرهف سمعى خلالها وألتفت خفيفاً متوقعاً صدور الأمر .

وبلا تعريف ، أوحرف عطف ، ومثل شخص يصيح بعد توقفه عن الجرى تواً .. أسمع نداء العرّيف : « أشبال مؤسسة تربية تعليم تأهيل بنين أبناء وزارة شئون اجتماعيا!!!اه . قف ، . دب . دب . دب ، ويتوقف الأولاد مثل خشب صغار بلا سند ، ولا ملمح للحياة فيهم غير التماع العيون وحركتها المترقبة . ثم يملأ العريف صدره بالهواء ، ويتريث قليلاً ، ويطلق الأمر :

« أشبال مؤسسة تربية تعليم تأهيل بنين أبناء وزارة شئون اجتماعيا!!!اه . خمس دقايق بحر » ! يسمى النهر بحراً ، ويحدث الهرج الجميل ، وتوشك ذروته ..

فى نفس حيز وقفتهم على المشاية ، جنبى ، ينفرطون .. يتجلون أطفالاً فى غمضة عين .. تتداخل صيحاتهم الرفيعة ، وتبتهج وجوههم ، وتأتلق العيون الطفلية التى طمست ..تتئد المخالى كلها فى صف واحد ،أبيض ، يتوّرد عند سفل السياج بين أقدامهم القلقة . وألمح حركة واحدة للأيادى الصغيرة وهى تدخل فى الجيوب الرمادية ، ثم تخرج بالحفنات البيضاء . وعبرفجوات حديد السياج المشغول يندفعون برؤوسهم وأياديهم وصيحاتهم واللفتات ، فأنسى نفسى كما فى كل مرّة ، أو أحب لو أنسى .. أندفع بصدرى إلى الدرابزين ، وعليه أنطوى ، وأطل . وألمح العريف يطل مثلى عند الطرف الآخر البعيد .

مائة رأس مدور حليق ،بمائة فم صغير ، ومائتى عين تلمع بعفرتة حلوة ، ومئتا يد مضمومة .. تطل جميعاًعلى النيل كأنها تخترق جدارا حديدياً إليه . وفى لحظة واحدة تنطلق مائة من الأصوات الرفيعة فى نفس واحد : « واحد . اتنين . تلاتا!!! » ، وتنفتح الأيادى الصغيرة قاذفة فى الهواء آلاف القصاصات المنمنمة من الورق الأبيض . ويشتعل الهتاف : « طيرى طيرى يا عصافيرى . طيرى طيرى يا عصافيرى» .

طيرى طيرى طيرى .. بإلحاح جميل ، وصخب لا يؤذى أذناً ، تتكرر الكلمة ملخصة نداء المائة صوت تصحبها القبضات الصغيرة « ملوحة مع إيقاع ترديد الكلمة ، كأنه تشجيع حار يُبقى هذه الآلاف من القصاصات محلقة تصعد وتهبط وتميل وتدور وتتداخل معاً .. تظل دون أن تهوى طالما النداء عليها يتكرّر . تبدو كأسراب كثيفة من عصافير جنة بيضاء منمنمة تتعلق مرفرفة قرب حافة الكوبرى من الخارج ، ويظهر تحتها الماء .

هل هو فعل تيارات الهواء المتدافعة من حول جسم الكوبرى ؟ أم فعل مئات الزفرات الدافئة والشهقات التى تجذب ؟ أم ماذا ؟ أمكث مبهوراً بهذه السحابة من القصاصات التى تبدو كأنما دبت فيها الحياة وأحالتها إلى عصافير جنة حقيقية ، خرافية . وللمرة ــ ربما المائة ــ أجرب حظى خلسة ، وبمداراة ، أرمى ما أخبئه من قصاصات ،مثل الأطفال ،دون أن أجرؤ على التصايح مثلهم . ويذهلنى ويكئبنى أنها تهوى .. لا تتعلق ولا ترفرف مثل عصافيرهم . فأودّ لو أتصايح مثلهم لعلّها تبقى . لكن ، أى تبرير مفهوم يمكننى التوارى خلفه هذه المرّة ؟

أسكن مراقباً الرؤوس الصغيرة الحليقة والأيادى ، وسحابة العصافير العجيبة البيضاء ، ويفجؤنى ــ كما فى كل مرّة ــ صوت العريف يعود : « أشبال مؤسسة تربية تعليم تأهيل بنين أبناء وزارة شئون اجتماعيا!!!اه . كما كنت » . وأرى القصاصات ــ بدهشة وألم ــ وهى تهوى تباعاً .. تلامس سطح الماء البعيد فيحملها التيار ويمضى . وأسمع خلف ظهرى دبيب أقدام الأيتام ينخرطون فى الطابور الذاهب إلى الورش فى الضفة الأخرى ، فأستعيد خيط صنارتى الخالى وأطوى عقل بوصتها .. أتأبط كرسى البلاج الصغير ، وأسرع قبل أن يداهمنى الزحام ويلذعنى اتقاد الشمس .

المنصورة : محمد المخزنجى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بيضة الديك

عائد خصباك

هو سبب واحد لا غيره ، ذلك الذى جعل اسماعيل مستعداً للتخلى عن نصف عمره لمن يجعله ـ كما هو الآن ـ مديراً للمتابعة ، القسم الذى عمل فيه سنوات عديدة ، وتحت إمرة مديرين مختلفى الأمزجة فى التعامل ، لكنه مع كل واحد منهم لا يملك غير تمالكه لنفسه ، فمنهم من وصل لأنه لا يستطيع أن يتصور كيف ستمضى أيام العمر بدون رئاسته لقسم حتىٰ ولو كان صغيراً وتحت إمرته موظف واحد من مثل قسم المتابعة . ومنهم من الوصوليين ممن يريدون أن تكون رئاسة القسم هذه محطة استراحة يلتقطون فيها أنفاسهم قبل متابعة الجرى . هناك النمّامون والمتملقون من أصحاب السيقان الهزيلة ، نباتات متسلقة بحاجة دائمة إلى جدار تستند إليه وتنمو فى ظله . ومع ذلك كان اسماعيل يرىٰ كيف تنمو الأجنحة لكل قادم جديد منهم ، حتىٰ إذا اكتمل ريشها ، وباتت تقوى على الطيران ، حلّقت به إلى الأعلىٰ ، لأن الغرفة التى فيها المنضدة نفسها ، والكرسى نفسه لا يتسع لاثنين ، وبسهولة شديدة جداً يأخذ رئيس القسم الجديد الغرفة والمنضدة والكرسى ، ويعمل بعض الحركات التى يعلن بها عن وجوده ، ولغاية ما يستتب له الأمر ، أو بعد ذلك بوقت قصير ، فإن (اسماعيل) ينظر لأمور هذا القادم الجديد نظرة المطمئن إلى المصير المؤكد الذى ينتظره ، لأن ريش الجناحين سيكتمل ذات يوم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طار الكثيرون من مكاتبهم ، وجاء إسماعيل لرئاسة القسم ، ليس لأن الدنيا خلت من ناس يستحقون المنصب الذى شغر ، ولكن هكذا حصل الأمر ، أمنية وتحققت ، لدرجة أن غيره من الموظفين أخذوا على أنفسهم أنه لا ينبغى أن ينظروا بعين ضيقة إلى أى امرىء مهما كان صغيراً : فهم لا يدرون متىٰ يكبر وينمو ويعظم . لم يدفع نصف عمره لمن أوصله ، إذا كان هناك من أوصله ، لأن المقصود بالطبع هو نصف عمره المتبقى ، ولهذا فالتخمين هنا صعب جداً وشائك ، وربما يؤدى البحث فيه إلى التشاؤم ، وله الحق فى ذلك ، لأنه لن يخرج عن التفكير فيما تبقىٰ من أيام العمر ، ولهذا بالامكان اعتبارها مجرد جملة تحمل دلالات توضح خطورة الموضوع وأهميته ، أما السبب الواحد الذى بسببه أحب رئاسة القسم ، فهو حبه للاجتماعات التى تعقد داخل المؤسسة ، والتى لا يمكن أن يحضرها غير رؤساء الأقسام . إذن فالاجتماعات منه قاب قوسين أو أدنىٰ كما يقولون ، هكذا فكّر مع نفسه وهو يعيد قراءة التكليف الصادر بحقه مرة بعد مرة . مع علمه أن الأمر لن يطول لأنه بدأ يشعر من هذه اللحظة بوخزات الخوافى والقوادم فى طريقها إلى خارج جلده وكان لا يستطيع منع نفسه وردها عن هواها عندما قال للموظف الجديد الذى عمل تحت إمرته بما يجب أن يفعله أثناء وجوده خارج غرفته بسبب الاجتماعات الكثيرة التى ستعقدها المؤسسة ، والتى يجب أن يحضرها كلها ، فالأمر فى غاية الحساسية . هزّ الموظف رأسه بتفهم ، بينما أغلق اسماعيل عينيه على صورة رئيس المؤسسة وهو يرأس الاجتماع ، والمديرون هنا على هذا الجانب وعلى ذلك الجانب وهو بينهم ، وأدهشه أن يكون لرئيس المؤسسة صوت ملىء بالحنان الأبوى .

وفعلاً ، دُعى إلى اجتماع مديرى الأقسام ، شغل أحد الكراسى فى الخط الطويل الذى يمتد علىٰ طول المائدة فى قاعة الاجتماعات ، علىٰ الجهة اليمنى لرئيس المؤسسة ، وبالضبط كما كان يتوقع ، شىء مدهش ، لدرجة ان الناس مهما أطنبوا فى ذكر فضائله أشياء أخرى داخل النفس ، أكبر من ذلك جميعه . ولعن رؤساء القسم السابقين ، لأن أهدافهم لم تكن حضور مثل هذا الاجتماع ، ناسين أيّة معجزة يملكونها بطريقة مشروعة ، لكنهم جحدوا هذه النعمة ، هكذا ينظر للأمور ، وهو ليس من النوع الذى يغيّر رأيه بالصدفة ، شعر أن الجلسة تدفئه ، يتقارب الجميع من بعضهم بحميمية ، على هذه الصورة أرادهم أن يسألوا الأسئلة ، وكل سؤال يفضى إلى التالى وفى النهاية لا تكون للاجتماع نهاية .

لا يهم أن يسأل بعضهم السؤال نفسه ولكن بألفاظ مختلفة ، فالهدف واحد . رفع القلم من علىٰ المنضدة كما رفعه غيره ، سمع جملة فكتبها علىٰ أول سطر (الموضوع مهم وعلىٰ درجة كبيرة من الأهمية)وكتبها على أول ثانى سطر ، فكر فى هؤلاء الناس حوله ومبلغ سعادتهم ، التى هم عليها لأنهم سبقوه فى الحضور إلى هذه الاجتماعات ، حاول أن يصغى بينما هو يكرر كتابة الجملة نفسها ، وعندما انتهىٰ من ملء الصفحة ، هزّ رأسه علامة الرضىٰ . كان هناك شخص يتكلم وهو ينقل نظراته بين الحاضرين ، وتوقف عند هزة رأس إسماعيل ، ربما معتقداً أنه أكثرهم انتباهاً له ، فظل يتكلم ويتكلم ، وإسماعيل يهز رأسه دون أن ينطق بكلمة واحدة . فى هذا الاجتماع ، لا يهم أن ينتبهوا لوجوده ، المهم أنه سيحضر الاجتماع القادم مثل أى منهم . وعندما انتهىٰ من كتابة الورقة الثانية ، هزّ رأسه مجدداً .

الأكثر متعة من ذلك هو تلك الكتابة علىٰ الورقة أثناء الاجتماع ، لأنه حاول أن يفعل ذلك وقتما رجع إلى مكتبه ، وضع ورقة بيضاء علىٰ المكتب أمامه ، وبدأ يكرّر كتابة جملة ويعيدها ، لكن قبل الوصول إلىٰ منتصف الصفحة تلك أخذها داخل قبضته ، قبل أن يدفعها لسلّة المهملات بملل لا يخفىٰ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فى اليوم الثانى لم يدعُ رئيس المؤسسة لاجتماع ، كذلك فى اليوم الذى يليه ، فقلق إسماعيل كثيراً . فى البداية ظن أن أحدهم لم يخبره بموعد الاجتماع ، وعندما تحقق من ذلك وجد أن الاجتماع لم يعقد قطّ . أصابته خيبة أمل ، ولعن حظّه العاثر ، فهل كان ذلك الاجتماع هو بيضة الديك كما يقولون ؟ هل انتهت حماسه أن تجمعهم قاعة يتدارسون فى جو عائلى ما يجب دراسته ؟ . ورغم ذلك كان يحضر إلى المؤسسة مبكراً ، ولا يتركها إلاّ عندما تؤشر ساعته وقت الانتهاء .

بعد مرور أسبوعين تقريباً ، وقبل الظهر بالتحديد اتصلت زوجته فى التليفون تخبره بصوت يائس ، أن ابنه الصغير فى حالة صحيّة يرثىٰ لها ، ويجب أخذه إلى المستشفى ، لأن التأخير يزيده سوءاً ولم يتخلف ، لأنها من النوع الذى يتكل عليه فى كل شىء ، فذهب إلى البيت وأخذ الطفل إلى المستشفىٰ . كان يوماً عصيباً للوالدين كليهما وللطفل المسكين الذى أخذ قنينة مُغذّ كاملة .

عندما دخل غرفته فى المؤسسة صباحاً ، أخبره الموظف الذى معه ، أن اجتماعاً عقد فى غيابه ، بعد خروجه إلى

المستشفىٰ يوم أمس . كان بصدد الجلوس علىٰ كرسيه عندما استمع لذلك ، فلم يجلس ولم يقف ، تسمّر فى تلك الصورة الفريدة التى تضحك الأصدقاء قبل الأعداء . شعر كما لو أن فى الأمر لعبة ما ، أو أن القدر ضده ، وإلاّ فلماذا اجتمع مديرو الأقسام فى تلك الساعة ، وهو غائب ؟ أين كانوا فى السابق ؟ على كل حال ، ينتظر . متى يمكن إصلاح الحال ؟ .

قاده التفكير إلى ما قد يوصله إلى نتيجة ، أتصل بمدير مكتب رئيس المؤسسة يسأله عن موعد الاجتماع اللاحق ، وحاول أن ينثر فى كلامه بعض عبارات التودد ، عسىٰ أن يلين قلبه ويعطف عليه ، ويذيع له السر الذى يريده ، لكنه استغرب سؤال اسماعيل ، فكيف له أن يعرف ما لم يقرره رئيس المؤسسة بعد ؟ ومع ذلك لم يقتنع إسماعيل بهذا الجواب ، وهو يضع سماعة التلفون منهياً مكالمته معه . وانتظر أياماً ، رآها طويلة جداً ، وبدا يغيّر رأيه فى موضوع رئاسة القسم الذى لم يعد يهمه .

بعد أسبوعين من مرض ابنه اتصلت به زوجته ، فسمع صوتها فى التليفون مجهداً جداً وهى تقول إنها يجب أن تراجع طبيبها ، لأمور متعلقة بالجنين الذى فى بطنها ، وأسرع إليها ، وفى المستشفىٰ شدّ الطبيب على يده . شاكراً له سرعة قدومه وأسعدته النتيجة وهو يمضى بقية ذلك اليوم مع زوجته ، ولكن عندما ذهب إلى المؤسسة فى اليوم التالى عرف أن اجتماعاً عقده رئيس المؤسسة ، حضره جميع مديرى الأقسام إلاّ هو ، فلعن الساعة التى خرج فيها ، لأنه لم يتعظ من الذى حصل سابقاً ، وها هو يكرر الغلط نفسه بكل حذافيره ، وعلى هذا فقد لدغ من الجحر عينه مرتين ، وهذا شىء كثير ! . فكر أن هناك من يترصده ويلعب معه لعبة القط والفأر ، وإذا كان كذلك فهذا يعنى أن هناك خيوط مؤامرة تحاك ضدّه . ولكى يجتاز هذه الأزمة دعا الموظف الذى معه إلى اجتماع يعقده فى اليوم التالى ، لكنه كان اجتماعاً فاشلاً ، فلا أحاديث كثيرة ولا أفكار جديدة تطرح ، ليس لأنهما كانا بلا أفكار ، ولكن بسبب أنهما يمكن أن يلتقيا فى أية لحظة ويمكن أن يتبادلا الأفكار بدون اجتماعات ، ويلقى إليه بتوصيات دون حاجة إلى مواعيد . إذن ما فعله لا يعد اجتماعاً بالمرة ، ليست به هزّة رأس توحى بالرضا ، ولا هناك صفحات يكتب بها ما يشاء من جمل . ولكى يدارى خيبة اجتماعه هذا ، قطعه فجأة ، عند ما دبّ الملل إلى نفسه ، وغادر الغرفة إلى التواليت . ذهب بعدم حماس ، وعندما رجع ، سأل الموظف إن كانت له رغبة فى الذهاب إلى التواليت ، خرج الموظف ولم يعد إليه فى ذلك النهار ، ولم يسأله هو لماذا لم يعد .

بعد أيام اتصلت به زوجته ، فعرف مقدار الألم فى صوتها المتوسل وهى تستنجده أن يأتى ليأخذها إلى المستشفىٰ ، فوضع سماعة التلفون فى أقصىٰ سرعة ، وانطلق نحو الباب ، لكنه توقف فجأة وهو يفكر : هل سألدغ من الجحر نفسه ثلاث مرات ؟ عاد إلىٰ مكتبه ، وجلس ينتظر . فى ذلك اليوم لم يعقد اجتماع ، لكن الذى حصل ان نقلت زوجته إلى المستشفى ، فذهب وراءها ، وهناك قالت له الممرضة : المهم حياة زوجتك . فعرف ما حصل للجنين ، تألم كثيراً ، ولم ينطق بحرف واحد ، فما الذى يمكن أن يقوله لها ، فمن الجائز أن يكون تأخره أحد الأسباب التى أدت إلى ذلك ، ظل معها فى المستشفى ، وفى مساء اليوم التالى عاد بها إلى المنزل

عندما وصل إلى المؤسسة ، أخبره الموظف الذى فى قسمه أن اجتماعاً عقد بغيابه يوم أمس ، وكان ذلك الخبر حرياً أن يجعل الدم يغلى فى شرايينه ، فقال له الموظف محاولاً ان يخفف عنه وطأة الخبر : الأيام طويلة أمامك ، والصبر مفتاح الفرج . وبالنسبة له اعتبر الاجتماع الذى عقد وهو ليس فيه بمثابة إهانة قطعت نياط قلبه . أراد الذهاب لرئيس المؤسسة ليقول له إنه لا يعوض مشاعره التى جرحت جرحاً دامياً غير أن يعقد اجتماعاً لاحقاً ، وبالسرعة الممكنة ، لكنه لم يذهب ليعالج موضوع دفع الضيم عن نفسه . ورأى أن أفضل شىء يجب عمله هو عدم ترك أية فرصة للآخرين ، بمعنىٰ آخر أن يكون موجوداً علىٰ الدوام فى غرفته ، وإذا تحرك ، فهى تحركات محسوبة لا تأخذ أكثر من دقائق معدودات للوصول إلى قاعة الاجتماع . ومع ذلك لم يحصل ما يدخل السعادة إلىٰ نفسه ، ولا حتىٰ مجرد اجتماع واحد آخر .

بعد مضى فترة ، وجد نفسه لا يفكر بالاجتماع قدر ما يفكر بالحالة النفسية المتردّية التى وصلت إليها زوجته ، بسبب جنينها الذى فقدته ، وبسببه هو ، حيث وجدته دائم الانشغال عنها بأفكاره فظنت به الظنون ، ومن وجهة نظرها ربما كان فى الموضوع امرأة ثانية ، ولكى يعيد إسماعيل المياه إلى مجاريها اقترح الذهاب إلى (الحبانية) ، فهناك الماء والخضرة ومدينة ألعاب يمرح بها الطفل ، واكدّ لها أنهما سيقضيان أسبوعاً كاملاً معاً يجدّدان فيه النشاط ، ويبددان فيه ماأصاب الحياة التى بعيشانها من سأم .

فى اليوم الأول رأى اسماعيل البحيرة ساكنة ، وأعجبه أن الجو جميل إلى هذا الحد ، جلس ينظر فى الأفق منتظراً البواخر ، فلم تظهر ، وفى اليوم الثانى كانت هناك سحب وردية مبعثرة فى السماء ، وسعد إسماعيل بالسباحة فى النهار ، ولمتابعة فيلم طوله أكثر من ساعتين فى التلفزيون مساءً ، وأكل كل حصته من « السندوتشات » التى عملتها زوجته . أما فى اليوم الثالث فقد تذكر المؤسسة ومديرى الأقسام والاجتماعات ، ولم يجد صعوبة فى أن يجد ألف عذر يقنع به زوجته بالرجوع إلى بغداد ، وألف حجّة تجعلها تكره المجىء إلى بحيرة الحبانية ثانية .

فى أول لحظة من دخوله المؤسسة عرف أن هناك اجتماعين عقداً فى الأيام الثلاثة التى انقطع فيها عن المجىء ، فلم يندهش ، كأنما كان الأمر معروفاً من قبل . لم يطفر الدم إلى وجهه ، ولم يوجه لوماً لأحد ، كل شىء طبيعى تماماً ، وتمّ كما يجب أن يتم ، لأن الاهمال كان من جانبه ، وسوء التقدير هو سوء تقديره ، اذن ما يجب عمله هو أن يجد لزوجته ألف طريقة يقنعها بالعيش معه فى قاعة الاجتماعات فى المؤسسة ، حيث سيكون بالمرصاد لأى اجتماع يعقد ، سيكون فيه أول الجالسين . علىٰ كل حال هذا قرار معقول يجب أن يبتّ فيه ، ريثما تتغير الأمور ويبحث عن حل آخر . ولكى لا يؤجل عمل اليوم إلى غد ، ترك المؤسسة إلى البيت مباشرة ، وحاول إقناع زوجته بالفكرة التى راودته ، لكن الزوجة رغم اعتراضاتها الكثيرة على الاقتراح ، لم تعطه جواباً نهائياً ، ووعدته أن تبحث الاقتراح معه مساءً ، وافق على مضض وعاد إلى المؤسسة ، وبعد أن جلس على كرسيه ، أخبره الموظف الذى معه أن اجتماعاً حضره مديرو الأقسام عقد بعد مغادرته ، وقد انفضّ قبل دقائق من مجيئه . لم يغادر كرسيه وهو ينظر فى الأفق منتظراً البواخر ، فلم تأت .

بغداد : عائد خصباك

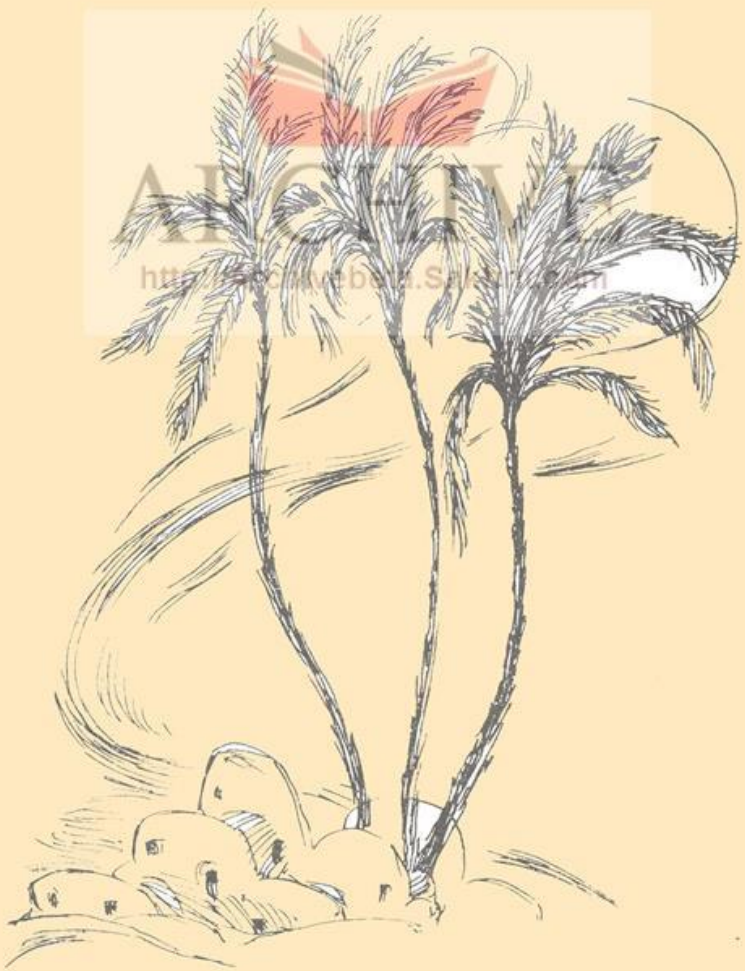

النوم على حنين قديم

منى حلمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اختار ركناً بعيداً عن المرح والأزياء الأنيقة وقطع الحلوى . أريد أن أجلس مع وحدتى والكأس المثلج قدمته صديقتى الوحيدة بحنان له تاريخ .

مع كل رشفة أتأمل وأتذكر .

الليلة ، تحتفل صديقتى بمرور عشرين عاماً على الارتباط برجل ، لم ينل من حريتها . الليلة الذكرى العشرين لوفاة قلبى ، والليلة عيد ميلادى الخامس والاربعون . كيف تلاقت هذه الأمور فى ليلة واحدة ؟ صدفة حيرتنى عشرين عاماً .

أخذ رشفة من الكأس المثلج المقدم بحنان له تاريخ . فى هذه الليلة منذ عشرين عاماً أحضر زفاف صديقتى . بسرعة اترك المكان لألتقى بك . فى المكان الشاهد على أول نظرة حب وأول دقة قلب وأول رعشة يد ، جلست أنتظرك . بالأمس خيرتك : كلّ شىء فيك أو لا شىء . أنا أو هى ، بشكل كامل ونهائى فى حياتك . مللت منتصف العشق . كما أنا منذ عرفتك ، ظمآنة إلى عناق يهدينى إلى الحكمة . أحن إلى رجل أصبح معه واحداً صحيحاً . الوقت معه يجعل فوائد السفر السبع طوع يدىَّ رغم أننى فى مكانى . وحبّه هو معجزة الدنيا الثامنة . كما أنا منذ عرفتك ، باحثة عن شىء ما يُزيل أرق المساء . اتعبتنى كلمةٌ أبداً لا تقال ، اتعبتنى قبلة أبداً لا تطال . مللت قربك البعيد . ولم أعد أحتمل النزيف إذ أتخيلك معها .

حرارة أنفاسك تدفئها هى .. رقتك تسعدها هى .. عذوبة صوتك تحاورها هى .. رائحتك لمتعتها هى .. سحر عينيك لتأملها هى .. رجولتك لنشوة أنوثتها هى .. قهوتك الصباحية معها هى .. وسر الماء يحتضنها هى . هى دائماً هى . أنا لا أكرهها . لكن لا شىء فى العالم يحملنى على عشق رجل لا أنال منه شيئاً ، إلا الألم والنزيف . بالأمس خيّرتك ، عدة سنوات وأنت مؤرجح بين امرأتين . امرأة تأخذ منك كل شىء ، وامرأة لا تأخذ منك شيئاً . بالأمس ، وصلت إلى آخر محطة احتمال .

فى هذه الليلة منذ عشرين عاماً ، تقول لى « لا أريد ترك زوجتى ولا أريد فقدانك » . قلت : أريد شيئاً حاسماً . تقول : لا أستطيع . أقول : اذن ، انتهى كل شىء .

فى هذه الليلة منذ عشرين عاماً ، مات قلبى . لم أرتد السواد ولم أتقبل عزاء . كان اختيارى نعم ، وكان قرارى . بإرادتى الذائبة فيه ، فضّلت الألم على العشق المنتصف ، بكامل قواى العاشقة ، وقّعت على وثيقة وفاة قلبى ، اللا شىء أهون من شىء منه ، ثم إلى زوجة يرحل ، قلت : أهلاً بالمعاناة . أدخلت الألم من أوسع شريان . وقدّمتُ للنزيف دمى ، بلا قيد أو شرط .

أعرف أن لا حياة عظيمة دون ألم عظيم . ولا إبداع عظيم دون نزيف عظيم . وأعرف أن لا حياة على الإطلاق ، مع

عشق يمنّ عليّ بفتات الوقت والإحساس . ويجعل منى — وأنا المنادية بالحرية — أسيرة مزاج رجل . حتى لو كان الرجل الوحيد معه أدخل فى عمق الكون الممتد بالفرح والحكمة .

أعرف أننى بعده لم أعشق . أرى المعاناة مجسدة أمامى . لكننى لن أتراجع . أى قرار هذا الذى نأخذه ويمضى كل شىء على ما يرام ؟ وكلما تذكرت آخر لحظة حين ألقىَ إليّ باختياره ورحل دون لمسة رقة .. دون انتظار حتى يهدأ الانفعال ، يزداد تمسكى بالقرار . تلك منذ عشرين عاماً كانت هديته فى عيد ميلادى .

أقرر الانسحاب من الحفل .

أنادى صديقتى ، أشكرها لدعوتها وأنتزع لنفسى طريقاً إلى الخارج .

الربيع فى بدايته يجبرنى على التمنى ، يهمس لى محاولاً إقناعى بأنه فصل الأمنيات ، مندهشاً يسألنى : « لِمَنْ تظنين تتفتح أزهارى .. ولِمَنْ يرق النسيم ؟ » ترى هل تمنيتُ شيئاً ؟ .

فى المكان الشاهد على أول حكاية العشق وآخرها ، أجلس إلى مائدتى المفضلة . طوال عشرين عاماً وأنا منتظمة فى المجىء هنا . هدوء المكان يسمح لى بالكتابة وبالشرود ، ويسمح لى بالبكاء .

يحتفظ بين أركانه بتاريخى فى الفرحة والجرح ، فكيف لا أكون وفية ؟ رائحة عمرى متناثرة فيه ، فكيف يغرينى مكان آخر ؟ وترحابه لا يفتر ، فكيف لا يفتح شهيتى ؟

يقترب صديقى الجرسون ذو البشرة المائلة للسمرة قائلاً « كل سنة وأنت طيبة » . أشكره وأطلب العشاء .

أتأمل المكان كأنها المرة الأولى . شىء غريب . فى كل مرة ، يبدو مختلفاً . لماذا لم أملّ تأمله ؟ ولماذا لم تفارقنى تلك العادة أمارسها منذ عشرين عاماً ، أن الحظ كل مَنْ يدخل ؟ ترى مَنْ أنتظر ؟ أى صدفة صعبة المنال منذ عشرين عاماً ، أتوقعها ؟ أى صدفة تهب نفسها لامرأة فى الخامسة والأربعين تعيش قانعة دون قلب ؟ حقاً أنا فى الخامسة والأربعين من العمر . لكننى مازلت فى الأعماق وفى الملامح طفلة . الزمن فى حياتى لم يجرؤ على فض طفولتى .

يدخل شاب المكان . يبدو فى أواخر العشرينات ، لا أدرى لماذا انتزع منى نظرة تتساءل عن لون عينيه . جلس بحيث لا أراه جيداً . طلب فنجان قهوة ثم أخذ يكتب . لماذا توقعت أنها رسالة إلى امرأة ؟ لماذا تمنيت أن أكون تلك المرأة ؟ لا أدرى .

فجأة نهض من مكانه واقترب منى . ملامحه الوقور تشدّنى .. تثير فضولى .. تعجبنى ، قال « من فضلك الكبريت دقيقة واحدة » عيناه ترسلان ألفة تحيرنى .. صوته يعزف لحناً يطرب مزاجى الصعب الإرضاء .. قوامه يثير فى الهواء دفئاً ، تمنيت معه لو كان فى الشتاء . كل شىء فيه يذكرنى بحلمى القديم .. أن أحب رجلاً يصغرنى بسنوات كثيرة .

« من فضلك الكبريت دقيقة واحدة .... طلب بسيط ، وأى رد محتمل أبسط ، لكن اللحظة بيننا تجمدت لحظة . واقف أمامى ، عيناه إلى أسفل نحو عينىّ . جالسة أمامه ، عيناى إلى أعلى نحو عينيه . كأننى أسمع صوت رجل لأول مرة . كأننى أرى رجلاً لأول مرة . نعم لأول مرة منذ عشرين عاماً . فمنذ وفاة قلبى وحياتى قطار ماض إلى طريقه . لم يتوقف يوماً ليأتنس بصحبة رجل آخر غير الذى أدخلته دمى . لكن شيئاً ما فى هذا الشاب الوقور يمسنى . ويضطر القطار العنيد أن يتوقف . بل زان يجد فى التوقف نشوة يستغربها وجدانى .

« من فضلك » يقول مشيراً إلى علبة الكبريت . دون كلام أناوله العلبة . مسرعاً يعيدها ويشكرنى تاركاً نظرة صاحبتنى حتى البيت ، دخلت معى الفراش وتسللت إلى كتاب قبل النوم .

لأول مرة فى عمرى ، أحن إلى أن أرى حملى القديم ، يورق ويتفتح كزهور الربيع .

لأول مرة منذ عشرين عاماً ، أسهر مع كلمة قالها لى رجل . لأول مرة منذ عشرين عاماً ، أناجى رجلاً لا أعرف له اسماً .

واستسلمت روحى للنوم مرددة « شىء ما فى ذلك الشاب الوقور يمسنى » .

القاهرة : منى حلمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

● المعتـــــاد ..
وغير المعتـــاد

محمـــد صـــوف ●

(٢)

مدّ يده إلى جوار الجواز . فتحه من جهة اليسار .

إنه ينظر إليه وكأنه أمام نفاية . ها هو يرفع هذه النظرة المشمئزة وكأن رائحة ما تنبعث من هذا الطابور .

ـــ وكم معك من النقود ؟

عاد يقلب صفحات الجواز . تلعثم .

ـــ أتعلم أن الدخول إلى بلدنا يقتضى وجود مبلغ معين معك ؟

ترتفع درجة حراة الاشمئزاز . رغبة فى التقيؤ تحرك أوداجه . إنه على وشك البصق . فلأتكلم . فلأقل شيئاً .

قال الجمركى :

ـــ لا يبدو أن المبلغ المطلوب فى حوزتك

وارتسمت على طرف شفتيه ابتسامة ساخرة .

من أجل نفس الابتسامة قضيت يومين فى زنزانة باردة : أفرزتها شفتا مراقب الحافلة وأنا أبحث عن التذكرة . عثرت على التذكرة فى عمق أحد جيوبى المهترئة وقمعت الابتسامة بقبضة يد تمسك بالتذكرة اصطدمت يدى بفمه .

غرس يده فى جيب سترته . وضع الأوراق أمامه . عدّها صامتاً . تظل نفس الابتسامة ترفرف على شفتى الجمركى . وتضيف :

ـــ وكيف استطعت الحصول على هذا المبلغ ؟ وكيف اجتزت جماركم ؟

تتموج السخرية مع ذبذبة الصوت .

سأحتفظ بصمتى . ما يهمه هو أن يكون المبلغ معى ، كيف حصلت عليه . ذاك من اختصاصى . لو بدأتَ تتسلّى بطرح أسئلة كهذه على كل هؤلاء لقضيت يومك وليلتك مع هذا الطابور .

(١)

ـــ الغربة صعبة يا ولدى . صعبة ولو لأيام . لكنكم انتم أبناء هذا الجيل قلوبكم قاسية . تنسون بسرعة أهلكم وأحبابكم . تنخدعون بسهولة بالمظاهر البراقة .

ـــ الفتيات ياصديقى عيونهن كلون سماء الصيف . وقد ودهن تجذب من أعماقك الرغبة إلى التّضحية بكل شىء فى سبيلهن .. والأخلاق .. يا صديقى .. الأخلاق حدث عنها ولا حرج .

ـــ أما هناك ، فتدرك أنك من الزائدين عن الحاجة وأنك تمشى على قلوبهم وأنهم يستسيغون وجودك بصعوبة بالغة .

ـــ ستتغيّر طريقة حياتك . ستدرك أن فاصل أجيال هذا الذى بين البرّين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١)

ـــ لا شك أنه وصل .

قالت سعاد .

ـــ أو مازال واقفاً يعانى من صهد الجمارك ؟ حلمه بالحى اللاتينى سيعيش مرحلة مسخ إلى كابوس !

ـــ ربما حدث العكس .

فى هذه الأثناء دخل رجب

ـــ أهلاً .. صديقنا الآن فى البر الآخر .

بادره رجب فى تقليد لقول : الغائب ـ

ـــ هناك .

ثم أردف ::

ـــ إنهم يصبون اللعنات على جنسنا . يمطروننا بشآبيب غضبهم . وسيحكى لكم عند عودته . سيبدأ من البداية .

(٢)

هذه البداية فقط . ترى ماذا سيقع لو توغّلت فيك يا بلد الحضارات . وأى لون سآخذ وانا فى الحى اللاتينى ؟ على كل حال هى تجربة . فلأغص إذن فى المساواة والحرية . لأخرج من هذا القالب راكضاً وراء الحرية لاهثاً خلف المساواة .

حشر جواز السفر فى جيب سترته . حمل حقيبته . وغادر الطابور . بعد أن تأمله ملياً قائلاً دون أن يقول :

جاء دوركم لارتشاف الشتائم المتحضرة . لا شك أنى موضوع حديثهم الآن هناك .. ترى ماذا ستقول سعاد ؟

(١)

قالت سعاد فى ضحكة مفتعلة :

ـــ سيخيفون به أطفالهم .

ـــ أنت تبالغين . يكفى أن يفتح الحوار معهم ليأخذ المكان اللائق به .

ـــ لا . أنت ما تزال تؤمن بالنظريات .

ـــ لا مكان لنا هناك سواء كان لائقاً أم غير لا ئق . إطلاقاً .

ـــ أنتم تبالغون .

(٢)

يبالغ فعلاً كل من يقول إننا فى هذه الأرض نعبٌّ من نبع القيم . صورة على الصفحة الأولى من جديدة هناك لمشهد إجرامى محكم التخطيط فظيع النتائج . على يسار الصورة فقرة تضحك حروفها من ثورة ما .

ظل يتصفح الجريدة منتظراً قدوم النادل .

هناك يكفى أن أطل ليبتسم فى وجهى قائلاً :

ـــ قهوة المعتاد ؟

(١)

قالها النادل مبتسماً :

ـــ عبارة أتبادلها دائماً مع الصديق الغائب . الصديق الطيب . إنه الآن هناك يتمتع .. فى بلد العجم .

ردت سعاد :

ـــ أنا أعرفه جيداً ، هولا يتمتع أكثر من أن يلاحظ . ذاك طبعه .

(٢)

أسرع النادل إلى زواريتكلمون لغته . يحملون نفس خطوط الملامح . بحركة مؤدبة . تجارية هيأ الكرسى لفتاة ترافق الجماعة . ضحك الجميع . وأسرع فى تلبية الطلب .

ابتلع نصف الجريدة ، ولم يثر اهتمامه .

أنا غير موجود . كيف أتصرف إذن ؟ هل أحتج ؟ أم أنادى النادل فى أدب أم أخلى الساحة ؟ أى التصرفات أكثر حكمة ؟

طوى الجريدة . نهض . توجه نحوالنادل . ابتسم له .

ـــ عندنا فى البلد الذى علمتموه الحضارة . لا يهمل العاملون بالمقاهى الزبناء . فغر الآخر فاه دهشة .

كيف يستطيع هذا المخلوق أن يتكلم بهذه الطلاقة ؟ يا إلهى ! هل أعتذر له ؟ أم أواجهه بما يستحق أمثاله ؟ أم ؟

(١)

ـــ سيعود بقلب قريب من الانفجار غيظاً .

ـــ أو بكدمات على الوجه .

ـــ هو أكثر تعقلاً من أن يتصرف بالشكل الذى تتصورون .

ـــ لا تعتقدوا أن نادلهم كنادلنا مثلاً . وهو قليل الصبر .

(٢)

قد يفقد صبرا أجهل عواقب فقدانه . أمثال هؤلاء لا يقيمون وزناً للعواقب .

ـــ أنا آسف .. ماذا أحضر لك ؟

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم جلس من جديد بعد أن طلب قهوة غير معتادة . وعاد للجريدة .

(١)

ـــ هذه الأيام ظلت الجرائد كلها وكأنها عديمة الجدوى ، كان صديقنا يلتهمها التهاماً .ويهمس تعقيبَ اليوم فى أذنى وينصرف .

ـــ يبدو أنك عاشق شاذ . ألا تكف عن الكلام عنه ؟

ـــ قولوا ما بدا لكم . لكنه صديقى . وأصدق أصدقائى .

وسيبعث لى وحدى بطاقة بريدية من بلد الضباب وسيحمل لى معه تذكاراً من هناك أيضاً .

(٢)

تأمل الفنادق الأزقة .. الليل . همس لنفسه : كما فى السينما تماماً ! تذكر قولها

ـــ لم لا تبدأ جولاتك ببلدان هى أقرب إلى القلب ؟

ـــ وأبعد عن الحبيب .

تنهّد .

تمدد على سرير غرفته بالفندق .

ها أنت الآن فى قلب مدينة التاريخ . ماذا أدركت ؟ على الأقل لمستها عن قرب وستوقف كل متشدق بأمجادها عند حده .

يتقلب فى الفراش الجديد باحثاً عن لحظة نوم

هناك فى البلد أنام بسهولة رغم الكوابيس . سأغمض عينى فى محاولة طلب النوم من وراء البحر .. من هناك .

وابتسم .

الدار البيضاء ـــ المغرب:محمد صوف

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الشاب داخل الزجاجة

طلعت فهمى

« لا أملك عبقرية ، ولا رسالة أؤديها ، ولا قلباً كبيراً أهبه . ليس عندى شىء ولا استحق شيئاً ، لكنى ارغب ، رغم كل شىء ، فى نوع من التعويض . »

الجحيم .. هنرى باربوس

— ١ —

عرفت من الطريقة التى تطلعوا بها نحوى أن وجودى بينهم لن يقابل بالارتياح ، وأننى أسبب لهم نوعاً ما من الإزعاج أو الاشمئزاز ، ولذلك ترددت قليلاً قبل أن أخطو إلى داخل الغرفة المتسعة الأركان والضيقة مع ذلك لوجود هذا العدد الكبير من المكاتب فى كل مكان جعلت المرور بينها إلى داخل الغرفة لا يخلو من مشقة . كانوا نكسوارؤوسهم بعد رؤيتى مباشرة وانشغلوا بما بين أيديهم حتى شعرت بأن فى هيئتى أو ثيابى شيئاً لا يرتاحون إليه . وللسخرية التى جبل عليها طبعى وحبى للوحدة والانفراد بذاتى قررت ألا آبه لهم ورسمت على شفتى ابتسامة ساخرة وأنا أخطو إلى المكتب الوحيد الخالى فى الركن ، وبعد أن جلست وكأننى أبرر جلوسى قلت بصوت خفيض :

— أنا الموظف الجديد .

ونظر أكبرهم سناً ناحيتى ثم هز رأسه دون أن ينطق بحرف وأكمل انشغاله بما لديه من أوراق ، وحل الصمت بعد ذلك . كانوا أربعة . أمامى مباشرة فتاة باسمة الثغر ، حسنة الوجه حرصت على أن تلصق فرخ ورق عريض على المكتب من الأمام حتى لا ينظر أحد إلى ساقيها وتجلس مستريحة دون حرج . وفى ركن الغرفة الآخر سيدة مسنة كئيبة الوجه ترتدى ثوباً طويلاً وغطاءً للرأس وتبدو متأنقة فى مظهرها رغم وجهها غير المريح . أما الرجل فيتوسط الغرفة وأظنه الرئيس ، وهو ضخم الجثة ، أصلع ويرتدى نظارة سوداء ، ثم شاب فى سنى يجلس إلى مكتب بجوارى لم أسترح لوجهه الجميل ولا لثيابه المحزقة على جسده الرشيق .

كان على أن أنتظر حتى أتعرف على الجو المحيط بى حتى لا أفقد سلاح الصمت الذى أتسلح به وسط هذا العمل الذى يقتل الروح والذى سأجعله على هامش حياتى . وبعد صمت طويل لم يشغله سوى نظراتهم التحتية نحوى ونظراتى المباشرة المتحدية إليهم قررت ألا أبدأهم بحديث وأن أقابل صمتهم الذى بدا عدائياً بالازدراء ، وما كان أسهل هذا علىّ لأن شعور الازدراء هو المعنى الذى اتخذته حياتى فى ظل هذا الوجود المعادى ، اللامبالى ، عديم الروح الذى عشته منذ بدء حياتى .

* * *

كنت قد تخرجت منذ عامين فى كلية التجارة بعد أن ظللت أدرس بها دون حب أو رغبة حقيقية فلقد كانت ميولى أدبية منذ صغرى ولكن رغبة أبى جعلتنى أغير حياتى . كان أبى يعيش حياتى بدلاً منى . وأنا لا أتذكر أننى فعلت شيئاً فى حياتى دون أن يكون هو الذى أمر به واختاره لى . لقد أخذ أبى يسير حياتى ويجعلنى أرى العالم بعينيه حتى مات .

كان أبى من المؤمنين — دون علم أو دراسة — بتناسخ الأرواح أو بما يشبه تناسخ الأرواح ، وكنت أرى فى كل

تصرفاته اعتقاداً راسخاً بأنى امتداد له . ومما زاد الأمر سوءاً أننى كنت اشبهه إلى حد بعيد . وكانت مهمتى طوال حياتى أن أبين له من سلوكى ما يجعله يشك فى إمكان أن أكون نسخة منه . وكنت أتعمد تحطيم أحلامه الخاصة بى . وقبيل موته بقليل أستسلم للأمر وعرف أننى ابن عاق لا يرجى منه خير .. أما أمى فقد ذهبت بعد موته لتعيش فى قرية بعيدة حيث أهلها . وكنت أزورها قليلاً وفى المناسبات ، وهكذا عشت منعزلاً وفى وحدة طالما تمنيتها بين كتبى وأوراقى ، هذه الكتب التى غيرت حياتى وجعلت وجودى ذا معنى وقيمة وأجلت انتحارى وتخلصى من الحياة .

كنت قد بدأت القراءة فى وقت مبكر من حياتى بسبب حرص أبى على أن أبتعد عن الأصدقاء وكان لا يسمح بخروجى إلا نادراً كما كان يتلصص علىّ فأصبح وجودى فقيراً موحشاً . وجعلنى هذا أجرب عالماً آخر خيالياً وشاعرياً من صنعى وهكذا دلنى دون قصد إلى سبب وجودى ومغزى حياتى وهوأن أكتب وأعبر عن حياتى وعن رأيى فى العالم .

« كنت بالكتابة أبرر حياتى ، لأننى فى الكتابة أصبح أنا » صحيح أننى لم أخط حرفاً ، حتى الآن الخطوط العامة لكتابى القادم متمثلة فى ذهنى ، وعنوانه أيضاً معروف لدىّ : « عقائدية الفوضى » بحث فى ميتافيزيقا الوجود الإنسانى . وهو محاولة للإجابة عن الأسئلة الكبرى فى الفلسفة ، هذه الأسئلة التى كانت الإجابة عنها فى الماضى تأتى خاطئة أو ناقصة أو غامضة . كنت بهذا الكتاب أبرر حياتى وأجملها وأشارك فى تأسيس معنى الإنسان . ولم يكن ينقصنى لإنجاز الكتاب غير الوقت وتحضير المراجع الخاصة به .. كنت أعرف أن الوظيفة سوف تعوق تقدمى فى الكتاب ولكنى كنت مضطراً لأنه ليست لدى أية موارد خاصة ، وكان علىّ أن أقبل الوظيفة حتى أستطيع العيش مع احتفاظى بعالمى الخاص .

* * *

مضى اليوم الأول فى صمت ونبهنى الشاب ذو الثياب المحزقة إلى أننى يجب أن أوقع فى كشوف الانصراف وأصبح التوقيع هو الشىء الوحيد الذى أؤديه لمدة أيام بعد ذلك بالإضافة إلى مراقبة زملائى فى العمل الذين لم يعجبهم صمتى ولا انصرافى وعزوفى عن الحديث إليهم .

— ٢ —

— هذا ليس مسموحاً به هنا .

كانت هذه هى أول عبارة أسمعها توجه إلىّ داخل الغرفة بعد مضى أسبوع على عملى أو لا عملى . كنت أقرأ فى أحد الكتب بعد مللت الحملقة فى جوانب الغرفة والانصراف إلى المرحاض دون حاجة حقيقية . وكان رئيسى فى العمل ينظر إلى بعد أن نطق العبارة السابقة . والحقيقة أننى غرقت فى الصمت لحظة قبل أن أقول : لكننى لا أجد ما أفعله .

قال بسرعة : كل شىء بأوان .

وعند ما هممت بالكلام رجع إلى النظر فيما بين يديه وأغلقت أنا الكتاب ، وكانت الفتاة تنظر إلىّ وقد توقفت عن الدق على آلتها الكاتبة . كانت هذه هى المرة الأولى التى أرى فيها عينيها تنظران فى عينى مباشرة . كما كانت المرة الأولى التى أعرف فيها أن لها ابتسامة طفولية جميلة تضىء وجهها وتستهوى النفس مع أنها ابتسامة محايدة إلى حد ما . سرحت فى تفاصيل وجهها حتى بعد أن واصلت دقها على آلتها . وأصبح بعد ذلك مراقبة هذا الوجه وهذا الصمت الرائع الذى تشيعه من حولها أكثر ما يشغلنى بعد فشل مشروعى فى القراءة أثناء العمل .

لم تكن لى تجارب مراهقة إلاّ قصة حب فاشلة تركت فى القلب والنفس جرحاً غائراً ، وكنت أثناء الجامعة أتجنب الفتيات وأراهنّ تافهات . كنت ذلك الوقت غارقاً فى قراءة الفلسفات العدمية والمتشائمة وكنت أكره حياتى وأفكر فى الانتحار كل يوم ، ولم يكن لدى أى وقت لعلاقة من أى نوع . ورفضت علاقة مع فتاة كانت تهتم بى بأمومة غريبة . فكانت تقدم لى من الهدايا ومن أشيائها الصغيرة الكثير طوال سنوات الدراسة . وكنت أحاول جاهداً أن أبعدها عنى ، وعندما قاربت امتحانات السنة النهائية على الانتهاء ، سألتنى بعد صراع داخلى والخجل يغطى وجهها :

— هل تهتم بى كما أهتم بك ؟

وصمت طويلاً وأنا أتأمل وجهها ، كنت أشعر بالوحدة ولكننى لم أجد إجابة خيراً من هذه الإجابة التى لم تفهمها بل ظنت أننى أسخر منها ، قلت :

— إننى لا أهتم بأى أحد ، ولا يشغلنى فى حياتى سوى الإجابة عن سؤال واحد جوهرى وأساسى فى حياتى ، هذا السؤال هو « ما الغاية من الحياة ؟ » .

— ٣ —

يبدو أنهم بعد مضى شهر على تعيينى قرروا كسر دائرة الصمت من حولى وبدأوا يتبادلون الأحاديث الطويلة فيما بينهم بل ويشركوننى معهم . واكتشفت أن العمل بسيط

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسهل وانهم كانوا يجرون تمثيلية من حولى حتى يضفون أهمية على عملهم واشخاصهم ، وعندما صحبنى رئيسى فى العمل إلى حجرة جانبية لكى يرينى « قسم الملفات » عاملنى بأبوة وقال لى وهويحيط كتفى بساعده ويشير إلى أكوام الملفات على الأرفف :

ـــ أريد أن تضفى على هذه الملفات طابعك وشخصيتك ، واختر بنفسك فلسفة فى التنظيم والتبويب فأنت تمثل روحاً جديدة ، روحاً شابة ننتظر منها الكثير .

والحقيقة أن كلماته لم تنجح فى أن تهزنى أو حتى تجعلنى اتجاوب مع حماسته وكنت أراه صورة أخرى من ملايين غيره من الموجودات التعسة التى خلقت لتموت دون أن يكون لحياتها معنى أو غاية ، هؤلاء الذين يتخلون تدريجيا ـــ وبقليل من الأسف ـــ عن أحلامهم وعن الإجابة التى تمنوها لأسئلتهم المصيرية ، ثم بعد ذلك يغرقون فى وجود عادى ومحايد ، وجود ميت .

هؤلاء الذين أسماهم نيتشة ببراعة « الكثيرين كثرة كثيرة »

ولما لمس صدودى عن كلماته وحماسته ، قال مرة أخرى وهويشير إلى حجرة مكتبه الجانبية :

ـــ أنت غير هؤلاء ، انا المح فى عينيك ثوراً ، إذا جاز القول ، فأنت تذكرنى بشبابى . واعذرنى إذا قلت لك إننى لا أحب شبابى كثيراً ولا أرضى عنه بالكامل لأنه يرتبط فى ذهنى بالطيش والنزوات الغريبة والاندفاع الأهوج وكل هذه الأشياء التى تخلصت منها الآن ، وها أنا ذا كما ترانى أملك منصباً لا بأس به وأؤدى رسالة ليست بالهينة أو القليلة القيمة .

ولما لم أعلق على كلماته ، فترت حماسته وتركنى ومضى إلى شأن من شؤونه .

ـــ ٤ ـــ

كان كتابى يتقدم بشكل ملحوظ ، وكان جهد السنتين الماضيتين قد أفادنى وسهل مهمتى ، وعلى الجانب الآخر ، اقصد عملى فى المؤسسة وبعد انقضاء ستة أشهر ، كان الجميع ـــ ما عدا الفتاة ـــ يناصبوننى العداء الصريح ، كنت فى نظرهم غير إنسانىّ ومتعال ، فأنا لم أكن اخفى احتقارى لهم وعدائى لحكاياتهم الطويلة المملة كل يوم . كانوا يحطمون أعصابى ، كنت أفرغ من عملى بسرعة ولا أجد ما يشغلنى سوى الاستماع إليهم أو مراقبة الفتاة التى لم تكن تتكلم أبداً أو تعلق على حكايات السيدة المسنة كئيبة الوجه التى لم تكن تفرغ من حكاياتها .

كان لابد أن أصطدم بهم . وقد حدث ذلك بأسرع مما توقعت . ففى يوم من الأيام كانت السيدة المسنة قد بدأت فى الثرثرة كعادتها كل يوم ، وكانت تبدأ فى حكايات طويلة عن أولاد أختها وكيف أنهم أذكياء بشكل لا يقارن .. كانت عاقراً ولم يكن هناك ما يشغلها تقريباً فى العمل أو البيت . كنت قد سهرت حتى وقت مبكر فى اليوم السابق وأنا أعمل فى كتابى ، ثم فجأة فقدت أعصابى ولم أعد أحتمل ثرثرتها ، فقلت بعداء واضح عندما بدأت فى حكاية سمعتها من قبل عشرات المرات دون أن أنظر إليها :

ـــ ليس إلا حكايتك القذرة مرة أخرى !

نظر الجميع نحوى وقد علت الدهشة وجوههم ، وأخذت هى تحملق فى وجهى برعب لمدة دقائق ، ولم أستطع أن أبعد نظرى عنها وبدأت أخاف الرعب المرسوم على وجهها . وبدا العرق يتصبب منها . كنت أحسب أنها ستنهرنى أو تشتمنى ولكنها لم تفعل أكثر من توجيه نظراتها الطويلة التى ارعبتنى حقيقة وبدت أقسى من الشتم أو الإهانة . وبعد دقائق بدت طويلة جداً حولت نظراتها عنى ثم قامت وجمعت حاجاتها وخرجت من الحجرة دون أن تنطق بحرف ، وأكمل الباقون انشغالهم بالعمل .

* * *

كنت أجيد الرسم ، وكانت لدى قدرة على رسم الوجوه بمهارة ولذلك لا أعرف متى بدأت هواية رسم زملائى فى العمل فى صورة فئران ضخمة لها ذيول رفيعة . وأقرب الظن أنها بدأت حينما أخذت أهرب من العمل إلى المرحاض وامكث طويلاً دون أن أفعل شيئاً غير التأمل فى معنى الوجود الإنسانى وحرية الإرادة ! ولم أكن أستطيع ذلك فى المكتب ، هنا فقط حيث الصمت . وكنت أثناء تفكيرى أشغل نفسى برسم هذه الوجوه على الجدران والباب ، ويبدو أننى لم أكن حسن الظن برسومى أو كنت غير مهتم بما أفعل ولذلك لم أبذل جهداً فى طمسها أو إخفاء معالمها ، بل إننى أحياناً كنت بعض العبارات التى تخطر بذهنى .. وفى يوم أبلغنى رئيسى فى العمل أن علىّ الذهاب إلى مكتب وكيل الإدارة ، ولم أسترح لهذه البسمة الجانبية التى ظللت شفتيه ولم أسترح أيضاً لنظرات الشاب المائع الذى يجاورنى ، ولا لتلميحاته وغمزاته .

وقفت أمام وكيل الإدارة ، كان يمسك بيده ورقة ، وأخذ ينظر إلىّ تارة وإلى الورقة تارة أخرى وكأن بها صورة شخصية

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لى يريد التأكد من مطابقتها للحقيقة ، ولما طال وقوفى أمامه نظرت إلى الكرسى محاولاً بذلك أن ألفت نظره إلى أنه لم يسمح لى بعد بالجلوس وفهم قصدى ولكنه لم يفعل شيئاً بل أخذ ينظر إلى باحتقار ظاهر لم يحاول إخفاءه ، وبعد صمت طويل أخذ يقرأ الورقة بصوت بطىء جداً :

العصر القادم .. عصر الرجال النصف ، عصر الموظفين ، أنوف كبيرة ووجوه لزجة ولهم أنياب يخفونها خلف ابتسامة باهتة محايدة ، وهى ابتسامة من الممكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة ، فهى تعبر فيما تعبر عن النفاق والموافقة والتواطؤ . وهى ابتسامة خالية من الروح وليست من القلب أبداً . نعم يا سادة . فى العصر القادم ، عصر الموظفين سوف تتغير ملامح الوجه إنسانى لتقترب تدريجياً من ملامح الفأر ، وسوف ينموذيل فى الخلف كان قد ضمر !

وبعد أن انتهى من القراءة أخذ يحدق فى وجهى مراقباً تعبيراته وابتسمت لأن الكلمات كانت جميلة جداً ، بل إنها تلخص بعض أفكارى أنا .. ولم يخطر فى بالى وقتئذ أن أحدهم وهو بالطبع موظف كفء وابن حرام ، قد نسخ بعناية فائقة ما كنت أكتبه تحت رسوماتى الشهيرة ، ويبدو أنه لم يستطع نقل الرسم أيضاً . قطع وكيل الإدارة الصمت فجأة قائلاً :

ــ هل هذا رأيك فى زملاء عمل يكنون لك الاحترام والتقدير ؟ هل ذهن فى نظرك فئران ضخمة لها ذيول رفيعة ؟ . لماذا تحتقر الآخرين ؟ ولم رضيت بالعمل مع الفئران ؟ يمكنك الاستقالة إذا كان العمل لا يعجبك .

ولما هممت بأن أقول له إننى لا أفهم عن أى شىء يتحدث ، أشار بيده يسكتنى وتابع بسرعة :

ــ أنا ليس لدى وقت لسخافاتك هذه . لقد أمرت الفراش أن يطمس رسوماتك وكلماتك العبقرية التى تلوث بها المرحاض ولكنى أؤكد لك أنك لوجئت إلى هنا مرة أخرى فسوف أجعلك تندم بقية حياتك .

الآن فقط فهمت قصده غمر الخجل وجهى ، وبان فى وجهه أنه أنهى حديثه ، وانسحبت من أمامه فى صمت وأنا أجر قدمى .

عندما دخلت إلى زملائى فى الحجرة ، كانوا فى انتظارى ، لمحت ذلك فى عيونهم ، جلست إلى المكتب ، كان علىّ أن أقول أى شىء على سبيل الاعتذار ، قلت بعد فترة صمت موجهاً حديثى للرئيس : إننى لم أقصدكم بكلماتى هذه

رفع رأسه ونظر فى عينى مباشرة إذن لماذا كتبتها ؟

ــ لأنى أكتب وأؤلف كتاباً ، وهذه أجزاء من كتابى .

وقبل أن أتابع ، قال الشاب فجأة : عن أى شىء هذا الكتاب ؟

فتابعت بهدوء : إنه كتاب فى الفلسفة سوف يقدم إجابة عن الأسئلة الكبرى مثل ما الحياة :

ما الغاية من العالم ، ما الإنسان ؟

قال بسخرية وهو يضحك بابتذال : وهل عرفت إجابة للأسئلة الصغرى ؟

وتجاهل رئيسى فى العمل سخريته وقال :

ــ هذا عن الكلمات ، ولكن ما قولك عن الرسم الذى تجيده فيما أظن ؟

ولما طال صمتى بحثاً عن إجابة ، قال :

ــ إنك مثل ابني فأرجو أن يكون شعورك نحوى مثل شعورى ، أما عن العمل ــ إذا كان يضايقك ، ففى إمكانى بعدنهاية العام أن أسعى فى نقلك إلى مكان آخر .

ولم أرد على كلماته أيضاً ، فسكت .

اهتمت السيدة المسنة بالحوار من أوله ، لم تكن تحدثنى نهائياً بعد حادثتى معها ، ولكنها كانت تضمر لى كراهية عميقة ، بل لقد شككت أنها وراء كل ما حدث لى . أما الفتاة فقدأطالت النظر إلى وجهى أكثر من أى وقت مضى ، بل إنها ابتسمت لى نفس ابتسامتها الطفولية الجميلة التى كنت أحبها .

ــ ٥ ــ

بعد سنة من التحاقى بالعمل أنهيت كتابى ، وبعثت به إلى إحدى دور النشر الحكومية ، وكان على الانتظار شهراً حتى أعرف الرد . وكان عملى فى المؤسسة قد أصبح جحيماً لا يطاق ، وأخذ الجميع ــ فيما عدا الفتاة ــ يشكوننى فى الإدارة . وبينما أنتظر النقل من وقت إلى آخر نشبت مشاجرة بينى وبين العاقر بسبب الفتاة .

كانت الفتاة تتقن عملها الرتيب الممل وتحبه ، وكم من المرات كدت أصرخ فى وجهها برأيى فيها وفى عملها الغبى الذى تحسنه وتبالغ فى اهتمامها به ، وكان يمنعنى من الصراخ ما كنت أكنه من إعجاب بالغ بوجهها الرائع وقوامها الممشوق الذى جعلنى أطيل النظر إليها كلما قامت أو مشت أو انحنت . كانت هذه الفتاة أحد الأسباب التى جعلت جلوسى فى المكتب أقل إملالا وثقلاً .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبينما أمارس هوايتى فى النظر إليها قامت السيدة المسنة من كرسيها فى حركة عنيفة قصدت بها تنبيه الجميع ثم قالت وهى تكاد تصرخ موجهة حديثها إلى الرئيس .

ـــ لا يجب أن نترك هذه الفتاة البريئة نهباً لنظراته اللعينة ، أنا لن أسمح بهذا فى مكتبى أبداً ، فهذا ضد العرف وضد العمل .. وضد الدين أيضاً !

ثم مشت إلى الباب وعندما بلغته واصلت صراخها :

أية صور كريهة تتخذها نظراته اللعينة بعد ذلك داخل عقله الشاذ ! أنا لن أسمح بهذا فى مكتبى أبداً .

والحقيقة أن الموقف أخجلنى بل وأخجل الفتاة .. كانت العاقر ترد الصفعة ، كانت تنتقم لنفسها منى ، وقد نجحت فى ذلك إلى حد بعيد ، ولم يتكلم رئيسى فى العمل واكتفى بالصمت ، أما الشاب فقد مارس تفاهته وأخذ يدارى وجهه حتى لا أراه وهو يبتسم .. بعد ذلك ، تجنبت النظر إلى الفتاة ، ولكنها ـــ ويالالغرابة ـــ أصبحت تطيل النظر إلى وجهى وإلى عينى بالذات ، كانت هذه النظرات الطويلة تعبر فيما تعبر عن شعور بالشفقة والرثاء .

* * *

بعد أيام وصلنى الرد برفض كتابى لأنه عادى ولا يحمل أى جديد فى المضمون .. كان رداً مختصراً ، ولم أتضايق وأصررت على نشر كتابى حتى على نفقتى ، وكنت أملك من المال ما يتيح لى ذلك . وذهبت بالكتاب إلى أحد المتخصصين فى الفلسفة ممن يشهد لهم بالكفاءة والأمانة العلمية ، ووافق أن يقرأ الكتاب ، ولم أحاول أن أخبره بأننى أطمح أن يقدمه لى ويساعدنى على نشره لأنى كنت سأفعل ذلك بعد أن يقرأه .

ـــ ٦ ـــ

كان رد دكتور الفلسفة عنيفاً خالياً من الرحمة ، فبعد أن جلست أمامه فى الموعد المتفق عليه أمسك بأوراق الكتاب بين يديه وأخذ ينظر إليها طويلا ثم وهو يضعها أمامه على المكتب ويفرد جسمه على الكرسى راجعاً قليلاً إلى الوراء ، قال :

ـــ إنه ليس إلا افكاراً جميلة بأقلام الغير .

وبان فى وجهى أننى لم أفهم ما يعنيه ، فأمسك بالأوراق مرة أخرى وابتسم بسخرية لم ينجح فى إخفائها ، ثم ردد عبارته السابقة :

ـــ نعم إنه ليس إلا اأفكاراً جميلة بأقلام الغير

ثم تابع قائلاً : أستطيع بسهولة أن ألم هنا ـــ وأشار إلى صفحة فى الكتاب ـــ تأثير هيجل عليك ، بل هنا ـــ وأشار إلى صفحة أخرى ـــ نص كلامه . أما هنا فسارتر يتكلم .

وهنا وأشار إلى جزء آخر من الكتاب ـــ فأفكار هيدجر الوجودية مرتبة بعناية . وبعد صمت قليل ترك خلاله أوراق كتابى قال فى نبرة خالية من الود ، بل قاسية :

ـــ إنك كنت معجباً ببعض الأفكار فدونتها ، فلا يوجد أى شىء أصيل فى أوراقك هذه .

ثم عاد وأمسك بالأوراق مرة أخرى وأخذ يفكر قليلاً قبل أن يقول :

ـــ والآن اسمح لى أن أقول إنه وبعد أن قرأت كتابك إذا جاز أن ينسب إليك ، لم ألمح داخله ظلا لك . إنك تذكرنى بكائنات سخر من أصنام الجبس الذين يستطيعون أن يسردوا عليك تاريخ الفلسفة كأعظم ما يكون السرد دون أن يملكوا الحس النقدى الذى يتيح لهم الإضافة أو حتى المفاضلة .

وصمت بعد ذلك .. ولم أستطع النطق بحرف ، انحبس الصوت بداخلى ، كانت المفاجأة قد الجمتنى وشلت قواى ، وأخيراً وبعد أن طال الصمت بيننا أكثر مما يجب ، قام فقمت أنا أيضاً لأنى عرفت أنه أراد إنهاء المناقشة . قلت بعد جهد :

ـــ ألا أستطيع إعادة كتابته ؟

هنا ضحك بسخرية واضحة ، ثم قال وهو يعطينى أوراقى :

ـــ إننا إذا انتزعنا من الكتاب كلمات الغير وأفكار الغير فلن يتبقى لك إلا القليل الذى يتمثل فى حسن الانتقاء والترتيب .

ثم أضاف بقسوة : أنت لا تملك أية موهبة .

ـــ ٧ ـــ

بعد هذه المقابلة انتهى وهمى بشأن الكتابة والتأليف . فها هى ذى ثلاث سنوات من الجهد الضائع فى نسخ كلمات الغير وأفكار الغير تنتهى إلى لا شىء . إن دكتور الفلسفة لم يكذب لأنه خاطب صوتاً آخر فى داخلى كنت أحاول إسكاته وأنا أخط كتابى المزعوم الذى لا يصح أن ينسب إلىّ فيه غير العنوان الجديد والمبتكر « عقائدية الفوضى » . وفكرت أن الوقت قد حان لوضع حد للإهانة التى لحقت بى منذ أخذت أعيش للفكر وحياة الفكر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

[مات المفكر وعاش الموظف]

انتهى الوهم أخيراً ، فها هو ذا المؤلف الذى يكتب لكى يبرر وجوده يكتشف فجأة أن وجوده لا يحتاج إلى تبرير لأنه عادى ومبتذل ، نعم ، علىّ الآن أن أتخذ من معانى الابتذال قيمة وهدفاً وأن أغرق نفسى فى العادى والمألوف والمجانى والسطحى والتافه والمبتذل والممقوت .

علىّ أن أكون الصورة التى يطلبونها منى . هذا الامَّعة ذا الابتسامة المتواطئة والوجه اللزج والأنف الكبير ، هذا الرقم !

الآن لم أعد أومن بشىء ، حتى إيمانى بالإنسان أصبح كحلم بعيد مغلف بالضباب ، ولم يتبق لى غير فرصه واحدة هى فرصة الإنسان الذى يعيش ببساطة ويموت ببساطة ، أما عن تساؤل بيلاطس « ما الحقيقة » فسوف يظل بلا إجابة .

— ٨ —

ـــ هل تتزوجيننى ؟

صمت لحظة مندهشاً لهذه الكلمات التى لم يكن فى نيتى أن أتفوه بها . فأنا لا أعرف حتى الآن كيف خرج هذا السؤال من بين شفتى ؟ وهل أنا الذى تكلمت أم أن أحداً تكلم بلسانى ، وأنا انظر إلى فتاة الآلة الكاتبة وكانت عيناها ذلك الوقت قد التقت بعينى فى نظرة طويلة ، كنت حزيناً ووحيداً أكثر من أى وقت مضى ، كنت يائساً ومثقلاً بالأسى ـــ وبعد أن انتبه الجميع إلى سؤالى كررته مرة أخرى وكأننى أعاقب نفسى ، وهنا قام رئيسى فى العمل ووقف أمامى والسعادة بادية على وجهه وقال : هل أنت جاد فيما تقول ؟

قلت بثقة : لم أكن جاداً من قبل مثلما أنا الآن !

وصحبنى إلى الغرفة الجانبية وأخبرنى أنه يعتبر نفسه أباً لنا جميعاً ثم طمأننى على موافقتها فهو يرانى شاباً ممتازاً لولا ـــ فقط . أوهامى الخاصة بالكتابة والتأليف (قال ذلك بصوت منخفض قليلاً) وهى أوهام سوف اتخلص منها بعد مواجهتى للحياة العائلية ، وبعد أن رجعنا إلى الحجرة هلل الجميع وجاء آخرون من الأقسام الأخرى ، وأحاط الجميع بى وأخذ البعض يقبلنى بحبور واضح . وكان علىَّ فى ظل هذا الفرح وهذه السعادة أن أوزع ابتسامتى المجانية على الجميع دون أن أدرى السبب . أما الفتاة فكانت فى غاية الفرح ولكنها مع ذلك ظلت على صمتها ولم تنطق بحرف وأخذت تتلقى التهانى وهى تبتسم .

« توضيح »

لما كان على غير المؤمنين أن يختاروا بين الانتحار المادى الملموس أو المعنوى فقد اخترت بالزواج النوع الثانى وهو مغر وبطىء ، وبقى لى أن أتعرف على زوجة المستقبل ، هذه الصامتة الأبدية ، وبدأت أفسر صمتها وعزوفها عن الكلام على طريقتى . فكنت أحياناً أتساءل ألا يمكن أن يكون صمتها من النوع الفلسفى ؟ فهناك من الفلاسفة من اختار الصمت كموقف أخير ونهائى فى آخر حياته . ثم ماذا أفدت بكلامى غير المتاعب ؟ إن لها ابتسامة جميلة كنت أحسها بداخلى ، أحسها تقول لى طوال عملى معها « أنا معك » . أما عذوبة عينيها كلما تطلعت إلىّ فكانت تضفى عليها معنى مثالياً ورائع الجمال .

ألم يقل كافكا : إن المرأة أو بمعنى أدق الزواج هو ممثل الحياة الذى يجب التفاهم معه . نسيت بسرعة فشلى السابق ، وأصبحت أثق بأننى بالزواج أشارك فى تقديم إنسان جديد إلى العالم يتمسك بالوجه ويرفض القناع ، ولا يختار له اسم عند الميلاد بل يسمى نفسه .

« كنت بالزواج أبرر حياتى ، لأننى فى الزواج أصبح أنا »

« خاتمة »

حدث فى يوم الزفاف عندما أغلقت غرفة نومى أن زوجتى كانت تجلس على السرير ، ولما اقتربت منها وأخذت أقبل وجهها ، أمسكت هذه الصامتة الأبدية ـــ برأسى ووضعته برفق على صدرها ، واتسعت عيناها بلمعان غريب ، أما ابتسامتها الطفولية فتحولت إلى ابتسامة امرأة ذات خبرة وثقة بالنفس ، وبينما هى تضغط برأسى على صدرها الدافىء الطرى ، همست فى أذنى بصوت غاية فى العذوبة والرقة قائلة :

أرح رأسك الصغير المتعب أيها الوهم الكبير

فأنت الآن ملك لى .

وعليك أن تخبرنى : من أين أبدأ لكى التهمك ؟

القاهرة : طلعت فهمى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وداعاً أيتها القصة

عبد الستار ناصر

سأكتب لكم اليوم قصة قصيرة ، بلا معنى ، عن رجل فاسد وامرأة مؤمنة ، وبما أنني ، كما تعلمون ، أسوأ كاتب في هذا العالم ، فأنا ، لن أخسر أيّ شيء ، إلاّ تكرار ما قلتموه عني بعد كل قصة نشرتها عليكم .

أنا أعرف حجم خسارتي بينكم ، ومن الغباء نشر قصة أُخرى ، ترمونها في سلّه المهملات ، تضحكون على أبطالها ، أو تلعنون اليوم الذي (حبلت) فيه أمي ورمتني على طريقكم .. انا حقاً اعتذر الآن لكم ، ينبغي أن يعرف المرء حجمه ، من لا أصابع له كيف (يبرم) خيط إبرة ؟

لكن قصة هذا الرجل الفاسد ، تطاردني منذ أسبوعين ، تمشي معي ، تمضي أينما حللت ، تشاطرني الفطور والعشاء وتشرب الخمرة معي ، شراع أسود يأخذ زورقي إلى بحر من كوابيس ، كيف يبدأ هذا الراس ، والقصة تطفو على موج أشربه تارة ، ثم يشربني ؟

اعذروني هذه المرة ، فقط ، ربما أخطأتُ ، محض صدفة ، وجاءت القصة كما تشتهون ، من يدري ، هي كما تعرفون ، مجرد سطور قليلة ، وينتهي أمرها وأمري ، يكفي أن يتوهم واحد منكم ، أنها قصة طيبة ، ينساها بعد قليل ، وقد ينسى معها أن يضحك مني .

كل شيء في هذه الدنيا ، مربوط بالحظ ، غيمة في مدريد ، تشبه غيمة في بغداد ، تلك يعشقها ألف رجل ، وهذه لا يراها سوى الغربان .. ربما كانت قصتي هذه ، مثل غيمة في مدريد ، نعمة من الرب ، أن ينزل مطري ذات مرة على أرض جرداء ، وينمو زرع قصصي ، وأنمو ..

عفواً ، أنا ثرثار كبير ، أخاف أن يسحبني لساني إلى ورم في القلب ، لا أريد أن اكشف عنه ، كنت أريد أن يراه صديقي ، حتى يفهم ويرى حجم عذابي ، لكن صديقي ، وأنا أحبه جداً ، ثرثار مثلي ، قد يخبر زوجته بما رأى ، فتشعر بالخوف مني ، أو تكرهني .

زوجته امرأة مؤمنة ، هي أشرف من رأيت منذ طفولتي ، لكنني أخاف هذا النوع من النساء ، أخاف النوع القوي الذي يفهم ، من نظرة واحدة ، ما تريد منها .. وصديقي طيب القلب ، يحكي أمامها كل شيء ، أين ذهبنا ، ماذا شربنا واشترينا ، حتى انها ، صارت ، بعد عامين ، أو ثلاثة أعوام ، تعرف عني ما كنت نسيته عن نفسي .

على أية حال ، أنا حريص على أن أكتب القصة ، سوف أختصر لكم ما جرى بين الرجل الفاسد وتلك المرأة .. المهم ، أنتم تعلمون حتماً ، وهذا ما سمعته منكم ، أن أسلوبي في نقل الحكاية ، أسلوب عتيق لا يناسب العصر ، لكن هذه القصة ، لا تحتاج إلى أسلوب ، فهي مجرد حكاية بين اثنين ، أو ثلاثة ، عاشها كل واحد منهم بإحساس مختلف ، سوف أكتفي بمضمونها ، أو بمغزاها ، مادامت في نهاية المطاف ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مجرد قصة يكتبها أسوأ كاتب فى هذا العالم ، ومصيرها لن يختلف عن مصير سواها من قصصى .

لكننى أستغرب فعلاً ، كيف أن صديقى هذا ، وحده ، من كان يقرأ ما أكتب ، بل أخبر زوجته ذات مرة : بأننى أصنع الليل فى عز النهار ، وأننى أمشى وسط البحر ولا أغرق ، وأننى أخلق ما أشاء من البشر ، أقتل هذا وأعفو عن هذا كما أريد ، وعندما دهشت زوجته أخبرها بما أفعل فى قصصى .. لكننى قلت هادئاً : إن صديقى يمزح ، أنا إنسان بسيط جداً ، أكتب حكايات بسيطة لا يقرأها الناس ، حتى أننى ، كما قلت لها ، قررت السكوت عن الكتابة إلى الأبد .

كان هذا قبل عام واحد ، فوجئت الآن ، كيف أن زوجته صارت تقرأ قصصى كلها ، بل ، تنتظر اليوم الذى أزورهم فيه ، حتى تسألنى عن صحة أبطالى « ثقيل كان غروب الشمس على بتول ، وهى تقول وداعاً فى محطة القطار » ثم يأتى الشاى « كيف قتلت رشا عبد البارى ولماذا تركتها تضحك بين النوارس وهى ميتة فى مدريد » ؟

لم أكن أعرف الجواب ، هذه امرأة تدخل فى صميم خيالاتى ، وأنا عندما أكتب القصة ، لا أدرى بما جرى .. كيف تريدنى زوجة هذا الصديق أن أتذكرهم ؟ إنهم أبطال من ورق أبيض ، أو من كلمات أنساها بعد يوم أو شهر أو سنة .

هذه المرة ، كان لابد أن أتذكر ، إنها تهزأ من نسيانى ، كيف ترانى أرسم (المصير) لهذا الجيش من البشر وأنا لا أعرف سرّ أى واحد منهم ؟

ـ حرام أن تقتل من لا يستحق الموت ، وجريمة لا يغفرها أحد إذا أنتَ أبقيت على مجرم لا يستحق الحياة .

لكنها ذات ليلة ، وأنا أحتسى الجنون والخمرة فى بيتى ، قالت بصوت ناعس غريب ، يدخل من أسلاك التلفون كالمطر الناعم :

ـ هل ستكتب عنى ؟

لم أصدق ، أىّ طفل أحمق ، هذا الكاتب الذى لا يعرف كيف يعيش فى قصة قصيرة ؟ قلت مثل مراهق :

ـ ماذا أكتب عنك ؟

ـ وهل تكتب غير القصص ؟

ـ أنا حقاً لا أعرف ماذا أكتب عنك ، أنا أحترمك جداً .

ـ وهل تكتب القصص عن الرديئين فقط ؟ ألا يمكن أن تكتب قصة عن امرأة تحترمها أو عن رجل محترم ؟

فجأة ، لاأدرى من الذى نطق نيابة عنى ، وكيف جاء الكلام على حنجرتى وأنا أقول :

ـ أنا ياسيدتى رجل فاسد ، لستُ كما ..

قالت بسرعة ، بصوت وحشى جاء بأمواج من شبق واحتراق :

ـ أنا أعرف هذا .

كنت أريد أن أغلق هذا الصوت ، بدأتُ أخاف من شىء غامض لا أعرفه ولا أفهم كيف باتَ ينام على صدرى ..

ـ لكنه صديقى ، وأنت زوجته .

قالت :

ـ أنتَ كذاب كبير ، أنتَ بلا أصدقاء ، عندك صديق واحد فقط لا تفارقه أبداً . مددتُ يدى إلى (صديقى) وأيقنتُ أن السمكة قد رمت بنفسها على غرين الخيانة وانتهى كل شىء .

*

نعم ، أنا على يقين ، منذ بدأت الكتابة ، أن السماء تمطر فى الشتاء ، وأن أوراق الشجر تسقط فى الخريف ، وأن أمثالى من الرجال يغرقون فى شبر من الماء أو شبر من الخمر إذا ما حاصرتنى امرأة بعينها وغازلتْ غرورى ورجولتى ..

ماذا أفعل ، وأنا كاتب بلا جمهور ، إذا ما جاءت أجمل امرأة وصارت تقرأ كل جزء فى جسدى وعقلى وأوراقى ؟ هى معجزتى ، وأنا إنسان بسيط أقنع بمن يمدحنى حتى كذبا ، أو يقول خيرا فى قصة من قصصى .

قلت كما يفعل أبطال السينما :

ـ تصبحين على خير ، أنا لا أصدق حرفاً مما تقولين .

قالت بنبرة موجعة :

ـ أنا ما قلتُ شيئاً حتى الآن .

كنت أشرب وحدى ، وأنا أكتب القصة التى أُريد أن أطرحها عليكم ، أسعدنى هاجس عذب وأنا أفكر « إن قصصى من نتاج خيالاتى ومن إبداع ضميرى ، وهذا أفضل ألف مرة مما يفعله غيرى ، فهم يسرقون المضامين والمفردات والحبكة والتقنية وأساليب الكتّاب الكبار ، يخلطون الكلمات ثم يمزجونها مع أفكار غيرهم ويأتون بقصة لقيطة ، قد تأتى جميلة وقد تأتى مشوهة ، ذلك أن لصوص القصص مثل بقية اللصوص ، أذكياء وأغبياء عباقرة وحمقى ، وكما هم مختلفون فى مستوى الذكاء ، ترى نتاجهم المسروق ، مختلفا فى النوع أيضاً » ..

نظرتُ إلى حزمة من أوراق . بعضها تمزق بين أصابعى غضباً على فكرة لا أعرف كيف انقلها ، وبعضها مملوء إلى آخر سطر من سطورها ، ورحت أفكر فى هذه المرأة الغريبة ،

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنت أظنها عصيّة على أعظم الرجال ، وأن إنساناً عادياً مثلى لا يمكن أن يحرك فيها شعرة واحدة .

أينَ ولّى عن ملامحها ذاك السكون الذى يقشعر له جسدى ؟ فى حضرة زوجها كنت أسكت ، إذا ما جاءت بالقهوة والماء البارد ، لاأعرف ماذا أقول سوى تكرار مساء الخير .. صحيح ، ربما شعرتُ بها ذات مرة ، تبتسم خلف ستائر الصالة ، ومرة ، وهى تفتح باب البيت ، رأيتها تسرع إلى غرفتها ثم تعود بعد قليل ، بثوب أجمل وحمرة على الخدين لم أنتبه إليها عند الباب .

كنت أفكر فيها ، أرى صورتها على جدران غرفتى ، نهر يجرى من الشمال ، أمد أصابعى ، أريد أن أشرب منه وأرتوى ، لكن جدران البيت تهزأمنى ، يمّحى وجه السيدة ، والصق يدى على حائط متسخ بالماضى ..

وأنا ، كما ترون ، أختصر القصة ، لئلا تضجروا ، ربما عافها بعضكم عند أول سطر منها (الحق معه) أنا لا أعرف اسلوباً يناسب أفكارى ، وربما العكس ، أن اكون مفلساً من أية فكرة تناسب أسلوبى .. وقد اعتذرتُ لكم عن هذا الخراب الذى هدم اسمى وسمعتى ، واكتفيت أن أكتب هذه القصة ، عساها تكون آخر قصة قبل أن أهجر الكتابة فعلاً ..

هذا أفضل ، كما أرى ، من الدخول إلى منزل الخيانة ، والعيش فى خطأ لن أغفره لنفسى أبداً ، فها هى زوجته تكرر السؤال عنى ، ويطول الكلام عبر أسلاك التلفون ، يأخذ الكلام شكلاً آخر ، ثم يمتد بيننا ، يتشعب ، حتى صار غذاء يومياً لا أستغنى عن طعمه اللذيذ .

فى مساء بارد من مساءات الخميس ، ذهبنا سوية ، أنا وهى وزوجها ، إلى السينما ، لا أدرى كيف تبرع الحظ ورمانى إلى حالة من البلاهة ، لم أنفك عنها طوال الوقت الذى كانا فيه معى ..

دخل الرأس فى ظلام دامس ، طفل أرهقه الخوف ، نام على صدى يقول (لا أريد أن أكبر ، اتركونى أتمتع بطفولتى) .. ضوء كالبرق ، رصاص ، جثة تمتد على طول الشاشة ، صراخ ، وليل بلا قمر ، وأنا لا أرى أى شىء إلاّ محض ارتباك ، أو صحو ، أو محض إحساس طارىء .. وفجأة ، بينما البلاهة مازالت تلتف حولى كالحزام العريض ، شعرت بشىء يسرى على يدى ، ثم يمسكها برقة ، أصابع ناعمة تفرز حرارة ورائحة غريبة ، كيف جاءت هذه اليد الساحرة وكيف التفّت حول أصابعى ؟

فى تلك اللحظة ، أيقنتُ أن القصة سوف تنتهى عند هذا الحد ، إذا ما رآها زوجها او رآنى ، لفّنى رعب يوازى ما عانيته فى السجون طوال عام من التعذيب .. سحبتُ يدى كما أسحب إبرة من لحم طفل مريض ، لم أنظر إلى شىء ، كنت أعمى ساعدنى رصاص الشاشة على كتم آهة خرجت دون إرادتى ، ثم نهضت بلا وعى ، وخرجت ، من تلك النار .

جاءنى زوجها ، يسأل عن سرّ هروبى من القاعة ، قلتُ ، والبلاهة مازالت تمشى خلف راسى :

ـــ أنا مريض .

قال زوجها :

ـــ أنتَ على حق ، الفيلم سخيف ومقرف ، دمٌ وجثث ورصاص وقبور وسلخ أجساد بلا حساب .

لم تفارقنى البلاهة ، حتى رأيتُ نفسى على فراشى ، فى غرفتى ، لا أدرى كيف وصلت وماذا جرى فى بحر الدقائق التى أحرقتنى ؟

قلت : هذا يكفى ، لن أذهب إلى بيت صديقى بعد اليوم ، سأغلق التلفون إذا ما سمعت صوتها ، وأيضاً ، لن اكتب القصص ، وإن كتبتها ، لن أنشرها ، لا أريد أن أعطيها أى تبرير ، جسر واحد أقطعه وأمشى على الجانب البعيد منه .. ما شأنى بهذه الحكاية السوداء ؟ أنا لا أريد أن اكون (بطلاً) فى أية قصة ، جريمة كانت ، أن أترك ابطالى يتألمون فى قصصى ، فقد أدركتُ الآن ، حماقاتى ، بعد أن أخذت مكانهم ، أتباهى داخل صندوق من العجز والذل .

أغلقت باب غرفتى ، كمن يريد أن يهرب من الدنيا كلها ، هواء بارد يتسلل من خصاص النوافذ ، ثم هزّنى رنين التلفون ، لم أعرف أن هذا الصوت كان قبيحاً وجارحاً إلى هذا الحد .. رميتُ عليه ثلاث وسائد وبطانية . ومازال الصوت يتسرب إلى جمجتى إنها مؤامرة ضدّ القلب ، مباشرة ..

رفعتُ جسدى نزعتُ (فيش) التلفون ، وقررتُ قطع هذا الكائن الأرعن عن أفكارى ، لئلا يذبحنى ذات يوم ..

لكن الرنين ، صار أعلى ، باتَ يدخل فى دمى ، هل ترانى جننت ، أم أنه جرس الباب ، هذا الذى نسيته منذ وقت بعيد ؟ .. نعم . هو جرس الباب ، مشيتُ مقتولاً ، جاحظ العينين ، كمن يحمل أثقالاً أكبر من سنوات عمره ، وفتحتُ الباب ..

كان صديقى وزوجته ، يبتسمان فى وجهى ، حنجرة واحدة كانت تقول :

ـــ مساء الخير .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

شعرت أمامهما بالبلاهة التى رجعت تطاردنى فى بيتى ، دخلا منزلى وجلسا قرب مكتبتى وجهازى المخبول الذى أختبر فيه مواهبى .. كانت أوراق القصة منثورة هناك بلا تنسيق ، قال صديقى :

ـــ ماذا تكتب ؟

أخذتْ زوجته ورقة من بين أوراقى ، راحت تقراها بصوت داعر وقح :

ـــ « إن أمثالى من الرجال يغرقون فى شبر من الماء أو شبر من الخمر ... إذا ما حاصرتنى امرأة بعينها ، وغازلت غرورى ورجولتى .. » ..

كان زوجها يضحك مثل راقصة عجوز ، بينما استمرت السيدة المؤمنة تقرأ فى القصة ، حتى صرختُ بها أن تسكت فوراً .

نظرتْ إليهما ، وأنا الهث مثل كلب :

ـــ هذه زيارة غريبة لم تطرأ على مخيلتى ..

قال زوجها «

ـــ كنا نريد أن نعرف ماذا تكتب اليوم .. إننى أراهن زوجتى على أنك تكتب قصة عنها وعنى و ... عنك .

قلت هادئاً ، أو هكذا كنتُ أريد أن أبدو أمامهما :

ـــ ولماذا أكتب عنها وعنكَ وعنى ؟ هل يستحق ما نحن فيه أن نكتب عنه ؟

رفع صديقى جسمه الفارع ، وصار يمشى كما يمشى الملوك ثم ابتسم ابتسامته الطيبة التى احبها ، وراح يهامس كالملوك

ـــ أنا الذى قلت لها أن تفعل كل فعلت أنا قلت لها أن تتصل بك ، وأن تمد أصابعها عليكَ فى السينما ، نريدك أن تعيش الحالة القصصية ، كنا نريدك أن تستمر فى الكتابة .. أنت عبقرى ياصديقى ، ولا نريد أن نخسرك مطلقاً ..

قالت زوجته :

ـــ إنها لعبة بريئة ، هل « زعلتَ » منا ؟

ثم قال صديقى :

ـــ أنت إنسان رائع ، شريف ومهذب ، وقد أعطيناك فكرة طيبة للكتابة ، نرجو ألا تغضب منا ..

كان البركان يصعد ، صوب سماء لا يدرى بها سواى ، قلتُ وداعاً عند باب البيت ، وتركتُ البركان يأخذ نبض قلبى ، وهدوئى ، وشحنة من كبريائى ، وأنا انظر خلفهما بعينين من دخان ..

ـــ هل تدرى هذه السيدة ، كم أصبحتُ أحبها ؟

نظرتُ إلى وجهى فى المرآة (هذا البهلوان أعرفه منذ ولا دتى) فهل تستحق القصة القصيرة أن نُقتل من أجلها ؟ هل تستحق أن نُسجنَ ، أو نتشرد ، أو نتآمر ، أو نتعذب من أجل حروف لا معنى لها ؟ ..

لقد انفجر البركان بين ضلوعى ، وانتهتْ القصة

بغداد : عبد الستار ناصر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

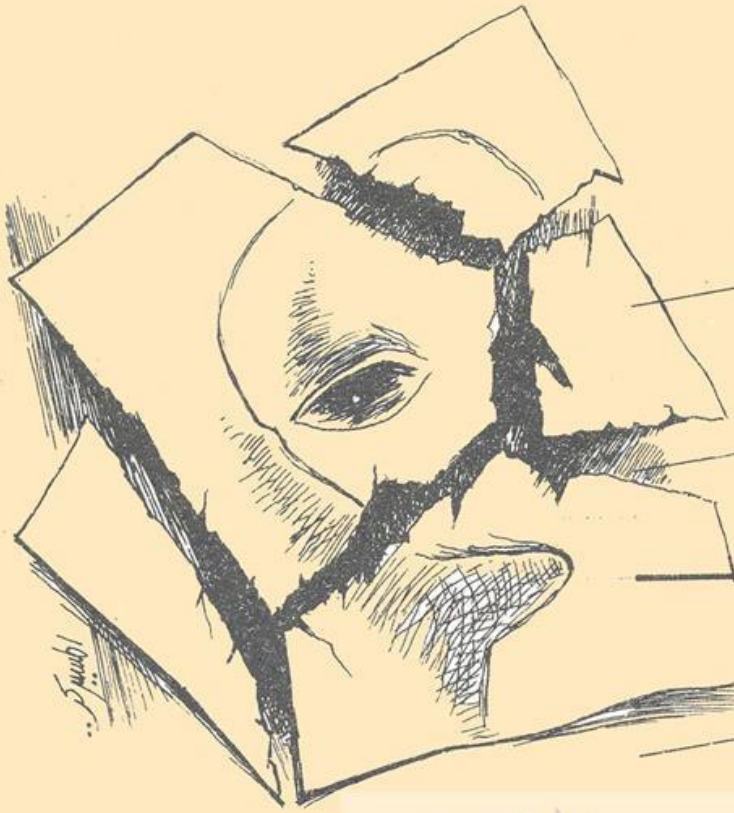

مقاطع من رحلة الضنى

حسن حجاب الحازمى

المقطع الأول : أنا

آه يا زمن الصّمت المندسّ بأعماقى
ماذا تخفى قل لى ؟! يا حزنى الباقى
أوما حان فراقى ؟
آويتك شوقاً أرهقنى
وحملتك شوكاً فى بدنى
وهاهى ذى حبلى أوراقى
لكن من يقرأ أحداقى ؟
فأنا جرح لا يبدو
ونزيفى أغنية تشدو
وفؤادى يعشق إرهاقى

المقطع الثانى « أنت وأنا »

من زمن الحزن الممتد ما بين قلبى وبينى أسألك :

لماذا أطفأت قناديل الفرحة فى صدرى ، وهى لم تولد إلا بعد ظلام شاخ بقلبى منذ سنين ؟ ولماذ أغتلت حصان الشوق الجامح ؟! ، ولماذا اخترت لقلب يهواك جراحاً لا تفتأ تنزف حباً وحنيناً ؟ ! ، لا النزف توقف ، ولا الحبّ نضب .

ولماذا لم تصدق عيناك ، ولم تدرك ما أخفت عينى ؟

قل لى يا فرحة عمر الماضى والآتى ، يا فرحة عمرى المقتولة :

لماذا كذبت عيناك ؟

المقطع الثالث : « الغربة »

فراشى وأنا والهزيع الأخير من الليل ، وثلاثة أجساد تغطّ فى نوم عميق ، وأنا جسد متهالك وقلب جريح .

أواه يا ليلى المثقل بالسّهر ، أما آن لجفونى أن تنفض عنها الغربة ! ثلاثة أجساد تغط فى نوم عميق ، وتقلّبنى وحدى يالليل الغربة ما ذنبى كى تسرق من عينىّ النوم ؟

؟ما ذنبى كى تغفو فى ذاكرتى الأحزان ، وتقوم على شفة الذكرى وحدك ؟ يا ليل الغربة وحدك تقتات النوم ، وتنام وتنسانى ساهرة .

ما ذنبى كى يسكن هذى الأجساد النوم ، وتسكن جفنى الأوهام ؟

المقطع الرابع : « الأجساد »

الجسد الأول « جدتى » !

لهذى الأخاديد فى وجهها تاريخ من التعب ، ولعلامة الاستفهام الرّابضة فى جبهتها تاريخ من الخوف والقلق ، ولهذا الجسد المنهوك تاريخ من القوة .. هذه العجوز التى تستعين على الدنيا بعصا .. كانت فتيّة ذات يوم ، وكانت جميلة .. وجهها يقول ذلك .. كانت تشرق من جبهتها الشمس ، وتمتد قامتها فى وجه الريح ، لكنّ القوة خارت ، والوجه المكسوّ جمالاً ، غزته تجاعيد الشيخوخة وبقى القلب رحيماً وحنوناً لم تتسللّ إليه الشيخوخة ..

تقول جدّتى : إن الفرح غزا قلبها ذات يوم حين تزوجها ابن عمّها ، لكنّ فرحتها لم تدم طويلاً ، وسافر ابن عمّها ولم يعد ، وكان فى أحشائها صبية صغيرة أصبحت أمى فيما بعد .

الجسد الثانى : « أمى »

قنديل الفرح المطفأ فى عينيها يحكى كامل قصتها ، ونزيف القلب المؤوود ، وعيون الشوق المكدود ، تحكى للعالم ، كلّ العالم ، حكاية قهر بشرية مارسها لا ادرى مَنْ على امراة تدعى أمى .

كانت أمىّ تسكن أحشاءً يسكنها الجوع ، ويشيخ على جبهتها الحرمان .

ونمت أمىّ فى هذا الوسط الظامىء حتى آن خروج النبتة .

خرجت أمي عاريةً إلاّ من صدر دافىء منحها أغلى فستان ، وكبرت والصدر الحانى يكبر معها ، كبرت أمى وهى لا تدرى أنها كبرت ، إلا حين نقرتها الأعين ، وتناقلت جمالها الألسن :

« صبية يتيمة ، حورية الجمال ، عيونها مزروعة فى الأرض .

من ينتزع تلك الأعين الجميلة ويرفعها إلى وجهه ؟ من يا فتية القبيلة ؟ أشرابٌ عنق أبى من بين كلّ الأعناق ، وفاز بالجميلة الخجول ، ولم تعد وأمها وحيدتين فى وجه الرياح .

أبصرت الأعين الجميلة وجه أبى ، كان طافحاً بالرضى ، مفعماً بالسعادة ، مأخوذاً بجمال لم يكن يوما قطّ ضمن أحلامه ، وهاهو الآن بين يديه . همّ أن يتكلم .

جاء صوته متحشرجاً مبحوحاً فأسكتته أمى :

ــ دعنى وحدى أقرأ ما تريد قوله .

وتجولت أمىّ فى عينى أبى ، قرأت فيها أحلى القصائد ، وأروع الوعود وحكت ما لم يقله فمه من كلمات الحبّ المؤودة على شفاه الدهشة :

★ « أيتها الأعين الجميلة كم سبحت فيك الدمعة قبل اليوم ! لادمعة بعد اليوم ، قلبك قلبى منذ اليوم ، وأنا أنت ، ودونك لا شىء أنا . »

ومرّت الأيام مكسوة بالدهشة من هذا الفرح الذى سكن بيت الأحزان ، ونطق أبى بكلّ ما قالته عيناه ، وأقسم قلب أمىّ على الوفاء وصدق ، ولم يصدق قلب أبى ..

ركب الشيطان السفينة وأغرقها ، وتسرّب الماء إلى مركبة الحبّ ، فهوت فى البحر رويدا رويدا .

ــ وكنت فى أيام وهمى وخيالى المبحر فيك دوما أسأل نفسى :

هل ستفعل مثل أبى ؟

ثلاث عجاف مرّت ولم تنبت أرض أمّي

دارت الألسن فى المغارات النتنة ، سكبت فى راس أبى صداعاً أبديا ، وأمّه تلحّ ، تزوج وأخرس كل الألسن .

لم يفكر أحد فى أمّي التى كان يقتاتها الخوف والقلق وتأكلها الألسن .

تمتم أبى لنفسه : لا بدّ مما ليس منه بدّ !

وحين همّ بماليس منه بدّ ، تحرّك فى أحشاء أمي شىء ما .

طار أبى ، وزغرد كل العالم لفرحة أمّي

ــ أريدها بنتاً

ــ وأنا أريده ولداً

تخاصما واصطلحا .. اثنان اذن ولد وبنت

★ أنت تريد وهى تريد والله يفعل ما يريد ، قالتها جدّتى ومضت .وفعل الله ما أراد ، وأخرجت بطن أمي زهرة جميلة غرستها فى جوف الأرض فور خروجها .

بكى أبى على قبرها ليالى طوالاً ، وكان حزن أمي أكبر ، وردّت أم أبي بخبث : لا عليك يا ولدى فالأرض الجدباء لم تعد كذلك وغدا تنبت غيرها . وصدقت نبوءتها ، وأنبتت ارض أمي زهرات متتاليات ، لكنها زرعتها جميعها فى جوف الأرض .

كان الحزن رابضاً فى قلب أبي ، وكان يقتل أمّي يوما بعد يوم .

دارت الألسن فى المغارات النتنة من جديد :

ــ الأرض سمّمها الجدب .

وأم أبي التى لم أقل لها جدتّي ولن أقول ، تلحّ على أبي تزوج .. تزوج فالأرض سممها الجدب ، وأبى متردّد ، وأمّى تتآكل فى داخلها حتى وضعت حملها .

لم تمت زهرة أمّي هذه المرة ، بل غرست أصابع يديها العشر فى كل الأعين ، وارتفعت قامتها فى وجه الريح .

بلعت الألسن خيبتها ، وحملت أمى بى ، وحين أتيت وقلبى ينبض بالحياة ، عاد الريق إلى الألسن ، ولزجت كل الحكايات القديمة وتبخّر النتن من جديد :

ــ الأرض أفسدها الجدب ، الأرض لا تحمل إلاّ إناثا

ــ مسكين ناصر ، لن يذكره أحد بعد موته

أقامت أم أبي الدنيا ولم تقعدها ، تزوّج يا رجل ، تزوّج ، ألا تريد من يحفظ اسمك ؟ أتريد أن تموت إلى الأبد ؟ . تزوّج .. تزوّج !

ثار البدوىّ فى جوف أبى . زال طلاء التعليم . اشرابّ عنق البدوىّ عالياً .. عالياً ، كشف عن مخالبه وأنيابه وغرسها جميعاً فى قلب أمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

تزوج أبى ولم يعد ، وقذف بأمي بعد عمر من الوفاء .
بكت ، وبكيت أنا معها ، وقالت جدّتى :
الدهر يومان .. »
وقالت أختى : يا أمي المظلومة !
من عكر صفو الأيام ؟
من سرق الفرحة من عينيك
من أغمد فى خاصرة الحبّ هذي السكين المسمومة ؟
من يا أمى المظلومة ؟ من ؟

الجسد الثالث : أختى :

الورقة الأولى من أختى :

يمتدّ السؤال بحجم الفجيعة والألم الممتدين داخلى :
لماذا نقشوا فوق جبهتى حين ولدت « محجوزة » ؟
حتى أنت حين ضمّتنا الحجرة وحيدين إلاّ من ضوء خافت يتسللّ
من زجاج النوافذ المغلقة ، حين أحرقت فستانى الأبيض ،
وصفعت قلبى المشرع للفرحة ، حين لم تقل لي أحبّك .
امتد السؤال فارعاً بحجم الفجيعة والألم الممتدين داخلى :
لماذا نقشوا فوق جبهتى حين ولدت « خليل » ؟
لكنك تدثرت بالصمت ، وتظاهرت بالنوم ، وتركتنى وحيدة ،
أنا والنوافذ الموصدة ، والضوء الخافت والسؤال الممتد .

الورقة الثانية من أختى :

كان الليل اغنية مهيبة وشت بها شفة الريح فلم أصدّقها .
أغرتنى المزامير وغرّتنى الطبول ، وكذبتنى مواويل الفرح ، وأصوات النسوة الماكرات :
ـــ مبروك .. مبروك يا أمينة ، صبرت ونلت
ـــ صامت .. صامت وفطرت على دكتور !
وأنا لا أريد الألقاب ، ولا أريد حرف الدّال ، بل اريدك أنت ..
أنت وحدك يا خليل مجرّداً من كل الألقاب ، اريد ذلك المنقوش
فوق جبهتى منذ الولادة ، أريد ذلك الطفل المضمّخ بالصدق
والطين ورائحة القرية .
وكنت غبية ، لم أدرك أن مطارات أمريكا ، وشوارعها ، وشقراواتها قد مرّغوا طفلي في الوحل ، وسلبوه الصدق ورائحة القرية .

الورقة الثالثة من أختى :

آه يا خليل .. كم تجاوزت من أسوار الغربة حتى عدت .
عشرة أسوار عبرها قلبى خلفك .
عشرة أسوار كان قد توغل قبلها النقش المحفور فوق جبهتى
منذ الولادة إلي قلبي ، وحين تجاوزت آخر الأسوار ، كان النقش
يسكن بؤبؤ القلب ، وغيابك يقتلنى من الوريد إلى الوريد ، لكنك عدت .
عدت بعد عشر حناظل عذبة مرّة تجرعتها وحدى .
آه ما أقساك .. عشر سنوات من الغياب المرّ ، كيف طاوعك قلبك ؟! .
كيف لم تفكّر فى العودة ؟!
وأنت تعلم أن هناك قلوباً تحبك وتنتظرك ، وأعينا تسافر فى السماء
بحثاً عن طائرة تقلك إلي أرض الوطن .
عشر سنوات ، تعبت الأعين ، وتكسّرت الرقاب ، وصدئت القلوب
ولم يصدأ الحبّ .
عشر سنوات قتلتنى الشائعات وقهرتنى الأعين المشفقة ، وادمت فؤادى
الألسن الناصحة :
لا توصدى أبوابك أكثر .
كثر الطارقون وأنا لا أردّ ، وأبوابي موصدة ، وأذنى صمّاء
وأنت ممعن فى غربتك وفؤادى يدمى كل يوم .
كنت أعلم أنك ستعود ، حتماً ستعود . وها أنت ذا عدت
أشرعت لك كل الأبواب بعد عشر حناظل عذبة مرة من الانتظار .

الورقة الرابعة من أختى :

كانت ورقتك التى تركتها مبلولة بالكذب ، لم أصدق منها أى حرف
من أعذار الرحيل الباهتة .
وحين عدت فتشت بنفسى عن سبب الرحيل ...

(١) « على ضفاف حزنىَ القديم
كانت تنام وردة جميلة
كان اسمها « روبينا »
اواه يا حبيبتى .. اواه يا روبينا
ما كنت غير غربتى وشقوتي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما كنت غير شقوتي وغربتي »

(٢) « اواه يا قريتي الصغيرة
اواه يا ابى
اواه يا ابتها المنتظرة
اواه يا احبتى جميعاً
قد خنتكم جميعاً »

(٣) « لم اكن اعرف ما معنى الانطلاق من الظلمة نحو الضوء حتى وطئت اقدامى هذه الارض »

ووريقات أخرى كانت ترقد فى دفترك الأخضر ، لا أدرى كيف مددت يدىّ لأسرق منك خطاياك ، وذاك البوح الفاضح عفواً .. بل ذاك الضوء الحارق ، الذى كنت تفتش دوماً عنه أتراك عرفت ما معنى أن ينطلق الإنسان من الظلمة نحو الضوء ؟ معناها : أن تقهرك شلالات الضوء ، فلا تبصر دربك وتسقط .. تسقط .. تسقط .

والظلمة ما كانت تسكن إلاّ صدرك ، ولذا لم يخرج عيرك كى يبحث عن ضوء ، وحين وهبتك مدينتك الحلم ذلك الضوء ، وانتشى فى حناياك البريق .. لم تعد « خليل » .. بل صرت فراشة تقفز نحو الضوء لتحرق فيه .

الورقة الخامسة من أختى :

لأول مرة منذ ولدت أتنفس هواء نقياً خالياً من اسمك .

الورقة الأخيرة من أختى :

آه يا خليل .. كل الأشياء الجميلة ماتت ..
ذكريات الطفولة التى اجتررتها أيام غربتك ماتت ،
قتلت كل الأشياء الجميلة داخلى ولم يبق إلا طعم الموت ، لأنى أدركت أنه الحقيقة الوحيدة .

* * * * *

ست وريقات تتدلى من جرح ينزف فى قلب أختى ، كتبتها ولم تعد تقراها ، وأنا أقرؤهاكلما أردت الهروب من حزنى .

* * *

« ثلاثة أجساد أضنتها الدنيا وقهرتها الأقدار ، ومع هذا نامت .
آه ما أسعد قلب المؤمن ! »

المقطع الخامس : رسالتك

« ليلى » :
خمسون ليلة وأنت تطاردينني فى الأحلام ، وتقرأين علىّ رسالة لم أتسلّمها قط :
(أعلم يا سيدى أن قلبك قلب شاعر لا يؤمن بالحبّ لواحد ،
لكنك حتماً ستعود ، ستعود إلى الحبّ الأول ، وإلى القلب البكر
الذى آواك صغيراً .. ستعود إلى ليلى لأنها قصيدتك الوحيدة
ولأنها الشعر .. كل الشعر)
وتختفين وتختفى الرسالة .
خمسون ليلة وأنت تطاردينني فى الأحلام وأنا أكابر ، لكنى لم أعد أقوى .
أحببتك .. نعم أحببتك أقولها بعد عمر من الصمّت .

المقطع السادس : « أنا وأنت »

يا ساكن عينيْ ليلى ، قل لى ماذا فعلت بك ليلى كى تكذبها ؟ !
وصّدتك قلبى فى زمن الصدق ، لكنك بعت الزمن الصادق ، ورحلت ولم ترجع .
أين قذفت بذاكرتك ؟
كيف محوت خطوط الأيام المحفورة فى القلب وفى العينين وفى الوجه وفى كل الأجزاء ؟ ، حتى أجزاء المنزل ، وحبيبات الرمل المقتولة من بعدك ما زالت تذكر تلك الأيام ، وتسألنى دوماً عنك .. لماذا غاب ولم يرجع ؟ وأنا نفسى لا أدرى .
جاءت كلماتك كى تنمو فى ذاكرتى ، حين هتكت حجاب الصمّت ، ونزعت عيونى المغروسة فى الأحرف ، وسحبت وريقاتى الرّابضة تحت يدىّ .
قرأت قليلاً وأعدت إلىّ وريقاتىَ ، وأنت كلماتك كى تنمو فى ذاكرتى :
« خطك جميل كوجهك الجميل »
عادت أختك
ـــ ماذا تفعل فى حجرتنا يا خالد ؟
★ جئت أسلّم واقرأ ما خطّت كفّاك ، وما خطّت كفّا ليلى
ـــ كيف وجدت دفاترنا ؟
★ جميلة ، لكنّ دفاتر ليلى أجمل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

طردتك ومشت تشكوك لوالدها ، وأنا أستذكر كلماتك .

وكبرنا يا خالد ، وكبر السّور الفاصل بين البيت وبين البيت

ولكن عيونك سمقت كل الأسوار حتى سوري الذى بنيته بيني وبين نفسي ، حين فهمت الدنيا وأبصرت أمي وأختي بنيت سوراً لا يتسلقه الرجال ، لكن قلبي خانني ذات يوم فأجبتك ، وهدم الجدار .

كانت كلماتك تنمو في ذاكرتي ، حين نمت أقدامك في منزلنا ، كنت الرجل الوحيد الذى عشق منزلنا ولم يهرب منه ، أحبتك جدتّي وأحبتك أمي ، وأحببّك فيما بعد كل المنزل ، حتى الجدران الصماء ، كانت تسألني دوماً عنك ، حين يجنّ الليل وأبقى وحدى ساهرة ، أسأل عنك الأقمار ، وأعيد إلى ذاكرتي وجهك ، كيّ أقرأ ما قالت عيناك .

كانت عيناك تبوحان بما يخفي قلبك ، لكن لسانك لم ينطق شيئاً ، وكنت أنطقه في ذاكرتي من وحي عيونك ، وكنت أمني نفسي قد ينطق يوماً ما وأنت ممعن في صمتك ، والعلاقة الحميمة ما بين عينيّ وعينيك تمتد ، والزمن يمتد حتى أبعدك عنيّ ...

ـــ سأسافر إلى العاصمة

★ وتتركني ؟

ـــ سأواصل تعليمي وأعود

★ هل ستطيق الغربة

ـــ لا أدري لكني سأحاول

★ هل ستذكرني ؟

ـــ كيف أنساك

★هل ستكتب لي ؟

ـــ لا أستطيع .. وأنت ؟

★ سأرسل سلامي مع رسائل أختك

ـــ وأنا أيضاً ..

كانت كلماتك تنمو في ذاكرتي وأنا أبحث عن حروف في رسالة أختك الخامسة فلم أجدها

★ هل ستذكرني ؟

ـــ كيف أنساك ؟

وها أنت نسيتني ! كانت كلماتك تنمو في ذاكرتي وأنا أطرد كل الأوهام إلا وهماً واحداً ، فلماذا اغتلت الوهم الرّائع !

فرّ من عمر الدراسة الجامعية عام بأكمله ، وعدت وأنا لا أدري كيف سنلتقي بعد كل هذا الغياب ، لكنك تعمّدت ألاّ نلتقي .

وسافرت بعد أسبوع واحد فقط من أجازتك ، وحين سألت أختك .. قالت إنك لم تعد تحبّ هنا .

وقالت إنك ستنوب عن خالك في منزله حتى يرجع من رحلة عمل .

دعوت لك بالسلامة وهدهدت في قلبي نار الشوق .

كانت كلماتك تنمو في ذاكرتي ، والأيام تفرّ من قبضة الزمن ، والأعوام تترىٰ ، وأنت ممعن في صمتك ، ممعن في غربتك ، ممعن في الهروب بعينيك كي لا أقرأ فيهما موتي .

وذات مساء ، والليل غاف فوق جبهتي ، هَتَكتْ ستار الصمت زغرودة من خلف سور بيتنا ، من بيتك القديم ، وسافر أهلك ليحضروا زواجك ، وفرّت الأحلام من يدى ، وسكنت في عيني الدّموع .

المقطع السابع : « الردّ »

اكتشفت أنك لم تحبّني قط ، وأن ذلك الشوق المخبأ في عينيك لم يكن إلاّ لأنني المرأة الأولى التي كانت ترمقها عيناك صباح مساء ، ولذلك نسيتني أمام أول أنثى اصطدمت بها عيناك .

واكتشفت أنك لو لم ترني منذ قرءاتك الأولى في وجهي ، ربّما أحببتني أكثر ، وتعلّقت بي أكثر ، ولكنها اكتشافات متأخرة على كلّ حال .

أما رسالتي التي تقول إنها تطاردك في المنام فهي ليست إلاّ وهماً عاد ليظهر ثانية بعد « فوات الفوت » ، فحاول أن تتخلص منه ، وحين تضع جنبك للنوم ، اسأل نفسك : هل يتسع القلب لشخصين ؟

وحين تجد الإجابة أسكن فؤادك التي تنام إلى جوارك ، ولا تفكّر في العودة لأن الحبّ تقتله الخيانة ، ولأن القلب لا يتسع إلاّ لشخص واحد ، ولأن رسالتك تأخرت كثيراً ..

سؤال أخير يحزّني من الوريد إلى الوريد :

لماذا كذبت عيناك ولم تدرك ما أخفت عيناى ؟

المقطع صفر :

بعد أن كتبت الردّ أحرقته وأحرقت رسالتك وبعثت إليك بالرماد .

الرياض : حسن حجاب الحازمي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

غناء

أرواح القبور

محمد عبد السلام العمرى

تكررت زيارات المعمارى لحسين فى منزله بالقاهرة ، بعد أن كلفه بالإشراف على منزله الجديد فى بلدته ، بلدة الأحزان المقيمة والسرابات الدائمة ، تلك البلدة التى لم يخطر بباله مطلقا أن يقوم ببناء منزل فيها إلا بعد أن انتابه المرض .

جاءه المرض وهو يتابع حملته الانتخابية فى النجوع والقرى المجاورة لقريته بعد أن رشحه الحزب على اثر مجيئه من سَفْرة خارج الوطن دامت عدة سنين ، توسم فيه الحزب الرجل المنتظر الذى يستطيع بثقافته واستمنارته أن يعبر عن برنامج الحزب خير التعبير .

بعد أن جاءه المرض أضحى دائم التوتر ، مسببا للقلق لكل من حوله ، يثير مشكلة إثر مشكلة فى الأماكن التى يرتادها ، يردد دائما أنه يشعر بعدم الارتياح من الوجوه التى يعرفها ، أصبح فظا وأصبح يعرف عنه انه شخص غير محبوب خاصة بعد أن كتب عن صديق العمر كلاما مشوبا بالهلوسة عن الفقر والشذوذ واشياء أخرى .

فى المستشفى الذى يعالج فيه أبدى رغبة فى بناء منزل بقريته ، نصحه أحدهم أن يلجأ إلى احد المعماريين ذوى الخبرة ، أجّل هذا حتى خروجه الوشيك لاستكمال علاجه الطبيعى .

لما ذهب إليه المعمارى للمرة الأولى فى بيته مع الوفود التى جاءت مهنئه لا حظ الجميع أن حسين استقبل المعمارى استقبالا خاصا ، وانفرد به فى ركن قصىّ مدة ليست قصيرة ، اتفقا خلالها على ميعاد يأتى فيه المعمارى للحصول على المعلومات والرغبات الخاصة بهم ليصمم المنزل بناء على ذلك .

ذهب إليه حسب الميعاد ففتحت له الباب الفتاة ذات البسمة الندية ، قالت والحياء بادٍ على وجهها إنه نائم ، سمع وهو بالخارج صوته التعِب يناديه .. ادخل .. ادخل .

وهو جالس ينتظره سمع دقات رتيبة لنقاط مياه تنسرب من حنفية قريبة ، يتقاطع وقعها مع صوت الموسيقى الهادئة التى تنبعث من جنبات الصالون ، وطرق مسامعه وقع خطى حسين قادما مصحوبا بعصاه التى يتكى عليها . ناوله يده وهو يجلس متعبا ، عرض عليه فكرة التصميم لبيته الصغير فى قريته التى لم يضنه الشوق إليها والتحدث إلى أهلها إلا بعد مرضه .

الإضاءة خافتة ، مكتبة صغيرة وثلاثة كراسٍ وكنبة أسيوطى . يشع الضوء كل فترة فيلمحلها حينئذ تنظر متخفية من خلف الستائر البيضاء لصالتهم الضيقة .

جاءتهما بالشاى وتركتهما مع أثر حفيف ثوبها الناعم ورائحته المعطرة . ترك الشاى قليلا ثم قام بصبه ، قال إن الشاى خفيف نادى عليها عدة مرات ، لم ترد .

رن جرس الباب فقام مستندا على عصاه داقا بها الأرض ، لحقته هى وسبقته . فانتظر واقفا ، سمع رجلا يستأذن فى

الدخول ، ارتجت عصاه وهو واقف مازال ، نظر المعمارى إلى وجه حسين الذى ارتسمت عليه آيات انفجار واشمئزاز غاضب .

أخذت الفتاة الرجل إلى الدخل ، مشى خطوتين فى اثره ثم ارتد منكسا راسه ، الرجل الذى دخل شاب طويل وقوى ، وحسين يخبط بالعصا أحيانا ، ويقوم أحيانا أخرى ، يتمشى قليلا ثم يعود تعبا منهوكا .

يصيخ السمع ، وهو يود أن يقوم ، انتظام تردد الشاب أثار انتباه المعمارى ، نظر إلى حسين الذى حاول أن يخفى ارتعاشة يده .

عرف بعد ذلك أن هناك فكرة مشاركة لمشروع يدر ربما ، قال هذا محدث النعمة صديقهما المشترك عندما جلسا فى المقهى بعد أن تلاقيا عند حسين ذات مرة فى منزله .

يفكر فيما يقوله حسين الذى يشيح بعيدا بوجهه وهو يتكلم يتأمله مليا عندما يقول أن مشيتى الأولى التى فُطرت عليها عضلاتى وأعصابى هى الأمانى القصوى ، إن كل أحلامى تستعصى على ، تضيع وتتبخر ، حتى القدرة على الحلم ليست من حقى ، يواصل : آلمنى أن أتطوح هكذا على غير ما أحب ، على غير ما يليق بى ، آلمنى الا أستطيع التحكم فى إغلاق صنبور المياه ، يصمت ، يستمعان لصوت رتيب لنقاط مياه تنسرب من حنفية غير محكمة الغلق ، تأتيه أحلامه التى يشفق عليه منها ، أحلام اليقظة ، مكمن الخطر والسرايات البعيدة ونار الرمداء الكامنة .

يلمح الفتاة ذات البسمة الندية تنظر من بين ثنايا الستائر متخفية ، يراها والفتور باد عليها عند استقبالها له ، وحين يتصادف ويرى زوجة حسين يرى النسخة الأخرى من الفتور المتعمد .

فى الزيارة الأولى شرح له طريقة الوصول إلى البلدة ، الألفاظ بدت بالنسبة له غير واضحة فيعيدها ثانية على مسامعه ، ورغم ارتعاشة اليد اليسرى فإنها تشى بثقة واضحة وإصرار وتحد .

لابد أن تأتى لتشرح للمقاول كيفية التنفيذ ، إنه فلاح ، لن يفهم هذه الرموز والمصطلحات ، ولن يفهم حتى لو رسمت وفصّلت .

قال لحسين إن هذه أمور بسيطة وأوضحها له « ولو » قالها حسين وهو يمسح على لحيته البيضاء .

شرح له اثناء ذلك طريقة الوصول ، وقال إن هذا لن يُستوعَب إلا إذا أوضحت لك ذلك كتابة ، بحث عن ورقة لم يجد ، عن قلم ، نادى عليها عدة مرات إلى أن جاءت ، أشار بيده إلى الدفتر الموجود صامتا بعد أن نبهته إليه .

وهو يرسم طريقة الوصول بدا منشرحا ، قال لها أرسلى ما ما ، جاءهما صوتها عاليا من الداخل ، علا صوتها على صوت الأم وهى تتحدث عن فائدة البيت الآن ومن الذى سيستخدمه ، نظر إليه متعجبا ، ثم غامت نظرته الصامتة فى ضبابية الإضاءة الخافته التى تحتوى البيت على وقع الانغام الموسيقية المؤنسة التى تتقاطع مع السقوط الرتيب لنقاط المياه .

صورتها المرتسمة فى مخيلة المعمارى أول مرة يراها فيها تتناقى تماما مع ما تستقبله به الآن من فتور .

خيل إليه للوهلة الأولى أن العالم سينفجر معها من الفرحة ، وأضفت فرحة وبهجة على مجلسيهما عندما شاركتهما فى مقعد مجاور .

الفرحة تطفر من عينيها لما رأت رسومات المشروع الابتدائى ، قام حسين بشرح كل ماعلق بذهنه من توضيح له ، أضاف من عنده ، ومن أحلامه ، وخيالاته ، أجاب على التفاصيل التى تساءلت عنها ، لكنها لا حظت عدم وجود مكان للمدفأة ، ولما أعياه الأمر نظر إلى المعمارى مستنجدا .

خلق لها مكانا لا تتأثر به مساحة الصالون ، رأى ابتسامته الأنيقة التى انتزعها من بين سنى الهم والكد ، وأشارت إلى الواجهات العربى ، وإلى المشربيات ، وأكدت له انه لوتم التنفيذ حسب هذه الرسومات فلن يكون هناك منزل يضاهيه فى الناحية كلها .

لماذا كان حماسها فى البداية ؟ ولماذا فتر ؟

حلمه الآن البيت ، عودة الأيام البكر ، ما أكثرها ، وما أحلاها ، لو يرجع طفلا ، صبيا ، شابا ، لوتعيد له الأيام عافيته فقط ليتمكن من التمسح فى أماكن فرحته القديمة ورؤيتها .

التخلص من العصا التى تلازمه أمنيته القصوى ، لو يتمكن من معاشرة زوجته ،لتلك المرأة سحر البهاء ، وطلعته ، لجمالها فتنة ، ولعذوبتها طعم ، وهزة الرمش ترعش الأوصال ، فجرت فيه الرجولة ، اشتياقه لها متواصل ، لا يبيت إلا فى حضنها ، يزداد إشعاع نورها والألق بعد كل حضن .

ذات صباح ذهب للمرة الأولى إلى بلدة حسين بمفرده

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لمتابعة البناء ، اختار الذهاب إلى هناك وتأجيل أعماله الأخرى .

بهجة الصباح نبهته ووعدته بمباهج عدة ، ينظر إلى العنوان الذى أعطاه إياه ثانية ، سحر ندى الخضرة الطرية جذبه وأفقده اختياراته الأخرى ، تمهل وانصت ثم أصاخ السمع لهديل حمام برج البيت المجاور .

فى نهاية الربيع تأتى ، غيوم رقيقة ، ويشبع الجو برذاذ مطر فى الغيم ، يحب حسين ، كما قال له ، هذا الطقس ويرتاح إليه ، ويتمنى كما كان فى أوربا أن تستمر الغيوم الرقيقة والأمطار العذبة ، جو يساعده على إتمام النشوة وابتداء الرحلة إلى حيث يستوى بيته وينمو .

يتذكر حسين أول مرة طرح على زوجته فكرة المنزل ، واحتضنته ، وانبثق الم الفرحة المفاجىء ، وشعت فورا من ثنايا المنزل الصغير الدافىء الذى تجلجل ضحكاتهم فى جنباته ، لكنها الآن تنبهه المرة تلو الأخرى إلى عدم جدواه ، ويتساءل منذ متى تراجعت ؟ تتوالى الأسئلة ، تثير القلق والشك ، يقوم ويجلس ، والله عجيبة ، ثم يمسح على ذقنه ثم يردد والله عجيبه ، يصاب بالإحباط وتتراخى قبضته عن العصا ، ويضع رأسه على مسند مقعده الأسيوطى .

لذلك يصر على إتمام بناء منزله فى بلدته الساحرة ، بلدة الأب والأجداد ، ينظر فى وجوه الأقارب والأعمام والعمات والعائلة لعله يلمح نفحة من نفحات أبيه الطيبة التى يستمد جذور قوته منه ، يجلس إليهم ويتواصل معهم ، ويستمد عزيمته من إصرارهم على مجالسته ومحادثته ، وتزداد عزيمته وإصراره على التنفيذ عندما تصر زوجته على إلغاء فكرة بناء البيت ، مع الأيام يزداد يقينا بصحة ما يعتقده ويتمادى فى خطوة جديدة لتنفيذ ما يراه .

زوجته تأتى ، ينظر إليها وينسحب منكسرا بعد أن تكرر أن لا داعى لهذا البيت ، ثم يغرق فى الصمت عند ما تأتى له ذكرى تصرّف تناساه ، ويربطه بما تقوم به الآن من تصرفات ، ويتساءل عن مدى صحته ماوصل إليه فكره ، وما تضمره له .

عندما علم محدث النعمة أن حسين يقوم ببناء منزل فى القرية ، ارتعشت أطرافه ، وزحف الحقد الكامن فى الداخل متسللا فبان واضحا على شفتيه المرتعشتين ، وعينيه الموهتين بنظارة شفيفة ، انتفض وحاصر المعمارى بأسئلة لم تشف إجابته عنها غليله ، لكنها تدور حول محور واحد يثير التساؤل والشك ، تساؤلاته تدور حول التكلفة ، حول المساحة ، حول الأرض وعدد الأدوار ، ثم أردف محدث النعمة والتعجب باد على سحنته الذليلة : إننى فى غربة منذ عقد كامل أنا وزوجتى ، ولا أستطيع أن آخذ قرارا بإعادة بناء منزلى فى القرية ، إن التكلفة مرتفعة جدا .

أثناء قدوم حسين مع المعمارى من البلدة يحكى له عن تلك البلاد البعيدة الممطرة ، الغائبة الشمس ، ويحكى عنها « زوجته » التى عملت معه وله ، لقد شجعته وساعدته ، وحسين يعمل أيضا ، يقول عنها : إنها وطنى ، لقيت فيها الطفولة والشباب والرجولة وعمرى كله .

تنظر الى حسين فتاته ذات البسمة الندية ، وتكرر على مسمع منه رغباتها فى الانتماء إلى ناد عريق كزميلاتها ، ورغبات شبابها فى الملبس والنزهة والانتقال إلى حى راق فينظر إلى زوجته التى تزداد نضرة خدودها .

قبل بدء التنفيذ ذهب المعمارى مع حسين إلى أحد الفنادق لتناول البيرة الممنوعة فى رمضان ، يدق أرضية الفندق الرخام بعصاه دقات قوية تؤكد شخصيته الكامنة العنيفة ، يزيح عن طريقه بقسوة وجلافة تلك الوجوه المشربة بالحمرة ذات العيون الزرقاء القادمة من البلاد الأوربية لتتمتع بالشمس والدفء .

ينظرون إليه ببلاهة ، لا يدرون لماذا يفعل ذلك ولا المعمارى أيضا ، ينظر إلى حسين فيجده ينظر إليه خلسة من تحت نظارته ، وابتسامة خفيفة تنسال من بين شفتيه ، وتنسكب على ذقنه البيضاء .

عندما نظروا إليه بادلهم النظر ليرى وقع الفعل وتوقعات الرد عليه ، ثلاثة رجال وسيدتان يضحكون وهم ملتصقون ، واضعين الأيادى على الأكتاف ، لكن عصاه أبعدتهم عن بعضهم ، وقفوا فى حالة من الذهول والتعجب ، لم يلتفت إليهم وواصل دق الأرض بعصاه التى يمسكها بقوة فى يده اليسرى .

وهو يجلس على الترابيزة سأله عما إذا كان قد قام بعمل التكلفة الفعلية للمنزل أم لا ، أبدى بعض الملاحظات قبل أن يتكلم وأفهمه أنها ستتوقف على نوعية التنفيذ والتشطيبات ، وشرح له أن مسألة التصميم العربى هو الأكثر تكلفة بالإضافة إلى أن العمالة لن تقوم بتنفيذ التصميمات على الوجه المطلوب ، عندما علم الرقم تراجع إلى الخلف ساندا رأسه على الكرسى مطبقا بيديه الإثنتين على رأس العصا ، ثم أسند رأسه عليها ، صمت قليلا ثم نظر إليه ،بعد قليل نادى الجرسون وطلب اثنين بيرة مثلجة ، رآياها أمامهما على الترابيزة الاخرى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وزجاجه مندى بالثلج ، فاشتاقا لكوبين ، يقول البيرة المشروب الرئيسى هناك مثل المياة لدينا ، ياسلام ما أحملها ، وهما ينظران للبيرة على الترابيزة المجاورة وجدا الجرسون مازال واقفا ، وعندما نظرا إليه قال إن البيرة ممنوعة فى رمضان ، لم يفهم لذلك معنى وهو يشير إلى الترابيزة المجاورة ، قال إنها مسموحة للأجانب فقط؟ ، بعد مناقشات عنيفة أحس بعدم جدواها قام واقفا وانتقض حسين لا عنا .

تلك البلد الضبابية البرودة والثلجية الحوائط والطرق ، والأنفاس يتذكرها فى كل خطوة يخطوها ، يحكى عنها كثيرا ويتكلم بألم منقطع ، يراه صامتا وهو يحتسى الشاى الذى أحضرته الفتاة ، تكلم عنها كثيرا ، يحكى له فى كل مرة يراه فيها عنها ، قال له من أجلها عدنا ، لم أكمل ما بدأته من أجلها ، لم يوضح شيئا بعد ذلك ، المعمارى قرأ فى أحد أحاديثه التى أدلى بها أن سبب رجوعه إلى أرض الوطن هى بالفعل ، وأوضح أنها هى التى نبهته إلى ذلك فى إصرار وتحد ، أبلغته الرسالة وأردفت إما الرجوع الآن أولا رجوع على الإطلاق ، وإما أن أكون ابنتك أولا تجدنى بعد ذلك بجوارك مدى العمر ، يردد دائما مقولة إن الوطن هو محل السعادة ، أشار المعمارى إلى الحديث ولم يستوضحه ولم يوضح بأى سبب عاد ؟ لكنه نبهه أن أحلامه كلها تبخرت وانتابه إثر ذلك القلق والتوتر .

عندما كان المعمارى يتردد عليه لم يتساءل عن الرجل الذى يراه هناك باستمرار ، بمجرد دخوله يستأذن منهما ، تدخل معه الزوجة إلى الصالة الداخلية ، يقوم حسين بالذهاب إليهم ثم يجى يجلس قليلا ثم يقوم ذاهبا ، سمع صوته يعلو لأول مرة .

يقول أنا لا أخاف عليها الآن ، لقد كبرت بين أهلها وتلك بلدها ، تستطيع أن تتحمل مسئولية نفسها ، ستدخل الجامعة العام القادم ، لن تحتاج إلى ، المنزل بالنسبة لى شى هام ، لا أرتاح إلا فى البلدة ، الدوار القديم كما رأيته لا يصلح ، ثم إننا كلنا كعائلة تشارك فيه ، لا يريد أحد إصلاحه أو التعاون معى .

تفهم وجهة نظره التى لم يفصح عنها وتراءت له معارضة ابنته لبناء المنزل ورغباتها الكثيرة التى تشجعها أمها عليها ، وتساؤلها المستمر عن فائدة هذا المنزل ومن سيذهب إليه .

إنهم دائمو النسيان ، نسوا ما حدث لى ، ونسوا خروجى من المستشفى شبه مطرود ، لم يستطيع أحد الوقوف بجانبى ، يمصمص شفتيه ويتعجب .

فى المقهى تأتى الأخبار التى يودون سماعها والتى لا يودون ، مُحدث النعمة دائم الكلام عن افضاله على الرجل الذى يتمنى له الجميع الشفاء ، وحين يستقبلهم فى منزله تعلو البسمة شفتيه ويفيض النور من جبينه فرحا بهم ، وفى داخله يحترق وهو يقوم ولا يستطيع ، تنتابه أحيانا نوبات قلق فيفزع وينطلق ، يحيطون به ويمسكونه خوفا عليه فيبكى .

تتكرر نوبات البكاء ويحكى ويردد أسماء الذين زاروه أما الذين يأمل زيارتهم او مساعدته فلم يهتموا به ، لقد رشح نفسه تحت مظلتهم بعد أن وهب عمره فى المشاركة والقناعة بآرائهم ، بسببهم تحمل اتهامات كثيرة وأوصلته إلى هذا المرض القابض على أعصاب مخه ، تدور عيناه إثر كل زيارة وعندما يسأل عنهم يأتيه الصمت عبر انتكاسات الرؤوس المحيطة .

بعد أن تم تنفيذ المنزل ، حسب الرسومات التى صممها المعمارى ، مضافا إليها رغبات حسين ، انتقل اليه وانتظر أن تقوم زوجته وابنته بزيارته فيه .

القاهرة : محمد عبدالسلام العمرى .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عصا الدبلوماسي

سعيد عبد الفتاح

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من مدخل المصنع الرئيسى تدخل سيارتى فأراه ، وأرى عصاه التى أعرفها منذ سنوات طويلة . عندما بدأنا نلتقى فى أول عملنا بالمصنع كعمال جدد . يملأ وقتنا فراغ كبير فنمضّيه معاً فى لعب « الدومينو » ، و « الطاولة » و « الكوتشينة » . نتسابق فى الفوز ، نتعارك ، ونستمتع بتفجر الإحساس بزهو الانتصار فى نفوسنا . وتمضى الساعات الطويلة لا نشعر فيها بالملل . وكثيراً ما يمتد بنا السهر ليالى طويلة . لكن كلما انتهينا من اللعب وحرصنا على الذهاب إلى العمل صباحاً ، لا ندرى كيف يقتحمنا الحديث عن رؤسائنا فى المصنع ، وكيف يبدو تعنتهم فى التوقيع على أجازاتنا . نشكو تغطرسهم الظاهر معنا فى كل مرة . ونبوح بإصرارنا على أن الأجازة حق من حقوقنا ينبغى الحصول عليه فى الوقت الذى نريد . ثم نحكى كيف واجه الواحد منا رئيسه ، وكيف برر له أسباب غيابه بطريقة مقنعة . أما هو فكان لا يشغل نفسه كثيراً بما نقول ، ويشير إلى عصاه متباهياً ، ومستفيضاً فى الحديث عن طريقته فى التعامل ، وأسلوبه فى كسب المواقف لصالحه . فنعجب لتصرفه مع طبيب المصنع فى احتساب أية أجازة مرضيّة . وعندما يبهرنا بحسن منطقه نضحك ونصفه بـ « الدبلوماسى » . بينما هو يشاركنا الضحك ويؤكد أن عصاه هى العصا السحرية .

ومع مرور الأيام هجرنا الملعب . فقد ضغطت ظروف العمل القاسى ومسؤولياته ، كنا نعود متعبين ، مكدودين . فنهفوا مشتاقين لساعات الراحة والهدوء .

والآن بعد مرور سنوات طويلة أراه قابضاً على نفس العصا وقد شحب وجهه ، وهزل جسمه ، وبدا التصاقه بها طبيعياً ، وهو يتوجه إلى مبنى طبيب المصنع بجوار المدخل الرئيسى والسيارة الخاصة بى تقتحم الزحام مسرعة .

القاهرة : سعيد عبد الفتاح

تقـــازم

حجاج حسن أدول

ARCHIVE
http://Archive.Sakhrit.com

أتقلب فى فـراشى ، أحـاول رفـع جفـونى لأتخلص من الهلاوس . مزق الصداع رأسى من صرير المقعد ، تسحبه طفلتى كل صباح . تصعد عليه وتدير المذياع لتسمعنى نشرة الأخبار . ومثلما حدث مراراً من قبل ، أضم كفىَّ بقوة على جانبى الرأس لأكتم فورات الصداع .

المقدمة الموسيقية صارخة . اقشعر قلبى وموجزها المنذر يرهبنى . أكاد أجزم بأن يومى هذا لن يكون طيباً . تكدرت من كلمات البؤس التى تخترق أذنى . احتضنت ابنتى وقبلتها . مـا زالت نحيفة . أشفق عـلى أيـامهـا القـادمـة . اتجهت للخروج . مددت يدى للباب ، كدت أتعثر على درجتى السلم الوحيدتين ، زادت هواجسى ثم تأكدتْ داخل حشر الأتوبيس . حاولت الإمساك بعامود السقف ، لم تصل إليه يدى . العرق بلّلنى من خنقة الزحام ومن الحقيقة المرعبة .. إن جسـدى ينكمش .

المستشفى العام . الطابور معتل . يذوب من أمامى وينمو خلفى سرطانياً . طبيبنا مسلـول لا يرفـع رأسه عن مكتبـه

الصندوقى ليرى مرضاه . فقط يخط العلاج على ورق الصحف المشئومة . يمزقها ويناول قصاصتاها للمريض ويشير إليه ليبتعد . ناولنى القصاصة . صرخت .. إنى أنكمش ! نظر إلى الطبيب أخيراً . عيناه بائستان . ألقى القلم الرخيص ووثب على كرسيه ثم اعتلى الصندوق .. كان قزماً . أشار إلى امتداد الطابور خلفى وصاح بى : لست وحدك . التفت .. ذهلت .. الطابور كله أقزام شائهة .

أمسكت بقارورة الدواء . عقلى ينوء بالمصيبة . جثم الليل البارد على . أتسكع فى الشوارع الممطرة مرتجفاً . كلما غلبنى الإرهاق أثب على مقاعد المقاهى وأنا ألهث . مرّ منتصف الليل . زادنى البلل رجفة . اتجهت للعودة غصباً . أسير وحيداً . قزم بائس .. خطواتى قصيرة مرتعشة . أتهيب العودة . الحسرة تملكتنى .. قذفت زجاجة الدواء أرضاً فانفجرت . قبل أن تنتهى زفرة . الضيق من صدرى فوجئت بكف خشنة قاسية تتشنج قابضة على تلابيبى . نظرت . جدار من ملابس سوداء . حذاء ضخم يعلو لقرب ركبتى . انظر لأعلى ..

شرطى كث الشارب . غاضب الوجه . ارتعشت من شرر عينيه . لم يتحدث معى . أشار بامتداد ذراعه الطويلة وإصبعه الضخم إلى شظايا الزجاج المهشم . استعطفته . فإذا بيده ترتفع حتى لم أستطع أن أرى مداها ، ثم تهبط بعنف فترتطم بقفاى . ارتج جسدى واندفع للأمام وأسقط لم أسقط أرضاً لأن يده الأخرى ما زالت ممسكة بى . تداخلت فى بعضى . أصبحت معلقاً فى كلاّباته أبدّل وأرفس بساقى فى الهواء صارخاً . رفعنى لأعلى كحشرة . أصبحت فى مرمى كشافات عينيه المربعتين . قاس قامتى . تأكد من معدل انكماشى . ارتاح وجهه فى رضا . القانى . قدماه تبتعدان فى دوى ورتابة كأنه سيخرق الأرض .

نهضت من بركة المياه . تسلقت الرصيف . أحلم بدفء الفراش . أسير وسط المنازل الجوفاء العملاقة . أرعبنى صرصور يجرى بجانبى . شاربه لسعنى كسوط فى ساقى . ساعات أسير مهرولاً . الفجر يشقشق بالعصافير . أقترب من منزلى . فأر ديناصورى يتشمم كوماً من أكوام القمامة . اصطكت ركبتاى . رفع الفأر رأسه . يحدق فى .. يتشمم .. يقترب . حتماً أنا فريسته . لمحت مسماراً عملاقاً بجانبى . التقطته بيدىَّ . فبل أن يصل الفأر إلىّ .. هجمت عليه صائحاً طاعناً بالمسمار . هرب . لم أصدق أننى نجوت . المسمار ثقيل على يدى ، ألقيته وعدوت مسرعاً أدعو أن أصل منزلى قبل أن يعترضنى قارض آخر .

دلفت إلى منزلى . أمامى درجتا السلم كالجبل . قفزت لأعلى وأمسكت بحافة الدرجة الأولى . صعدت وقد قاربت قواى على الانهيار . أسترد أنفاسى قليلاً . قفزت وتشبثت بالدرجة الثانية . رأسى وكتفاى أعلى الدرجة . ضوء شقتى متدحرج من أسفل الباب يشع على البلاط . أحاول التسلق ببقية جسدى . ساعداى تخذلا .. أنفاسى مضطربة .. أحاول وأحاول حتى أرعشنى صرير حاد سرى فى الأرض كالكهرباء . صرير المقعد وطفلتى تسحبه لإدارة المذياع . أكاد أسقط وساقاى تضربان فى الفراغ بين درجتى السلم .. توقفت محاولاتى .. المقدمة الموسيقية لنشرة الأخبار تعلن .. سكنت حركتى .. أرهفت أذنـاى لأسمع نشرة الأخبار الجديدة ..

الإسكندرية حجاج حسن أدّول

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

• ترنيمات

على أوتار الزمن الغابر

(دراما صوتية حركية راقصة وتمثيل صامت)

● انـــور جعفـــر

● الزمان : أواخر حكم الملك بيبى الثانى (من ملوك الأسرة السادسة بمصر الفرعونية) .

● المكان : إيوان بالقصر الملكى به مسرح داخلى .

● الشخصيات :

كبير الأمناء	فى الأربعينات ممتلىء الجسم .
الوزير	يماثله فى العمر . شديد النحافة .
بيبى الثانى	فرعون مصر ــ عجوز ناهز المائة ولكنه قوى
إيب اور الكبير	حكيم مصرى ــ عجوز فى الثمانين
الفتى	شاب فى العشرين .
الفتاة	تماثله فى العمر .
إيزيس	إمرأة فى ريعان الشباب
ســت	لا سن محددة له
الكاهن	فى الستين من عمره ــ نحيف
المنادى	شـــاب .
اوزير	لا سن محددة له
مجموعة من النساء	من مختلف الأعمار
مجموعة من الرجال	من مختلف الأعمار
حـــور	طفل حديث الولادة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مقدمة

(يرفع الستار الأول عن مقدمة المسرح وهو عبارة عن جزء من إيوان بالقصر الملكى — الخلفية مسرح القصر مرتفع قليلاً عن مستوى الإيوان — مسدل الستار ومظلم حالياً — يدخل كبير الأمناء والوزير) .

الوزير : كيف حال جلالة الملك يا كبير الأمناء ؟

كبير الأمناء : لقد اشتد عليه المرض حتى خفنا أن يلفظ أنفاسه .

الوزير : قد يحدث هذا لجلالته فى أية لحظة .. لا تنس أنه بلغ من الكبر عتياً .

كبير الأمناء : بانتهاء شهر « أبيب » هذا يكون جلالته قد أتم المائة عام بالتمام والكمال .

الوزير : له الآن على كرسى العرش أربعة وتسعون عاماً .. إذ تولى الحكم وهو فى السادسة من عمره .

كبير الأمناء : أظنها أطول مدة حكم لملك فى تاريخ مصر حتى الآن سيدى الوزير ؟

الوزير : وربما فى تاريخ العالم كله يا كبير الأمناء .

كبير الأمناء : يقول مؤرخ الملك إن جلالته أبلى من الوزراء والقواد والأعوان أربعة أجيال على الأقل ..

الوزير : ولكنه من نصف قرن أو يزيد لم يشغل نفسه ساعة واحدة بمسائل الحكم والإدارة .. ولهذا نحن كما ترى نحصد ما زرع .

كبير الأمناء : تقصد ثورة الأقاليم .

الوزير : بمناسبة الأقاليم .. أين تلك التقارير التى وردت من حكامها بالأمس ؟

كبير الأمناء : فى أمان سيدى الوزير .

الوزير : لم تعرضها بالطبع على جلالته ؟

كبير الأمناء : وكيف أعرضها ونحن متفقان على عرض التقارير البديلة إياها ؟

الوزير : أحسنت صنعاً يا صديقى العزيز .. إذ لا يجب أبداً إقلاق راحة جلالته أو إزعاجه بمثل هذه التوافه .

كبير الأمناء : عفواً سيدى الوزير .. ولكن الثورة ليست أمراً تافهاً لنخفى أخبارها عن جلالته .. إنها كالزكام لابد أن يظهر .. خاصة والوادى كله يحترق بنار الثورة ..

الوزير : أحياناً لا أكاد أفهمك يا كبير الأمناء .. إننا جميعاً نعرف خطر الثورة ونتابع تطوراتها يوماً بيوم ..

كبير الأمناء : نحن جميعاً نعرفها .. إلا صاحب الشأن جلالة الملك .. إنه الوحيد فى مصر كلها الذى يجهل ما يدور خارج قصره .

الوزير : يا عزيزى .. يا عزيزى كبير الأمناء .. دع جلالة الملك لأحلامه الوردية وفنونه التى يحبها وعزلته التى يؤثرها .. ودعنا نحن لأعباء الحكم والإدارة ولا تنس أننا اتفقنا يوم توليتك على هذه السياسة ..

كبير الأمناء : لم أنس سيدى الوزير .. ولكنى أخشى أن يتفاقم أمر الثورة حتى نفاجأ يوماً بالغوغاء يدقون علينا الأبواب وتقتحم الدور .

الوزير : إننى أبذل جهدى .. اليوم دفعت بقوات كثيفة من أفضل جند الدولة لإخماد الثورة بالجنوب .. وغداً سأدفع بقوات مماثلة لتأديب عصاة الشمال فلا تقلق .

(دقات صنج — ونداءات الحراس)

كبير الأمناء : انتبه سيدى الوزير .. الملك قادم .

(يدخل الملك — تعزف الموسيقى الوترية الحاناً هادئة فور دخول الملك — وتخفت إذا تكلم) .

الملك : شىء جميل إذ تم إعداد المسرح بهذه الكيفية .. ستار رائع جداً .. لم أكن أعلم أن صنع النسيج عندنا قد بلغ هذه الدرجة من الدقة والإتقان .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الوزير : كل هذا بفضل توجيهات جلالتكم يا مولاى .

الملك : كيف حالك يا وزيرنا الهمام .. وانت يا كبير الأمناء ؟

الوزير : كل يوم تشرق فيه شمس أنوار جلالتكم البهية على العالم هو يوم سعد لنا جميعاً يا مولاى .

الملك : يا كبير الأمناء .. سمعت بالأمس عن درة نادرة ..

كبير الأمناء : عند أى صائغ يا مولاى لنجلبها لجلالتكم فى التو واللحظة ؟

الملك : إنها درة آدمية .

كبير الأمناء : آه يا مولاى ! .

الملك : لا تتصنع الخجل هكذا يا كبير الأمناء .. فلم يعد لى فى النساء مأرب الآن يا رجل ، إنه وفق ما قيل لى .. واحد من أبرع طهاة الأوز البرى بالنبيذ الوردى والتوابل يقولون إنه عند « خيتى » سيد أهناسيا ..

كبير الأمناء : إن كان الأمر كذلك ..

الوزير : نستصدر حالاً أمراً ملكياً بقبول هذا العبد هدية خالصة لجلالتكم ..

الملك : لا لا .. ابعث فقط فى طلبه على سبيل التجربة .. وبعدها نفكر فى وسيلة نسترضى بها سيد أهناسيا .. أنا واثق أنه لن يرفض لى طلباً .

كبير الأمناء : أمر مولاى .. سأبعث فى طلبه حالاً ..

(يخرج كبير الامناء مسرعاً)

الملك : (يتهالك على أحد الكراسى) أنتم يا هؤلاء .. كفوا عن عزف هذه الموسيقى واغربوا عن وجهى الآن حالاً .. هيا ..

(تكف الفرقة عن العزف)

الوزير : الموسيقى .. غذاء الروح يا مولاى .

الملك : لقد شبعت من غذاء الروح هذا إلى حد التخمة يا وزيرنا الهمام .. منذ نصف قرن أو يزيد وأنا لا عمل لى إلا سماع الموسيقى والتحديق فى سيقان الراقصات لقد مللت كل شىء .. حتى الطعام .. بل والحياة نفسها هيه .. ماذا فى جعبتك يا وزيرنا الهمام من أخبار ؟

الوزير : لا جديد يا مولاى كما تعرف .

الملك : الحق أقول .. أنا لا أعرف شيئاً .

الوزير : التقارير كلها تصل كبير الأمناء يرماً بيوم يا مولاى .

الملك : دعك من هذه التقارير .. إذ لم أعد أهتم حتى بمجرد النظر إليها .

الملك : ولم يا مولاى .. إنها ..

الملك : أنت تعرف جيداً إلى أى حد هى جافة ومملة ومتشابهة .. من نصف قرن بل أكثر .. لم يتغير فيها حرف واحد .. وللحق .. الذى يتغير فقط هو تاريخ التحرير وتوقيع الوزراء .. إننى أسألك يا وزيرنا الهمام عن الأخبار الحية الحقيقية التى لا تكتب فى التقارير الرسمية .. إذ سمعت بالأمس همسات تدور بين الخدم والحراس عن قلاقل بالأقاليم .. أعلمت بأمرها .. أم تراك مثلى تحيا فى عزلة عن العالم فى قفص من ذهب ؟

الوزير : سمعت كل شىء عن هذه القلاقل يا مولاى واتخذت على الفور كل التدابير اللازمة لخنقها فى مهدها فلا تقلق .. إن هى إلا زوبعة فى كأس سرعان ما تنتهى .

الملك : ولكن لم القلاقل ؟ لم يثور الناس ؟ أليس الخير عميماً والنيل يفيض والناس تزرع وتحصد وتلهو وتنجب ..

الوزير : كل شىء على ما يرام يا مولاى .. ولكن الناس أبطرتهم النعم ..

الملك : الناس أبطرتهم النعم ؟ حسن .. تعنى أن كل شىء على ما يرام . ؟ .

الوزير : كل شىء يا مولاى كل شىء .. لا تقلق .

(يدخل كبير الامناء)

كبير الأمناء : الحكيم إيب أور وفرقته التمثيلية بالباب يا مولاى ينتظرون الإذن بالمثول أمامكم .

الوزير : الحكيم إيب أور ؟

الملك : لم انزعجت لمجرد ذكر اسمه يا وزيرنا الهمام ؟

الوزير : لا شىء يا مولاى .. ولكن ايب أور هذا رجل ثرثار ووقت جلالتكم ....

الملك : أنا الذى أرسلت فى طلبه هو وفرقته

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

التمثيلية ليفتتحوا لى هذا المسرح بعرض أحدث تمثيلياتهم .. هل هناك ما يمنع من استمتاعى بهذا الفن الساحر يا عزيزى الوزير ؟

الوزير : كنت أعتقد يا مولاى أنكم تعدون هذا المسرح للفرقة الملكية التابعة للكاهن مانى ؟

الملك : آه من الكاهن مانى هذا وفرقته .. إنهم يؤدون عروضهم التمثيلية بلا حماس إن الفرقة تؤدى العرض وكأنها مسوقة للموت يا وزير .. أما فرقة الحكيم إيب أور هذه فهى فرقة من الشباب هواة هذا الفن .. ولذا فإن حرارتهم وحماسهم قلماً نجده فى الفرق الرسمية .

الوزير : أخشى يا مولاى أن تبدد وقتكم الثمين مع هؤلاء الهواة .. إذ تؤكد التقارير الرسمية كلها انحدار هذا الفن خارج المعابد وتدنيه إلى السوقية والفجاجة وأخشى ما أخشاه يا مولاى ..

الملك : لا تخشى شيئاً يا وزيرنا الهمام إن إيب أور العجوز بلغ من الكبر عتياً مثلى .. ثم ما المانع أن يصبح الإنسان سوقياً ولو لمدة يوم واحد ..

الوزير : لو كنتم يا مولاى تودون قضاء وقت ممتع فبإمكانى على الفور أن أرتب لجلالتكم مهرجاناً حافلاً بالمساخر والمضحكات والراقصات من مختلف الأجناس .. شقر وسمر .. وسود فى لون الإبنوس ..

الملك : أشكرك يا عزيزى الغالى .. لم تعد سمراواتك وشقراواتك وسوداواتك يخلبن لبى كما كنَّ فى السابق .. أنا الآن انتظر بين لحظة وأخرى المثول أمام قضاة العالم الآخر ولذا فأنا فى حاجة ماسة إلى من يذكرنى بهذا العالم الذى أنا مقبل عليه .. والحكيم إيب أور وفرقته يؤ دون مسرحية عن محنة الإله أوزير .. فدعونى وحدى معهم اليوم واذهبوا أنتم لتصريف شئون الإدارة والحكم .. هيا يا كبير الأمناء .. استدع لنا الحكيم وفرقته ..

كبير الأمناء : أمر مولاى ..

(ينحنى الوزير وينسحب يتبعه كبير الأمناء — تخفت الإضاءة تدريجياً عن الإيوان أثناء توجه الملك إلى أحد الكراسى ، فى أقصى اليسار قبالة المسرح الداخلى — يدخل الحكيم إيب أور قبل الإظلام الكامل من ناحية اليمين) .

الحكيم : مولاى الملك .

الملك : أهذا أنت يا إيب أور العجوز .. أين فرقة التمثيل يا حكيم الزمان ؟

الحكيم : إنهم على المسرح يا مولاى رهن إشارتك .

الملك : حسن يا إيب أور .. فلنبدأ .

(يصفق الحكيم — فيتم إظلام الإيوان — يضاء المسرح الداخلى ويرفع الستار الثانى) .

الترنيمة الأولى

(يدخل المسرح الداخلى فتى وفتاة

الفتى : فى الزمن الغابر .

الفتاة : بل قبل الزمن الغابر بزمان .

الفتى : استيقظ وادينا الآمن ذات صباح .

الفتاة : وصراخ يعلو فى جنبات الوادى .

الفتى : يعلو فى الأحراش وفى الشطآن .

(ينسحب الفتى والفتاة — تدخل ايزيس ومعها مجموعة النائحات بإيقاع حركى يعبر عن الحزن والألم — بانتهاء حركتهن تدخل مجموعة اعوان ست فى إيقاع يعبر عن النشوة والنصر — يتبعهم ست الذى يواجه إيزيس وجهاً لوجه) .

إيزيس : ست يا نبع الشر وياخبثا متجسدْ ، يا حقدا يتأجج .. أين معلم شعب الوادى ؟ أين الخيرُ ؟ أين العادل أوزير ؟

ست : هو فى التابوتْ ، لقد اختار بنفسهْ ، ما أرغمناه على شىء ، اختار التابوت الذهبى ، فأغلقناه عليه .

ايزيس : أين هو الآنْ ؟ أين هو الآن ؟

ست : فى قاع النهرْ ، أرسلناه مع التيارْ ، ليزور مصب النيل .

(تمثيل صامت — إيزيس تبكى وتتضرع وتتوسل — ست يصم اذنيه عن الاستماع إلى إيزيس ثم يوليها ظهره) .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

النائحات : ايزيس بكت ،
لكن القلب الحاقدْ ،
القلب الجاحدْ ،
أبداً مالانْ ،
أبداً مالان .
(يخرج ست يتبعه أعوانه ــ تعود ايزيس ومجموعة النائحات إلى ايقاعهن الحزين ــ يدخل الفتى والفتاة) .

الفتى : الكلمات الشريرة عن رحلة أوزير مع التيار الهادر لمصب النهرْ .

الفتاة : الكلمات الموتورة عن ضيعة من علّم شعبَ الوادى فى تابوت مغلق ،

الفتى : حملتها الريح إلى البسطاء .

الفتاة : كل البسطاء .

الفتى : فى كل الأنحاء .

الفتاة : صكت كل الأسماع .

الفتى : وانتشرت فى كل الأحراش .

الفتاة : وفى الشطآن .
(تدخل جموع الشعب وهى تتناقل النبأ فى حزن ــ يلتف الجميع حول إيزيس) .

الرجال : يا أم الخيرْ .. أسألت النهر ؟

النساء : يا أم الخيرْ .. أسألت النهر ؟

إيزيس : ساءلت النهر .

الجميع : ماذا قالْ ؟ ماذا قال ؟

ايزيس : التزم الصمت .

فرد ١ : النهر عجوز ماكر .

فرد ٢ : يعرف كل الأسرار .

فرد ٣ : يعرف ما كان وما سيكون .

فرد ١ : يعرف سر المأساة .

فرد ٢ : يرقب ما يجرى فى صمت .

فرد ٣ : دوماً يلتزم الصمت .

الجميع : دوماً دوماً يلتزم الصمت .

إيزيس : لن أهدأ ، سأجوب الوادى بحثاً عنهْ ، سأجوب الوادى بحثاً عنه .

(تتحرك إيزيس هى والجموع بإيقاع راقص من اليمين إلى اليسار وبالعكس بحثاً عن اوزير) .

الفتى : إيزيسُ تبدأ بحثاً محموماً عن تابوت ذهبى ، شقَّ النهر مع التيار .

الفتاة : ايزيسُ تجوب الوادى فى سفر محفوف بالأخطارْ ، بحثا عن أوزير .. الخيِّرْ ، العادل .

الفتى : إيزيسُ .. تبحث عن تابوت ذهبى يحوى جثمان معلم شعب الوادى .
(تتوقف حركة البحث ــ إيزيس تنهار تنتحب فى صمت وهى تهتز كبندول الساعة) .

إيزيس : الرحلة طالت .

الجميع : طالت .

إيزيس : لكنى لن أهدأ .

فرد ١ : الرحلة لغز

فرد ٢ : الوجهة لغز

فرد ٣ : الغاية لغز

إيزيس : سأواصل بحثى وأنا صامدة .. صابرة .. أتحمل كل الآلام .
(تخرج ــ تتبعها النائحات) .

صوت ست : المرأةْ ، اللغزْ ، إيزيسُ ، لم تستسلم .. عجبا .. ولماذا ؟ ولماذا ؟

فرد ١ : هى من طين النهر .

فرد ٢ : من صخر جنادله الست .

فرد ٣ : فهى الزوجة وهى الأم الأخت .

فرد ١ : كُتب عليها أن تتحمل كل الآلام .

(إظــلام)

* * *

الترنيمة الثانية

(تدخل إيزيس والنائحات وقد نال منهن التعب)

إيزيس : جبت الوادى ، كل الوادى ، زرت معابد رعْ ، وسألت الكهان ، سخمت يتأملْ ، هاتورُ تنصحْ ، الرحلة طالتْ ، الرحلة طالت .

النائحات : يا ايزيسْ ، يا أم الخيرْ ، إلتمسى الفألَ من الأطفال .

إيزيس : همُ الأطهارُ .

النائحات : لا تهنى يا أم الخير ، لا تهنى يا أم الخير .
(تخرج إيزيس ــ يدخل الشعب وهو يلوح لها مودعاً) .

فرد ١ : إيزيسُ سألت كل الأطفال .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرد ٢ : نزعت إيزيسُ غدائرها واتشحت باللون الأسود .

فرد ٣ : إيزيسُ سألت كل الأطفال .

فرد ١ : قال الأطفال ..

الجميع : حمل التيار التابوت إلى شرق البحر .

فرد ٣ : قالت ايزيس .

صوت ايزيس : سأخوض البحر وراء التابوت ، سأخوض البحرَ .

الجميع : فسلاماً يا أم الخير .. وسلاماً يا أم الخير .

(يدخل الفتى والفتاة) .

الفتى : ودعها عشرات ألوف .. ودعها عشرات ألوف ..

الفتاة : كل النسوة والأطفال ..

الجميع : كل البسطاء الشرفاء .. كل محب لمعلم شعب الوادى أوزير ..

(تخرج الجموع وهى تلوح لايزيس مودعة) .

الفتى : أما ستْ ، الشر المتجسدْ ، الخبث الأسودْ ، القاتلْ ، فقد ظل طويلاً يتتبع أخبار الرحلة فى صمتْ ، فى قلق فى خوف .

(تركزُ الإضاءة على وجه ست) .

ست : عجباً عجباً .. شعب الوادى ، كل الشعب المجنون الأحمق خرج يودع أم الخير ، لماذا ؟ لا أدرى .. عجباً أمرهمُ هذا ، شعب الوادى ، الفقراء البلهاء ، كتلة إصرار ووفاء وصمود ، عجبا أمرهم هذا ، يبدون عيوناً يترقرق فيها الدمعُ ... عجبا أمرهمُ هذا .

(يضاء المسرح تدخل جموع الشعب ثائرة) .

الرجال : أين معلمنا أوزير ؟

ست : إنى الآن معلمكم ملك الوادى .

النساء : أين معلمنا أوزير ؟

ست : إنى الآن معلمكم ملك الوادى .

الجميع : أنت القاتلْ .. أنت الخائن .

ست : لم كل الحب لأوزير ؟ لماذا ؟

الرجال : هو من علمنا أن نعبد رب الكون .

النساء : علمنا الحب .

الرجال : علمنا ألا نسرق .

النساء : ألا نكذب .

الرجال : ألا نزنى .

النساء : علمنا الحبَّ ،

ست : هراء .. ، انتم فقراء جوعى ضعفاء ، وأنا أملك ذهباً .. خمراً ..

الرجال : كنا فقراء فعلمنا أن نزرع نحصد ..

النساء : كنا فقراء فعلمنا أن نعمل .

الرجال : كنا ضعفاء فعلمنا أن نتكافل ، نتآزر ، نتعاون .

ست : سخف سخف ، سأقيم لكم فى المدن مواخيرْ ، حلقاتٍ للرقص ، وأعفيكم من هذا العمل الشاق فى الزرع وفى الرى ، سيكون عبيدى كل عبيدى فى خدمتكم ، فانسوا أوزير ، انسوه تماماً ، وانسوا أم الخير .

الرجال : سيعود معلم شعب الوادى .

النساء : قسماً بالرب الأكبر سيعود .

الرجال : قسماً بالنهر وبالأرضْ ، قسماً بالوادى الأخضر ، سيعود .

ست : ما جدوَى عودة أوزير ؟

الرجال : العدل .

النساء : الحق .

الرجال : الخير .

النساء : الحب .

ست : كلكمُ حمقى .. للسجن جميعاً .

(تدخل مجموعة أعوان ست بالحراب ــ تطارد الجموع) .

(الظلام)

الترنيمة الثالثة

(يدخل الفتى والفتاة) .

الفتى : ايزيس خاضت بحر الأسرار وعادت بالتابوت .

الفتاة : بالعادل بالخيِّر بمعلم شعب الوادى أوزير .

(تدخل باوزير النائحات يحملن التابوت ويخبئنه وراء الأشجار فى الخلفية) .

الفتى : ايزيس المرأة الزوج الأمْ ، عادت بالدفء ، بالبسمةِ والرحمةِ والحب ..

الفتاة : لكن الشر الكامن فى ست .

الفتى : الحقد المتأجج .

الفتاة : الخبث الأسود .

الفتى : الشره المجنون الكامن فى أغوار الجدب الأصفر .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الفتاة : يتحين فرصة .

(يدخل ست ــ تمثيل صامت) .

(تختفى الفتاة ــ ويبقى الفتى وحده) .

الفتى : فى الليل الأسودْ ، ليل لا قمر فيه ولا نجم ، فى الأحراشْ ، والريح تولولْ ، امتدت يد ستْ ، فتح التابوتْ ، قطع أوصالَ المحبوب ، قطعا عشراً ، عشرين ، ثلاثين ، وزعها فى كل أقاليم الوادى .

(تدخل إيزيس فور خروج ست فتفاجا بما جرى ــ تتهاوى ثم تتماسك تتحرك بلا هدف فى اسى والم) .

(يختفى الفتى ــ تدخل الفتاة)

الفتاة : إيزيس المسكينة أم الخير ، أيَّة آلام تلكْ ؟ منذ العودةِ بالتابوتْ ، لم تهنأ يوماً ...

(إيزيس تتلفت حولها فى حيرة ــ تدوى ضحكات ست الحاقدة) .

الفتاة : وتعود الأم اللغز تجوب الوادى ، كل أقاليم الوادى ، تجمعُ أوصال المحبوب .

(تدور إيزيس فى المكان يعاونها ابناء الشعب الذين يتكاثرون فى حركات إيقاعية فى البحث عن اوصال اوزير إلى ان يتم جمع الأشلاء ويضعونها فى التابوت ثم ينسحب الجميع ــ وتبقى إيزيس وحدها مع التابوت) .

ايزيس : قم زوجى ، قم أوزيرْ ، قم وابتلع الشر ، دمر ملكه ، قوض عرشه ، قم زوجى ، قم أوزيرْ ، لن يهنأ أبناء الوادى أبداً إن لم تفعل ذلك ، قم زوجى ، قم أوزيرْ ، لترفرف رايات العدل ، ، قم أوزير ليعلو الحق ..

الفتاة : إيزيس تتوجس شراً ، من قلب مكلوم ، كانت آخر دمعة ، إيزيس تتوجس شراً ، منذ العودة بالتابوت تنوح وتبكى ، جفت كل مجارى الدمعْ ، كانت آخر دمعةْ مست جسد المحبوب فخفق القلبْ وتحرك أوزيرْ رفت أجفانه ..

(ايزيس تصلى وتبتهل فى ضراعة) .

الفتاة : منذ العودة بالأوصال ممزقة لم يفتر ثغر عن بسمة يا إيزيس .... الآن ابتسمت إيزيس ... لما ابتسمت أشرقت الشمس ..

(تختفى الفتاة) .

إيزيس : قم زوجى ، قم أوزير ، اسحب سيف النقمة ، ليعود الحقُّ ، وينتشر العدل ، قم أوزيرْ ، قم أوزير ..

(تدخل الجموع ومعها حورس الطفل الرضيع تحمله إحدى النائحات) .

صوت مجسم قوى إزيْس. البعثْ ... مِلْكَ لِلْرب ..

إيزيسْ .. اعط السيف لولدى حور ..

(الجميع يستمعون إلى كلمات اوزير فى خشوع) .

صوت مجسم: قوى حور ياولدى ، أنت الآن معلم شعب الوادى ، أنت مليك الخضرة والخير ، فصارع ستْ ، واحذر أن ينتصرَ الجدبُ الأصفرْ عنوانُ الشرْ ، أبنائى هم شعب الوادى ، هم درعك ، هم سيفك ترسك ، فانصرهم بالعدل وبالحقْ حتى تصرع ست .

ايزيس : أنت ... إلى أين ؟

الصوت : للرب .. لوادى الموتى .. وهناك تغيب الشمس ، إلى مهبطِ رع ، كى أمسك ميزان العدلْ ، ليكون أساساً للحكم ، لا نقشاً فوق الجدران .

الجميع : نستودعك الربْ .. وداعاً ووداعاً أوزير .

الصوت : كونوا فى حذر أن ينتصر الجدب الأصفر عنوان الشر ، كونوا فى حذر يا أبنائى يا شعب الوادى .. الجدب الأصفر شرٌّ خالصٌ فامحوه .

(يخرج الجميع خلف حاملة حور ــ تبقى ايزيس وحدها مطرقة حزينة) .

يظهر الفتى والفتاة .

الفتى : ايزيس المسكينة لم تفرح يوماً ، لم تهنأ يوماً ..

الفتاة : ولهذا صارت لوعتها وجبال الحزن الأسود رايتنا ..

الفتى : اختفت البسمةْ ، وانمحت الفرحةْ ...

الفتاة : وتجهم كل الأسلافْ ..

الفتى : وتجهم من بعدهم الأبناء .

الفتاة : وكذا أبناء الأبناء .

(إظـــلام)

الترنيمة الرابعة

(يدخل الحكيم المسرح) .

الحكيم : الكلمة كانت فى البدء .
الكلمة قيلت للبسطاء .
الكلمة قالتها الكهان .
الغربان السوداء .
أبناء السوء الأشرار .
قال الكهان ...

(يخرج ــ فيدخل الكاهن) .

الكاهن : يا أبناء الوادى ، الآلهة اختارت ابناً ، وباسم الآلهةِ سيحكم ، هو نصف إله ، هوابن الشمس ، سليل الفارسِ حورسْ ، وحفيد الكامل أوزيرْ ، يا أبناء الوادى ، فلنسجدْ للفرعونِ ، النصف إلهْ ، ابن الشمس ، سليل الفارس حورسْ ، وحفيد الكامل أوزير .

(يخرج الكاهن ــ يدخل الفتى والفتاة) .

الفتى : وتدق طبول الكهان فى كل الوادى .

الفتاة : الطبل يدوى فى الأحراش ، الطبل يدوى فى الشطآن .

(يدخل المنادى وأمامه حامل طبله) .

(تلتف حولهما جموع الشعب) .

المنادى : يا أيتها الديدانْ ، يا أيتها الأصفارْ ، هو ذا أول أمر للفرعونِ ، النصفِ اله ، ولآخر هذى الألقاب ، الملكيةْ ، الفرعونية . فليصبح معلوماً للكل ، أن الوادى الأخضر صار من اليوم بمن فيه وما فيه من بشر ونبات من ضرع وجماد ملكاً للفرعون ، النصف إلهْ ، ولآخر هذى الألقاب الملكيةْ الفرعونيةِ إياها .

يا أيتها الديدانْ ، يا أيتها الأصفارْ .. هو ذا أمر آخر من كاهننا الأكبر حتحورْ .. الوادى الأخضر ، ملك للمعبدِ أيضاً ، ليس القصر فحسب ، بمعنى .. أن المعبد والقصرْ لهما الحق فى مص دماء الديدان الأصفـار .. أسمـعتـم .. أوعيتـم .. أفهمتم .. هيا هيا انصرفوا الفرعونُ يباركم ، والكهان تباركم ، وتذكركم الا تنسوا إحضار قرابين المعبدِ من أفضل ما تنتجه الأرضُ ، وإلّا سيصيبكم الربُّ بآفات تهلككم وتبيد الحرثْ تبيد النسل ، والفرعون النصف إلهْ ولآخر هذه الألقاب سيفقأ عين العاصى والغشاشْ .. هيا هيا انصرفوا انصرفوا ..

(لا يتحركون ــ فيخرج هو وامامه الطبال يدق طبله من جديد) .

فرد ١ : سنوات نزرع ، نتعبد ، ونقيم صروحاً لطواغيت تتجبر .

فرد ٢ : وتمر الأيام ونفتقد العدل .. تعبنا ..

فرد ٣ : أثقل كاهلنا بالطلبات ..

فرد ١ : ضرائب للقصرْ ، وقرابين وتسخير للمعبد ..

فرد ٢ : الفرعون يريدْ ، والكهان تريدْ ، والكتبة ، جباة الأموال ...

الجميع : الكل يريدُ ولا أحد يعطينا شيئاً أو يرحمنا ..

فرد ١ : أنهكنا الشره الملعون وجنون الفرعون وطمع الكهان ..

فرد ٢ : عبدانا صرنا فى وادينا يا أوزير ..

فرد ٣ : عرق الآلاف ، ودم الآلافْ ، ودموع النسوة والأطفالْ ، صارت ذهباً رناناً أصفر .

فرد ١ : وقلائدَ ومقاعدَ وتوابيت وأسرةً وصحافاً وموائد وكؤوس شراب ..

الجميع : والناس جياع ، تتساقط من فرط الإعياء ..

(يدخل أعوان ست بالحراب والسياط ــ يهاجمون الجموع ــ هياج شديد ــ تمثيل صامت إلى ان يندحر أعوان ست) .

صوت قوى : لن نسجد للفرعون .

الجميع : لن نسجد للفرعون .

صوت قوى : سحقاً للفرعونْ .. سحقاً للكهان .

الجميع : سحقاً للفرعونْ .. سحقاً للكهان .

(أعوان ست يولون الأدبار ــ يدخل الكاهن) .

الكاهن : أغضبتم رب الأربابْ .. يا أولادى .. الفرعون النصف إله .. سليل الفارس حورْ وحفيد الماجد أوزيرْ .. فلماذا الثورة ؟

فرد ١ : أوزير كان معلم شعب الوادى وتميز بالحب وبالعدل وبالخير .

فرد ٢ : وحورْ كان الابن الفاضل لأب ماجدْ شهمٍ عاقل .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فرد ٣ : لكن هذا الإمَّعة المأفونْ .. الفرعون الأحمق .. لا يترك خلف النسوة ... ولهذا لا حق له فى استعباد الخلق ..

الكاهن : انت تحرِّض ابناء الوادى .. كافرْ .. كافر .. لابد وأن تسرقَ فى طيبة ..

الجميع : سحقاً للفرعون .. سحقاً للكهنة ..

الكاهن : الفرعونْ !! سحقاً للكهنة !! الفرعون .. نصف إله فلماذا الثورة ..

فرد ١ : هوانسانْ ..

الكاهن : ولماذا السخرية من الأرباب ؟

فرد ٢ : آلهة المعبد من صنع الكهان .

فرد ٣ : أكذوبةٌ صدقناها والآن عرفنا ما صنع الكهان .

الجميع : لن نخضع للكهان .. لن نخضع للفرعون .

الكاهن : كَفَره .. كَفَرهْ ... ركبكم الشيطان ..

الجميع : الثورةْ الثورةْ الثورةْ من اجل الوادى الأخضر وتراب الوادى الأخضر .

فرد ١ : من أجل الحق ..

فرد ٢ : وقيم العدلْ ..

فرد ٣ : ستكون الثورة كالطوفان ..

فرد منهزم : مهلاً .. إنا ضعفاء ومساكين فلماذا الثورة ؟

الكاهن (فرحاً) هو ذا صوت العقل ..

فرد ١ : لابد من الثورة ..

سنوات : فرد ٢ سنوات نمتهن الأنفس ..

فرد ٣ : سنوات سنوات نتعاطى الصبر .

فرد ١ : والآن فلابد من الثورة .

فرد منهزم : القوة فى قصر الفرعون ، القوة فى المعبدْ ، الذهب بأيدى الزبلاء وأيدى الامراء .. لكن ماذا نملك نحن ؟ إنا لا نملك إلا الصبر .

فرد ١ : إياكم واليأس ..

الجميع : الثورة آتية لا ريب ..

(إظـــلام)

* * *

الترنيمة الخامسة

(إضاءة مركزة على إيزيس وأوزير) .

إيزيس : انظر يا أوزير .. الوادى يحترق بنار الثورة ..

أوزير : ما سر بلاء الإنسان على أرض الوادى ؟

إيزيس : حقاً ما سر بلاء الإنسان على أرض الوادى ؟

أوزير : فكرت كثيراً يا إيزيس .. فكرت طويلاً .. سر بلاء الانسان على أرضِ الوادى الفرعونُ المتجبر .. طائفة الكهان خربو الذمة ..

إيزيس : انظر يا أوزيرْ .. الوادى يحترق بنار الثورةْ .. هب الاعصارُ .. اقتلع الظالم والظلمة .. لكن الوادى غرق سريعاً فى بحر الأحقاد .. أضعفت الفرقة شوكتهم .. غربت شمسهم ..

أوزير : (يضحك) وجَرَيْتِ كثيراً بالأيام ..

إيزيس : أقرأ ما سيدور بأتى أيامهم يا أوزيرُ .. سريعاً بعد الثورة مال لعابُ الأجلافِ .. توالت هجمات الأعداء .. وأرى مسحوة ... (بحزن) المسحوة كالبرق .. انخطر الآتى من شرق النهرْ وحُد كل الآراء ... أيقظ شعب الوادى من سكرات الموت .. انتصر الشعبْ .. واندحرَ الأعداء.كل الأعداءِ .. ابتلعتهم جبانات الأسرار .. وتسر الأيام ..... (بحزن أشد) المسحوة كانت مؤقوتة .. إذ عاد الفرعون ، طواغيت تتجبر ، كهاناً شرهين ، ويعود الظلم ، القهر ، الكبت ،ويعود الناس إلى الترياق الأزلىْ .. الصبر الصبر الصبر ..

(إظـــلام)

* * *

الترنيمة السادسة

(التجمع فى أحد المعابد الفرعونية)

الكاهن : ما أعظم ظل الفرعون ، الملك الفرد ، النصف إلهْ ، ابن الشمس ، سليل الفارس حورْ ، وحفيد الماجد أوزير ..

الجميع : الخ الخ الخ الخ ..

الكاهن : وتقدس وتقدس وتقدس ..

الجميع : الخ الخ الخ الخ ..

(ضحكات ساخرة ماجنة ـ يتجمد المشهد) .

صوت : كمداً يبكى القلب .. ركب الفرعون الملك

النصف إله يشق الطرقات إلى المعبد ..

(تعود الحياة إلى المشهد) .

الكاهن : وتقدس وتقدس وتقدس وتقدس ..

الجميع : الخ الخ الخ الخ ..

(يدخل الحكيم إلى المشهد وقد عاد إلى حالة جموده) .

الحكيم : والفجر يولى الأدبار ، الهرم الصامد يتفرج .. وأبو الهول يسجِّل ، الوادى تغرب شمسهُ ، تأفل أنوار نجومهُ ، الجدب الشره الأصفر يتحرك .. الخضرة تتآكل تتقلص .. الوادى يظلم ، يقتات الصبر ، يحلم بالثورة ... أو بالطوفان ..

(إضاءة مركزة على إيزيس التى تدخل المشهد ومعها اوزير) .

إيزيس : ساءلت الماجد أوزير .. ما سر بلاء الإنسان على أرض الوادى قال ..

(ينزل اوزير إلى الإيوان وخلفه الجموع يتجهون ناحية الملك خطوة خطوة ــ الملك ينكمش اكثر فاكثر وقد استولى عليه الخوف)

اوزير : سر بلاء الإنسان على أرض الوادى .. الفرعون المتجبر والمنعزل عن الشعبْ .. سر بلاء الإنسان على أرض الوادى .. الكهان ..

الجميع : سحقاً للفرعون وللكهان .

(يدخل الإيوان اعوان ست وقد القوا القبض على كبير الامناء والوزير) .

الجميع : سحقاً للظالم والظلمة .

سحقاً للظالم والظلمة .

(يضاء الإيوان) .

* * *

خاتمة

الملك : أحسنتم اللعب يا أولادى .. تهانينا القلبية يا حكيم الزمان .

الحكيم : لم تكن لعبة يا مولاى .

الملك : اللعنة .. ماذا إذن ؟

كبير الأمناء : إنها الثورة يا مولاى ..

الملك : الثورة .. ؟

الوزير : دقت الأبواب علينا فلم نملك إلا أن نفتحها لها على مصراعيها صاغرين ..

الملك : ثورة .. كيف ؟ ولماذا ؟

الوزير : (يعتدل فى وقفته) لقد هاجم الرعاع دور الحكومة فى كل الأقاليم ، وديست القوانين المقدسة بالأقدام ، ونهبت الحواصل والخزائن ، ونبشت قبور الفراعين انصاف الآلهة ، وأذيعت الأسرار المقدسة والتعاويذ السحرية فقدت فاعليتها وصارت عديمة الجدوى .. جلس الرعاع على مقاعد السادة والأمراء واحتلوا القصور ..

(يلتقط أنفاسه بصعوبة) .

لقد ذُبح الأعوان كالخراف يا مولاى .. جُن أبناء الوادى لا محالة .. فالبلاد بسبب هياجهم هذا أصبحت تدور وتدور كعجلة صانع الفخار .. ولا أحد يدرى متى يتوقف كل هذا .. إنه شىء أشبه بالحريق أو الطوفان .

الملك : لأول مرة أسمع منك يا وزيرنا الهمام تقريراً صادقاً .. (يضحك) يبدو أن ثورة العامة فكت عقال لسانك (بجد شديد) ولكن لماذا ثار العامة يا حكيم إيب أور ولِمَ كل هذا الهياج ؟

الحكيم : أنت السبب يا مولاى .. لقد أثرت العزلة فى قفص من ذهب .. وحجب عنك الأمناء والوزراء كل الحقائق .. ومنعوا صوت الشعب من أن يصل إليك .. فظننت أن كل شىء على ما يرام .. لكن الأمور لم تكن كذلك أبداً .. مولاى .. لقد ثار الشعب بسبب المجاعة والقحط ..

الوزير : إنها ثورة عارمة يا مولاى .. لا ضابط ولا رابط لها ..

الحكيم : هكذا العامة عندما تثور .. مولاى .. لقد انتهى حكمك .. فاذهب إلى حيث شئت فى حراسة أولادى .. صناديق الفرقة عامرة بملابس التمثيل .. تنكر فى ثياب مهرج .. أو قصاب .. أو أحد الحراس ... وهيا ..

الملك : لا .. سأموت هنا على عرشى ..

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كبير الأمناء : فلنذهب يا مولاى .. الجماهير تطالب برأسك خارج القصر .

الملك : (يضحك) رأسى وحدى .

الوزير : ورؤسنا أيضاً يا مولاى ..

الملك : سأنتظر الموت هنا .. أما أنتم فواجهوا مصيركم .. يا أخى إيب أور ... لى مطلب أخير .. لست الآن ملكاً لأمر .. ولا أظننى كنت يوماً مستحقاً لهذا اللقب .. رغم أنى حاولت جهد الطاقة فى شبابى إصلاح الحال ولكن جذور النفاق والرياء والمخاتلة كانت ضاربة فى أعماق هذا القصر وهى التى عاقت خطاى .. ومنعتنى من الإقدام على شىء .. فآثرت السلامة والدعة .. إنه ضعف منى أعترف .. ولكننى لم أكن أملك غير هذا .. يا أخى إيب أور .. أنت حكيم هذا الوادى ففكر فى الأمر وسجل ما رأيت وصف الداء والدواء ليستفيد من بريدتك من سيخلفنى من ملوك ... هذا إذا قدر أن يكون لهذا الوادى ملوك يوماً ..

(ستار سريع)

أنور جعفر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وسام فهمى
مسافرة زادها الألوان

د . نعيم عطية

— ١ —

تتراقص لوحات وسام فهمى بين الخيال والواقع . تكاد تقول عن مشاهد البلدان والمدن التى تراها أمامك أنها بألوانها وخطوطها وتكويناتها مشاهد من الواقع ، فهذه البقعة التى تصورها هذه اللوحة أو تلك لابد أنها هنا أو هناك من أرض مصر أو أرض الوطن العربى ، أو ربما هى مكان ما فى أرض الله الواسعة . قد تكون فى « تونس الخضراء بطابعها المميز التى أعطت الفنانة — على حد قولها — فنيًا الكثير ، أو فى الأندلس الساحر بتاريخه العظيم وعمارته الخاصة وحدائقه الغناء » ، أو فى « يوغوسلافيا الشرقية بإقليم البوسنة والهرسنك الذى يمتاز بآثاره الشرقية وسط الطبيعة الغنية » . أو قد تكون أخيراً — وليس بآخراً — فى « المغرب العريق الثرى بكل أنواع الفنون » والذى قدمت الفنانة فى معرضها بالمركز المصرى للتعاون الثقافى الدولى بالزمالك (فى الفترة من ٧ الى ١٩ فبراير ١٩٨٨) بعضاً مما استوحته منه من مناظر . وقد يكون ذلك المكان أيضاً من بلدها الذى بدأت مشوارها الفنى بالتعرف عليه جيداً ، وعلى الأخص عمارته القديمة ومناظره الطبيعية المميزة من صحارى وجبال وواحات ، بلدها الملىء — على حد قولها — بالغموض الذى يثرى الإحساس . وبعد ذلك حاولت الفنانة التعرف على البلاد الشرقية المختلفة التى تجمعها كلها وحدة الفنون منذ فجر التاريخ (استخدمنا فى السطور السابقة فقرات من كلمة الإهداء التى صدرت بها وسام فهمى كتالوج معرضها الأخير (فبراير ١٩٨٨) .

وفى هذا يقول الناقد كمال الجويلى عن وسام فهمى « هذه الفنانة صديقة حميمة لروائع الطبيعة وكنوز العمارة العربية وأمجاد الحضارة ، تسعى إليها فى قاهرة المعز ، وفى طبيعة المغرب العربى وتراثه ، وفى آثار الأندلس ، وفى أى موقع يحمل آثار أقدام الشرق . يفتنها تجدد الطبيعة الدائم وتثير وجدانها الرؤية الأولى لمشاهدها . ولهذا تسعى دائماً إلى موقع لم تره عيناها من قبل ، فتستوعب فى أعمالها لحظة الدهشة ، وتصفيها لتخلص إلى جمالياتها . إذن ، تشغل الطبيعة وطابعها وسام فهمى . فى تونس اللون الأبيض للمبانى وخضرة المساحات . وفى المغرب تضاد لونين أساسين سواء أكان ذلك بين السماء والأرض أو ما يصنعه ويشكله الإنسان . تعنى بالمجموعات اللونية المتناسقة بحيث ترقى بذلك إلى درجة من الهارمونية فى العلاقات . وتهتم بأسباب المساحات والتجريد فى الطبيعة وفى المساحات الشاسعة أمامها تتعامل معه بواقعية .

إنك إزاء لوحات وسام فهمى إذن تكاد تهتف : هذه مشاهد من الواقع ولكن لا تلبث الفنانة أن ترتفع عن أرض الواقع الملموس — وتحلق بك فى أثير تكاد تطل فيه على مشاهد « وسام »

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

من على سحابة تتهادى فى السماء ، أو من على بساط سحرى نفخت فيه شهر زاد من خيالاتها .

وفى هذه المشاهد التى تتأرجح كما قلنا بين الواقع والأحلام تتمثل قدرة « وسام فهمى » الإبداعية ، وتتجلى شخصيتها الفنية . إنها بحق من الفنانات اللاتى استطعن أن يخلقن عالماً خاصاً بهن وهو عالم ليس من الواقع ببعيد ، ولكنه يستقل بنفسه ويتفرد .

ولم يأت بلوغ وسام فهمى إلى هذا العالم الخاص بها طفرة بل سبقته دراسات لمدة أربع سنوات بمعهد ليونارد دافينشى حتى ١٩٦٥ حيث تقيدت الفنانة أول الأمر بقيود الصنعة ، واتبعت إملاءات مدرسيها . ولكنها لم تفقد تلك الندرة التى كانت بداخلها ، ولم تطفىء الومضة تحت ركام الجمرات المنطفئة بل ظلت هناك ، تنصهر وتتطور إلى أن جاءت اللحظة التى انبثقت فيها من جديد ، لتقود الفنانة إلى رؤيتها الخاصة للوجود المحيط بها .

— ٢ —

ما الذى يجعل هذه اللوحات من الواقع ، وما الذى يجعلها أيضاً إلى الخيالات والأحلام أقرب .

هى من أرض الواقع لأنها تصور عمائر وأشجارا وجبالاً ووديانا ودروباً صاعدة هابطة ، فهى لوحات لا تنقطع صلتها بالعين التى تبصر . ولكن ما تبصره الفنانة لا تهرع إلى نقلة على الورق أو القماش كما رأته فى لحظة المشاهدة بل هى تختزن الرؤى ، لتعود إلى استرجاعها . ومن خلال هذا الاسترجاع للمخزون من رؤى الواقع تنتشى اللوحات بطلاوة الذكرى التى ما عادت تتحكم فيها التفاصيل . ولهذا فكثيراً ما تسمى الفنانة لوحاتها بحق « من وحى ... » : « من وحى الرباط » « من وحى مراكش » . وما من لمسة أو نقطة أو خط فى لوحات وسام مكبل بالأغلال ، كل الموجودات كفلت لها حريتها وسمح لها بأن تشغل المكان الذى يناسبها وبالحيز الذى يروقها . فليس ثمة هندسيات صارمة فى لوحات وسام فهمى بل على العكس تكتسى كل الأشياء فى تلك اللوحات ، حتى العمائر والجبال انسيابية تنبع من شاعرية تلك الفنانة التى ترهقها الأطر ، وتفزعها الشيخوخة ، فترهب الخط المستقيم والزاوية الحادة وترتاح إلى ليونة الخط ودائريته ولولبيته تجول به فى أرجاء اللوحة صاعدة هابطة منحرفة يميناً ويساراً . أما الألوان فلا تخشى الفنانة تضادها وتصادمها بل إنها تعوض نعومة الخط بوحشية اللون . وإن كان ذلك التضاد اللونى يرقى لديها إلى نغمية تنسجم فى النهاية معها خطوطها .

كما تجد الفنانة أيضاً من أجل ما ذكرناه فى رسوم الأطفال راحة . ويستقر أسلوبها عند أساليبهم ويتشبه بها ، فيضاف بذلك إلى إبداعها رافد يخلع على لوحاتها طلاوة وصراحة .

— ٣ —

وترسم وسام بشغف يذكرنا بفان جوخ وارتوللوودوفى وبول كلى واوسكار كوكوشكا ، وبهذا الأخير على الأخص الذى أبدع مجموعة من اللوحات لمناظر المدن التى زارها وانفعل بها وسمى كلا منها « بورتريه مدينة » ، وهذا ما فعلته وسام بدورها . فنحن عبر بيوت وظلال ومآذن وقباب وبواك وسماوات ونافورات وموالد فى أرجاء عالم مسحور يبدو كأنما هو حلم من الأحلام ، كما تذكرنا لوحات وسام فهمى بأعمال الخيامية وبأكلمة الحرانية ، وبكل ما هو شعبى وبدائى وطفولى من عطاءات الفن التشكيلى . وترقى وسام فهمى من خلال طلاوة النظرة والتطهر من الجمود ، وصدق الرؤية ، والإقدام بلا وجل إلى مكانة متميزة فى تصويرنا المصرى الحديث .

— ٤ —

إنك أمام لوحات وسام فهمى كأنك فى قطار يمضى بك يقطع المسافات وتترى أمام ناظريك من الشباك المناظر تلو المناظر وكأن الفنانة تعترف لك قائلة « إننى لا أرسم فيما ترى سوى أحلام .. أحلامى أنا ، فقد كنت على الدوام أحلم بمدائن وعوالم ، على ضفاف نهر أو على قمة تل أو فى حضن جبل ، أحلم بمدنى ، بمدن أجوس خلال عمائرها منومة مسحورة ، يشدنى إليها نداء داخلى ، من أساطير وحواديت ، سمعت عنها فى طفولتى ، ما عاد يبقى منها اليوم سوى الرنين والذكرى المبهورة وحنين إلى بقاع لم يعد لها وجود سوى فى لوحات أنكب عليها ببدائية . وتعلق عيناى على الأخص فيما أرسمه بعد المشاهدة جماليات العمارة الإسلامية ونمنمات القوالب الشرقية .

— ٥ —

وتعود بى لوحات وسام إلى سنوات طفولتى وصبباى الباكرة — كنت فى تلك الأيام أبهر ببطاقات البريد التى ترد إلينا فى الأعياد والمناسبات بما تحمله من مناظر ، وعلى الأخص فى أعياد الميلاد بمناظر الأكواخ تُجللها الثلوج ويفد من الشبابيك المغلقة بصيص من

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

نور ،أما فى السماء فعلى الدوام تتهادى أو تجثم سحب تتخذ أشكالاً ، أو يلمع نجم من تلك النجوم الهادية تشع منه حزم من الضياء تنير الطريق أمام المجوس كى يمضوا إلى المذود المتواضع الذى ولد فيه المسيح ، وتارة كانت تلصق على المناظر نتف من أوراق فضية أو مذهبة تجلل المشهد وتتلألأ كماسات صغيرة مرصوصة أو متناثرة فى الحيز الذى كان بدوره صغيراً منمنماً .

— ٦ —

وفى حديث لى مع وسام فهمى فى يناير ١٩٨٨ فسرت لى الفنانة ، كيف ارتبطت بتصوير الأماكن ، وما الذى جعلها تكرس فرشاتها لرسم مشاهد المدن والقرى وغيرها مما ارتبط به اسمها . وحول هذا تقول :

فى حوالى سنة ٧٤ أو ١٩٧٥ رسمت لوحات عن الأقصر ، وعن «القرية» على وجه التحديد ، وكنت أقيم عند الشيخ على عبد الرسول — وهوشخصية معروفة للفنانين ، إذ كان صاحب المرسم القديم هناك ، وعندما جلست فى رحاب التاريخ المصرى ، وكانت هذه أول مرة أرسم مناظر طبيعية ، أحسست بأننى انتشيت بالمكان . أجل انتشيت به حقاً . وصار بداخلى دافع قوى يحفز أن أصوّر انطباعى عن الأماكن فى لوحات . قبل ذلك كنت أصور بورتريهات وكانت الوجوه النوبية على الأخص تريحنى . ومشاهد من حياة البشر المحيطين بى . وكانت لا تعجبنى أحياناً . ولكن فى الأقصر جاءت أولى محاولاتى للتعامل مع الطبيعة الحية . وشعرت أن رسم لوحة لمكان هى استيعابه واختزانه بكل تفاصيله ودقائقه فى الذاكرة ولكننى مع الوقت أحسست أن تسجيل التفاصيل والظواهر بذاتها ولذاتها أمر يرهقنى . أحسست بأننى لا أريد أن أرسم المكان بظواهره فحسب فهذه قد لا تعنى شيئاً . وإنما أريد أن أرسم جوهر المكان وروحه الكامنة التى قد تطمسها البهارج الخارجية . إن اللوحة تكوين شديد الخصوصية ، وقائم بذاته تماماً . قد يستمد جذوره من الواقع ، ولكنه يرقى فى النهاية إلى أن يكون منفصلاً عنه بالحدود اللازمة لحياته . ولم أعد استريح للنقل عن الطبيعة . صرت آخذ اسكتشات سريعة بالقلم الرصاص أدخرها للوحاتى المقبلة . ورفضت أن الون على الطبيعة ، فلم يكن ذلك يرضينى . صرت أطيل الجلوس فى المكان لكى أحس به أكثر . عانيت تغيرات الضوء واللون من الشروق إلى الغروب . وعندما عدت إلى مرسمى بمصر الجديدة بالقاهرة بعد قرابة أربعة أسابيع ، بدأت اقتفى أثر تلك الخطوط والمساحات السريعة التى راحت تذكرنى بالمكان الذى عايشته فأضع الألوان من خيالى ، فمنحنى هذا فريداً من الحرية ، وصرت أزيل من تكويناتى مالا يعجبنى ، وأبقى على ما يروق لى .

وباختصار أحسست باستقلال وانعتاق ، وصرت سعيدة وأنا أرسم هذه الأعمال التى تقوم على إفراغ المنظر الطبيعى على اللوحة من ذاكرتى ، مع الاستعانة فى ذلك بالاسكتشات التى سبق أن أعددتها ، وعامل الذكرى يفتح لى الطريق إلى الخيال .

* * *

وفى أوائل عام ١٩٧٨ سافرت وسام فهمى إلى تونس ، وشدها إلى هذه الزيارة سماعها الكثير عن هذا البلد عن تونس البيضاء . عن تونس الخضراء . وكان لهذين اللونين ، الأبيض والأخضر ، مقرونين باسم هذا البلد الشرقى الساجى على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، تأثيرها على وجدان الفنانة المحبة للحياة وللأسفار . كما كانت وسام — كماتروى — قد التقت بسيدة تونسية انعقدت بينهما أواصر صداقة وطيدة ، شدتها إلى تونس فرحلت إليها مؤمنة بأن ثمة صلة دفينة بين لوحاتها والفنون الشرقية ، مقررة أن تؤكد هذه الصلة وتقويها على الطبيعة ذاتها .

وتقول وسام فهمى فى حديث معى جرى ،أوائل يناير عام ١٩٨٨ : رحلت إلى تونس ، وكان هذا البلد اكتشافاً لى بالنسبة إلى الطابع اللونى والمعمارى الذى يصمم أهل ذلك البلد على التمسك به فى كل قرية ومدينة . بل وفى كل بيت حيث يكون هناك حجرة عربية يستمعون فيها إلى التراث الموسيقى القديم .

كانت هذه الزيارة بالنسبة لوسام فهمى « نقلة كبيرة فى الألوان » إذ تحولت من الألوان الصفراء والبرتقالية والبنيات إلى الألوان الخضراء والبيضاء والوردية والزرقاء . واستراحت هناك على الأخص إلى دوائر القباب .

وبعد تونس التى استقر بها مقام الفنانة شهراً ، عادت إلى القاهرة ، حبيتها « قباب تونس » فى المعمار الشرقى فعمدت إلى « اللف » فى القاهرة القديمة بحثاً عن المعمار الشرقى فى مصر . ولكن كان هذا ليس بالموضوع الجديد ولكن إضافة وسام فهمى إلى هذا الموضوع المطروق هو نزوع لوحاتها المكانية إلى الخيال فى محاولة لا ستعادة وضاءة الماضى وبريقة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد القاهرة القديمة شاءت وسام أن تبحث من جديد عن الشرق فى الخارج ، فرحلت إلى أسبانيا . وذهبت إلى الجنوب فى رحلة غير معدة مقدماً . وحيثما شدها المكان اقامت فترة أطول من الوقت . وتقول وسام فى حديثها السابق لى : « وقد أفادتنى هذه الرحلة بأن ازددت معرفة بقيمة مصر ، من ناحية المعمار القديم . صحيح أن للأندلس طابعاً معيناً ، لكن معماره خفيف ، أما المعمار المصرى القديم فيتصف بالرسوخ والشموخ .

وعادت الفنانة إلى القاهرة القديمة من جديد بعد أسبانيا حيث اقامت بها قرابة شهر عام ١٩٨٠ . وتعلق وسام على رحلتها هذه بقولها : « أحببت فى أسبانيا تعايش الفن القوطى والإسلامى جنباً إلى جنب . وعلمنى ذلك أن فى الفن تزاوج لا اختلاف » .

ثم سافرت وسام فهمى إلى يوغوسلافيا عام ١٩٨٣ وتقول عن رحلتها هذه : « سمعت أن فى يوغوسلافيا بقايا من الشرق . فرحلت إلى منطقة البوسنة والهرسنك . هناك شاهدت الجوامع ذات المآذن الطويلة وسط الرقعة الخضراء . مع طابع شرقى يختلف على أى حال عن الطابع الشرقى الذى التقيت به فى أسبانيا .

وعادت الفنانة إلى سيناء وسيوة . وكل رحلة إلى الخارج تردها إلى بلدها بوشائج أقوى وتجعلها تبحث فيها من جديد عن الأماكن التى لم يسبق لها زيارتها .

— ٧ —

وتستلفت لوحات وسام النظر بطلاوتها وبهجة الحياة . وبتوقد حسها إلى كل ما حولها . فالبيئة تنفذ إلى اللوحات من خلال فرشاتها إلى اللوحات . وهى تلتقط وتستوعب تحلل وتفكك جزئيات ما حولها . ثم تعيد بفنها التركيب والبناء من التسجيل إلى الإبداع ، من الرؤية المباشرة تصعد وبخطوات واثقة إلى التعبير الفنى ، فلوحات وسام هى الطبيعة المحيطة بها أعيد صياغتها بلغة ذاتية أصيلة . فالفنانة تحافظ على الإطار البيئى ولكن داخل ذلك الإطار وفى كل جزئية منه تنبض الفنانة ذاتها .

— ٨ —

فى بعض بورتريهات وسام فهمى الباكرة يبين مبلغ تمكن الفنانة من التغلغل إلى أعماق الشخصية الجالسة أمامها ، لا نتزاع كثير من خلجاتها ونوازعها العميقة . ثم وضع هذه المادة النفسية الدافئة فى حالة انسجام وتناغم مع سائر اللوحة اللونى الذى هو على أى حال تكوين ينبىء عن الحركة الحياشة المتأججة التى ستمضى فيما بعد لترقى إلى قمم من الحرية المحكومة بأصالة الفنانة وذاتيتها المتعطشة إلى الابتكار .

وتقوم لوحات وسام فهمى على محاولات اريبة لتحقيق التوازن بين السكونية والحركية فى العمل الفنى وتنجح الفنانة فى بلوغ هدفها اعتماداً على إعلائها لقوة التعبير على مجرد الإطار الخارجى لظواهر الأشياء فتبدو على أعمالها تلك الديناميكية التى أصبحت لا من سمات التصوير الحديث وحده بل ومن سمات العصر كله ، فضلاً عن استفادتها من درس عزيز من دروس الفنون الحديثة وهو عدم خنق الفنان فى أطر محافظة قديمة لمجرد توفير الأمان والصحة ، فالفنان الحديث يعرف كما تعرف وسام فهمى أن صدق التعبير النابع من الرؤية الداخلية للفنان هو الذى يوضع فى المقام الأول عند تذوق عمل من أعمال الفن الحديث . وإذ يغمس الفنان العصرى فرشاته فى أعماقه . تخرج الى لوحاته أيضاً بكثير من مكنونات التراث التى تلتحم برؤية الواقع فتجلب أعمالاً فنية ليس مجرد تسجيليات ميكانيكية مما تركه الفنان للآلة التى صارت بإمكاناتها المتطورة المذهلة قادرة أن تنتج الكثير ولكنها لا تستطيع على أى حال أن تتفوق على الفنان فى مجال وحيد وهو التغلغل إلى أعماقه ذاتها . فللفنان أعماق تنتج فناً .

وإذا كانت وسام فهمى قد كسرت قيودها متحررة من إسار « التقليدية » فى التعبير الفنى ، تاركة وراءها كل « تحفظ » ماضية على مسئوليتها فى مغامراتها التشكيلية ، فإن خيالها الخصب لا يلبث أن يقودها إلى أعمال فيها من « السيريالية » بصمات دون أن تتردى على أى حال فى إسار هذه المدرسة التى تجوزت اليوم على مستوى الفن المعاصر كله ، ولكنها أعطت الفنان دروساً للمستقبل ثمينة وغالية لمن أحسن الفهم واستوعب النداء . ترسم وسام فهمى الطبيعة بفرشاة مخضبة بذاتية بالغة ورهافة حس غامرة تتوصل إلى رؤى خاصة بها تقف على حافة الواقع ولكنها على أى حال تمضى متجاوزة إياه إلى ما يمكن أن يقترب من الحلم . ولذلك لم يكن خطأ أن يقال عن لوحات وسام فهمى عن مناظر الطبيعة إنها من « الواقعية السحرية » بألوانها الطلية وصراحتها القوية التى إن دلت فعلى مبلغ تعطش الفنانة إلى الألوان والضياء بدافع قوى إلى حب الحياة ، يذكرنا إلى حد ما بعشق الحياة الذى كابده فان جوخ بدوره من قبل ، وعلى الرغم من كل الذاتية التى تدفع الفنانة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

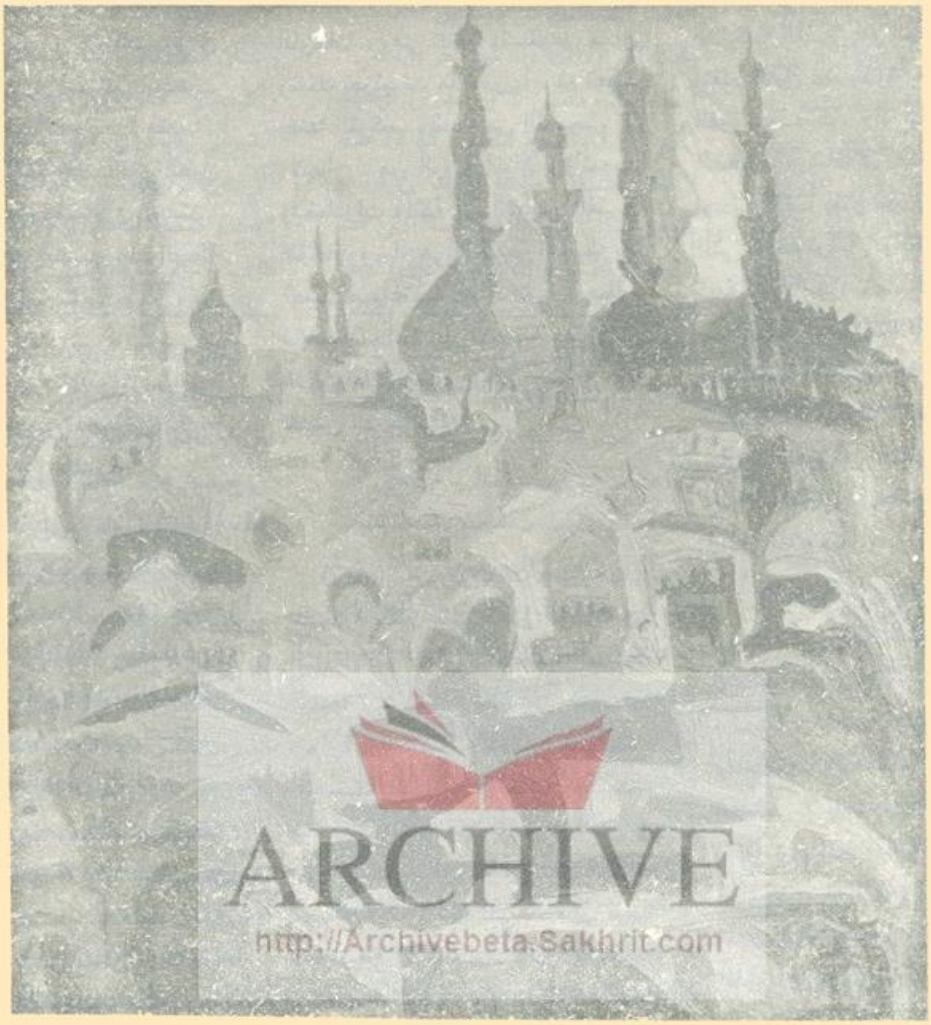

إلى صبغ أرجاء لوحاتها بألوانها شديدة الخصوصية فإنها لم تتخلَّ أبداً عن الارتباط بالواقع ، ولم تتردَّ فى التجديد على الإطلاق .

وثمّت سمتان يجدر أن نلاحظهما على أعمال وسام فهمى ، الأولى أنها برغم عصريتها كفنانة لم تتردَّ فى التجريد ، ولئن بعدت أشكالها عن النقل الحرفى عن الطبيعة حتى بلغت فى بعض الأحيان إلى حد الابتكارات التشكيلية البحت فإنها لا زالت تلك الأشكال منحدرة عن الطبيعة ، وترتبط بها ارتباط ولاء قوامه ليس الاستعباد والتبعية بل الحب والاستقلال والذاتية .

أما السمة الثانية ، فهى أن كل الأشكال الناضجة بالانفعال والحيوية المتأججة فى لوحات وسام فهمى ، رسمت لذاتها ، ولم يقصد بها أن تتضمن رموزاً ومعانى تحتية إلا ذلك المعنى العام المتمثل فى الانتماء والارتباط بالأرض والتراث وهذا لدى وسام ليس رمزاً بل هو طابع عام . وإذ تتصاعد تشكيلاتها أيضاً إلى مستوى التغنى بالشرق والبيئة فإن الفنانة لا تؤدى ذلك عن تعمد وافتعال بل عن التقاء بموضوع تتاح لديه وتطمئن إزاء السؤال الذى لابد أن يؤرق كل فنان أصيل على الأقل عندما يجتاز مرحلة البحث والتحصيل ويشارف على التفرد ، ألا وهو ماذا أرسم ؟

القاهرة : د . نعيم عطية

وسام فهمى

مسافرة زادها الألوان

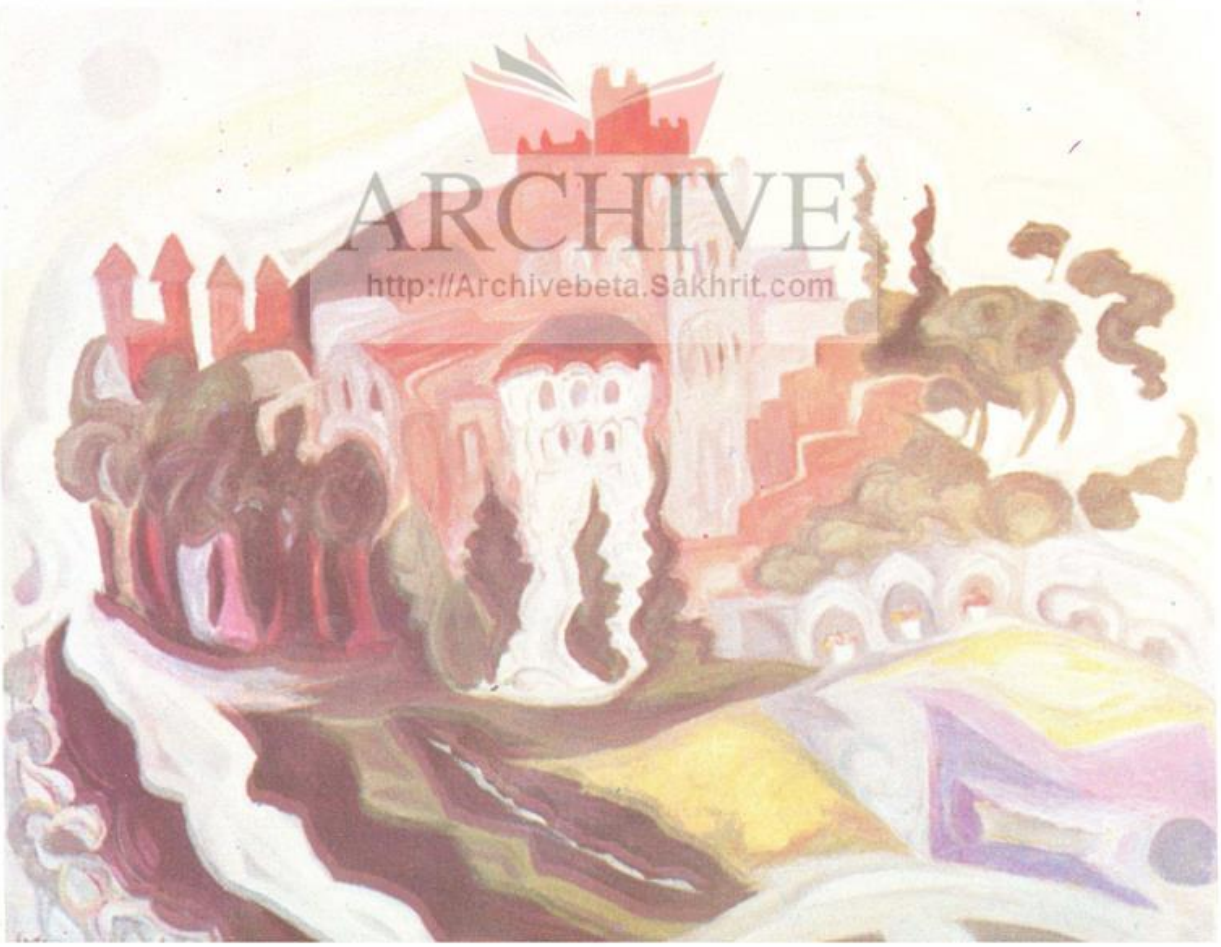

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

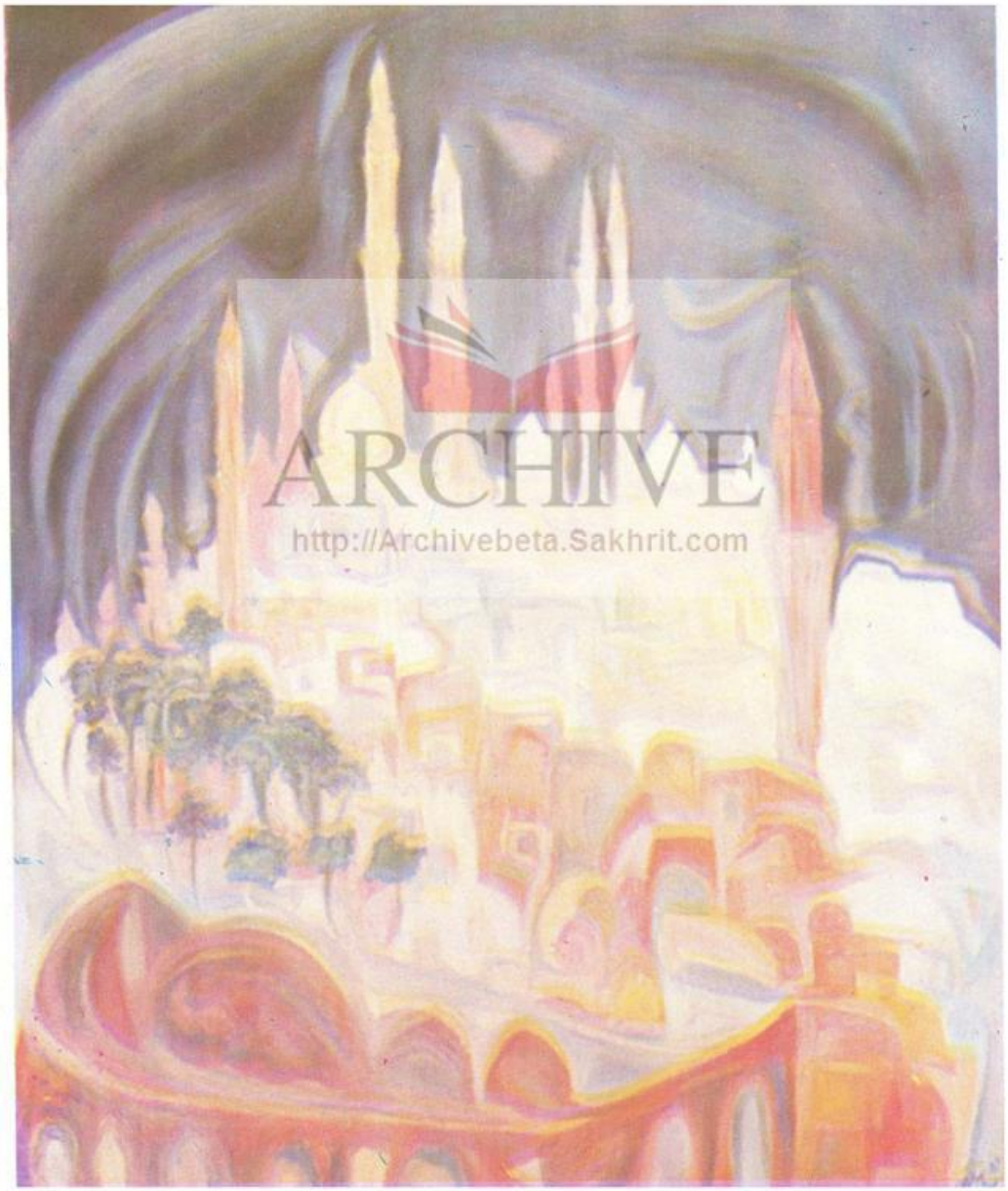

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

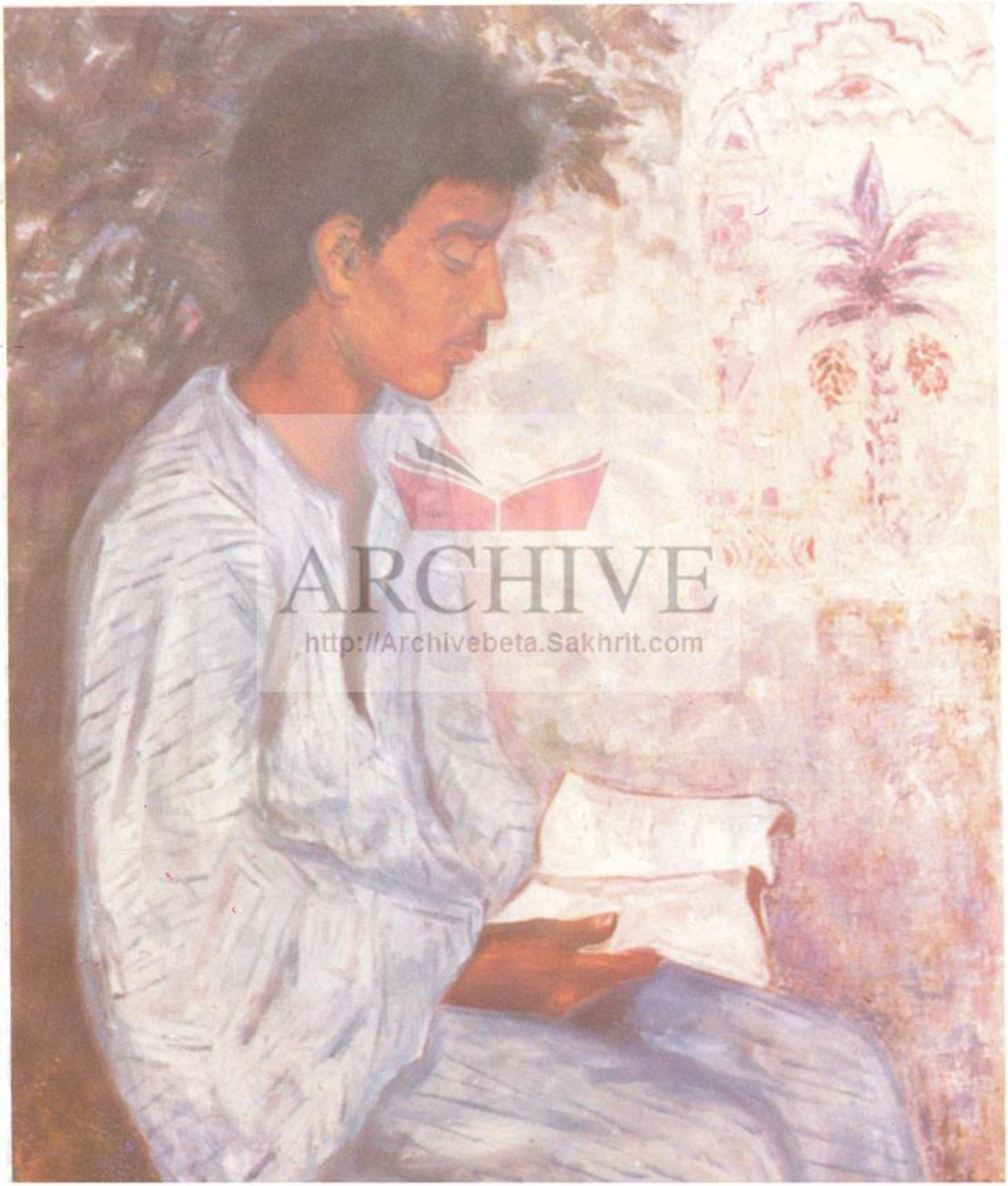

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

صورتا الغلاف

للفنانه : وسام فهمى

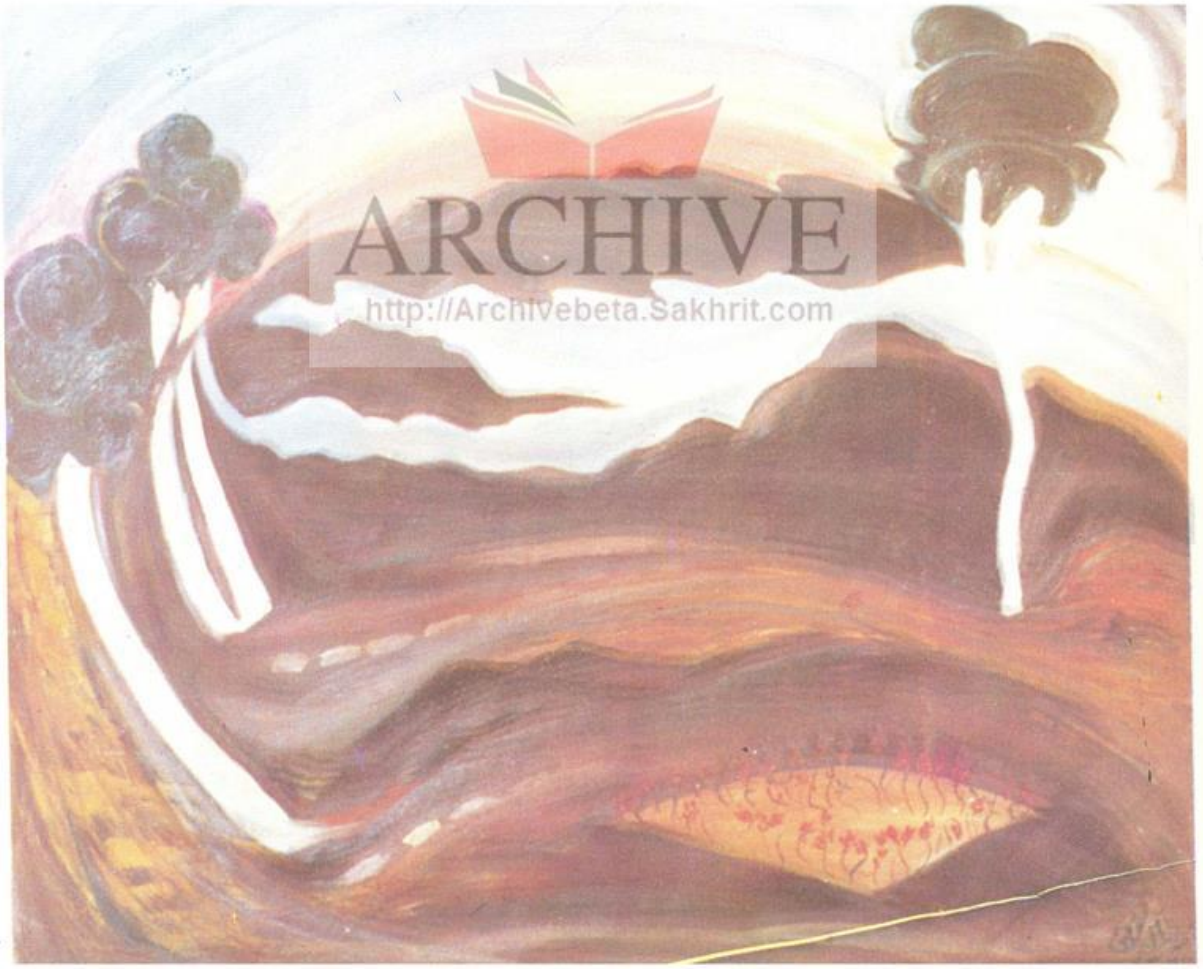

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٦١٤٥ - ١٩٨٩